دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

في هذا العدد

تصدرها وزارة عموم الأوقاف
والشؤون الإسلامية
بالمملكة المغربية

العدد الثامن – السنة الرابعة عشرة – شعبان 1391 – أكتوبر 1971

ثمن العدد درهم واحد

مجلة تصدرها وزارة
عموم الأوقاف والشؤون
الإسلامية بالمملكة المغربية

دعوة الحق

العدد الثامن
السنة الرابعة عشرة
شعبان : 1391
اكتوبر : 1971
ثمن العدد : درهم واحد

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :
مجلة « **دعوة الحق** » ـ قسم التحرير ـ وزارة عموم الاوقاف
الرباط ـ المغرب . الهاتف 10 ـ 308

الاشتراك العادي عن سنة 10 دراهم ، والشرفي 30 درهما فأكثر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك في حساب :
مجلة « **دعوة الحق** » رقم الحساب البريدي 55 ـ 485 ـ الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

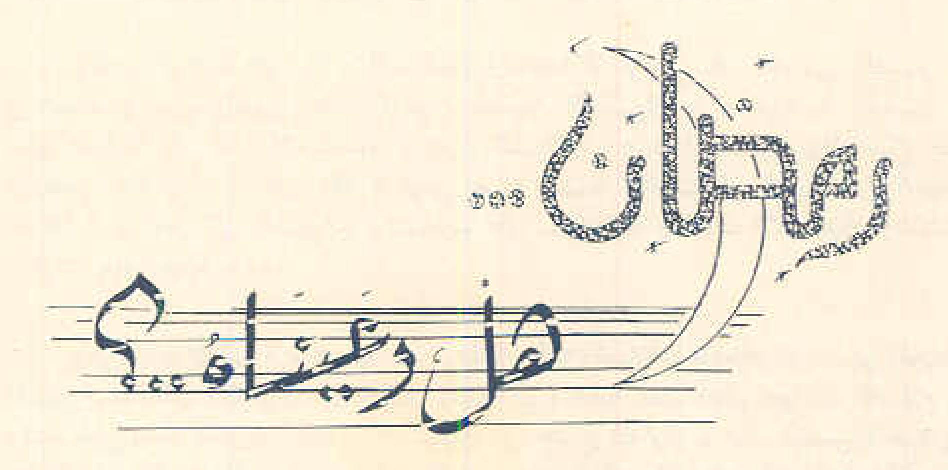
او تبعث رأسا في حوالة بالعنوان التالي :
مجلة « **دعوة الحق** » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط ـ المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
في كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :
« **دعوة الحق** » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط
تليفون 308.10 ـ 327.03 ـ الرباط

كلمة العدد



تتعدد محاسن رمضان ، كما تتعدد مزاياه ، وتتوافر جوانبه الانسانية الزاخرة بمعطيات الفضل ، ونوازع الخير التى تصفو معها النفوس ، وتعرج فيها الارواح ، بما يربي فيها هذا الركن الاسلامي العظيم من وعي كامل لمعنى العبادة ، وفهم عميق لما يتصل بها من مدلولات الصبر والمصابرة والجهاد ... فرمضان ليس كما اصطلحنا عليه بانه شهر العبادة والتبتل ، والرحمة والغفران فحسب ، او انه امتناع تام عن الطعام والشراب ، وما يلحق بهما من ملذات واشباع الغريزة الجنسية من طلوع الشمس الى غروبها خلال شهر كامل ، بل انه ، فوق هذا وذاك ، شهر له قيم يمتاز بها عن بقية المواسم والشهور : انه يوحد المسلمين ، ويؤلف بين قلوبهم ، ويربي فيهم روح النضال والجهاد ، ويقوي فيهم المسؤولية الدينية والدنيوية ، الروحية والبدنية ، ونبع فياض لا يني يتدفق باكرم معاني التكوين والاعداد ، ومدرسة لتطهير الروح واعلان سلطان الارادة ، والتغلب على العادات اليومية المألوفة المطردة المبتذلة حتى تتمثل للصائمين الصابرين المخبتين حياة الصحراء التى كان يعيش فى جوها النضالي ، ومناخها البطولي خيار المسلمين الاوائل الذين ارتفعوا الى الله بأرواحهم ، واستعانوا به ، دون سواه ، فى معارك التوحيد ، وكفاح العقيدة ، وجهاد النفس ...

انه شهر لتكوين النفس الصابرة ، ومدرسة تعمل على تحمل الجهاد بمشاقه ومصاعبه ، وما يصاحبه من استغناء عن الكثير مما الفه الانسان ملازمته ، واعتاده من ملاذ الحياة وطيباتها ...

وان الاسلام بتربيته وتكوينه وعقيدتــه حين حمل الانسان فى هذه الحيــاة انواعا من الجهاد سن له طرقا لتكوين النفس المجاهدة واعدادها ، فهو قد شرع الجهاد لحماية المستضعفين من الرجال والنساء والولدان .. وفى سبيل تحرير العالم من الظلم والسيطرة والعدوان ... لهذا جعل نفسية المسلم نفسية مجاهد لا تقبل الضيم والخضوع ، والاستكانة والذل حتى لعاداتها المألوفة ، ونزواتهــا الطائشة ، وأهوائها الضالة ...

فالجهاد فى سبيل تحرير النفس من أهوائها هو الشرط الضروري للجهاد فى ساحات الوغى ، ويوم الروع فى حومة القتال ومعترك الحياة ...

والامم الراقية الواعية ، المستكملة رشدها لا ترضى الا بالعيش المقيــم ، فى جنات وعيون وكنوز ومقام كريم ، مصونة الحقــوق ، محفوظــة الذمــم ، يحيا ابناؤها على أهبة الاستعداد ، لصد العــداة ، ورد البغــاة ، والدفــاع عن الاوطان والكيان ... فان الله لا يوتي نصره لامــة اخلدت الى الملــذات واتبعت هواها ، وركنت الى الشهوات واعتمدت على سواها ، واغفلت الاستعداد والأهب وبطرت معيشتها ...

ومن هذه المعاني ، نرى ان شهر رمضان لدى اسلافنا العظام كان شهر الجهاد المسلح ضد الظلم والشرك ، والضلال والطغيان ، ففيه تمت أعظم حوادث الاسلام ، وفيه تغير وجه التاريخ بانتصار المسلمين فى جميع المعارك ، فقد انتصروا فيه فى معركة بدر الكبرى التى كانت مطلع الايام ، ورفعة الصلاة والصيام ، وفرقانا بين الحق والباطل بهذا المدلول الشامل الواسع الدقيق العميق على أبعاد وآماد ... حيث تحولت النظريات المجردة الى حقيقة وعمــل ، والكلمة الواعيــة الى حركة ونضال ، والشك الحائر الى ايمان ووعي ، والنفور الى طاعة واستقامة ، فكانت التضحيات ، وكان البذل والايثار، وكان الارتفاع عن أدران التراب واوضار المادة والشهوات .. وفيه ، ايضا ، علا مجد الاسلام بفتح مكة ، حيث حل فيها عليه السلام منصورا ظافر الاعلام ، كما خذل فيه الروم والفرس فى وقعتي اليرموك والقادسية، كما حقق فيه المسلمون انتصارا ساحقا على التتر فى موقعة عين جالوت، وفيه اندحر الصليبيون الغزاة على يد القائد العظيم المسلم صلاح الدين الايوبي فى معركة حطيــن فى فلسطين ..

تلك امثلةحية رائعة لما فعله الدين فى نفوس معتنقيه الاوائل حتى أتوا بأنواع من البطولة الحق ، والوان من التضحية والفداء ونكران الذات ، ويقظــة الضميــر ما يكاد يشبه المعجزات ...

وكلنا ما يزال يترنم بمآثر تلك الاجيال التى رباها الدين الصحيح تربية ممتازة على قلة المعرفة ، وضعف الثقافة اذا قيست بمقاييس العصر الحاضر ...

لقد كان ايمان المسلمين بربهم وقضيتهم ، يحشد جميــع القــوى المومنــة ، ويضع كل طاقاتهم وامكانياتهم فى خدمة الاسلام ، ومن اجل المعركة وتقرير المصير، ما تفتقر اليه اليوم الامة العربية الاسلامية فى الصمود والردع والثأر من أعداء اللــه ...

كما كان الصحب الكرام رضوان الله عليهم الذين تحلقوا بأجسامهم وقلوبهم وأرواحهم حول رسول الله صلى الله عليه وسلم فامتازوا بشدة البأس ، ورجولة الاخلاق ، والصبر عند اللقاء ، وامتحن الله قلوبهم للتقوى ينعمون بأهلية التلقي والقدرة على الاخذ ، وأهلية البذل والعطاء ، فنجد طابــع الرغبـة فى الجهـاد ، والتسابق لنيل الاستشهاد ، والاستماتة فى سبيل نصرة العقيدة ، ومؤازرة محمد الرسول في أداء امانته، والبعد عن الانحراف فى التفكير ، والاسراف فى الحذر وتوقي المخاوف هو الذى فرض المناخ الصالح للعمل ، واعطى لكل شيء قدره ، ولكل خطوة ما تستحقه ، وطبع تاريخ المومنين فى عصر النبوة وبعدها ، فتاريخ الصحابة ، أسد الغابة ، وسهام الاصابة ، حافل بالخطوات الجريئة ، والمغامرات الواثقة ، والتضحيات المطمئنة الراضية .

ولما قال محمد عليه السلام يوم بدر، وهو يحرض المومنين على القتال ويحضهم على الثبات : « والذى نفس محمد بيده ، لا يقاتلهم اليوم رجل ، فيقتل صابرا محتسبا ، مقبلا ، غير مدبر الا أدخله الله الجنة ، ومن قتل قتيلا ، فله سلبه .. انبرى عمير بن الحمام ، وبيده تمرات يأكلها قائلا : بخ .. بخ!.. ما بيني وبين أن أدخل الجنة ، الا أن يقتلني هؤلاء ، ثم قذف التمرات من يديه ، وأخذ سيفه ، وقاتل حتى قتل ...

— * —

ويقول عوف بن الحارث ، يوم بدر ، ايضا ، يا رسول الله : ما يضحك الرب من عبده ؟ فيقول الرسول عليه السلام : غمسه يده فى العدو حاسرا ... فينزع عوف درعا كانت عليه ، ويقذفها ، ثم ياخذ سيفه ، فيقاتل القوم حتى يقتل ..!!

— * —

وهذا سعد بن معاذ الانصاري يقول للرسول : قد آمنـا بك ، وصدقنـاك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، واعطيناك على ذلك عهودنـا ومواثيقنـا ، على السمع والطاعة .. فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك ، فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره ان تلقى بنا عدونا غدا ، انا لصبر بالحرب ، صدق فى اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ...

تلك صورة حية من ايمان الصحابة وعقيدتهم وذاك مثال فذ رائع يبدي الصلة الوثيقة الواضحة بين العبادات وأهداف الحياة وغاياتها ، فالعبادات ليست عزلا للعابد عن الحياة ، ولا فرارا من مجابهة المسئوليات وتملصا منها ، ونكوصا عنها ، ولكنها تهيئة واعداد ، وتزكية وتطهير .. فشهر رمضان المعظم ، الذى تستروح فيه النفس عبق الجنان ، وتقبل معه مواسم الخير ، وتطلع فيه مواكب النور ، وتقام حوله محافل الايمان والاحسان والبركات ، ميزان توزن فيه صلاحية الفرد ومثاليته ، واستعداده واستقامته ، كما توزن فيه حياة الامم الاسلامية بمعايير الاخلاق والاعتدال ، والجهاد والنضال ، والتضحيـة والفداء .. وتقـاس فيه ايضا ، أعمال الذين قلدهم الله مقاليد المسلمين ، ووضعهم موضع الريادة الفكرية ، والقيادة والامانة على الاجيال ، واناط بهم حفظ معاقل الاسلام فى كل مكـان وزمان من العالم الاسلامي .

— * —

ان المشكلة الحقيقية التى يعانيها المسلمون اليوم هي ضعف الوازع الديني ، والضمير الاخلاقي عند جمهرة العاملين فى شتى الحقول ، والميادين المتعددة ، ثم امتداد هذا الضعف الذى جعل من الاسلام صورة مهزوزة فى النفوس وأدى الى الخذلان وعدم الاستعداد والتواكل وعدم الحيطة ، الى جماهير الشعوب المسلمة المتطلعة التى تدعو الله فى الغدو والآصال أن يدخلها مدخل صدق ، ويخرجها مخرج صدق ويجعل لها من لدنه وليا ، ويجعل لها من لدنه سلطانا نصيرا ... وما من شك فى ان استمرار ضعف الضمير يؤدي حتما الى موته ، وموت ضمير الامة الاخلاقي انهيار محقق أكيد لا ريب فيه .

— * —

اننا لو تمسكنا بروحانية رمضان الذي يضيء للمسلمين معالم الطريق فى الحاضر المؤلم ، والواقع المرير ، فى بقية الشهور ، وطوال ايام العام فى صدق اليقين وحرارة الايمان المتين ، وابتعدنا عن العبث ، والهمنا شعور الابطال المحاربين ، كما تجلى ذلك فى عهد الصحابة كعمر بن الخطاب ، وخالد بن الوليد وسعد بن أبي وقاص ، وأبي عبيدة عامر بن الجراح ، وكانت البلاد الاسلامية من اقصاها الى أقصاها ثكنة عسكرية تزخر بالابطال ، وتموج بالمجاهدين لما وصلنا الى هذا الدرك الاوهد الذى انحدرنا اليه ، ونحن غثاء كغثاء السيل ، فتغلبت علينا حثالة الشعوب ، وشذاذ الآفاق ، وهزمونا فى عقر ديارنا فى ظرف ستة ايام او تكاد ، وما برحنا فى غفلة لاهين عن انفسنا ، وقد غرتنا الحياة الدنيا ، مشتتي الشمل ، ممزقي الاطراف موزعي الكلمة ، يتآمر بعضنا على بعض ، ويكيد الأخ لأخيه ، والجار لجاره ، ويتطاول الاقزام على أبطال الكفاح والنضال ، وتستنسر البغاث على القشاعم والصقور ، حتى باتت صلات الاخاء ، وآصرة المودة واللقاء ، وقد مزقتها الاطماع والاحقاد ، ووزعتها المؤامرات والاهواء لارواء غليل الحقد والتشهير ، والانتقام والتدمير .

اننا مدعوون فى هذه الايام ، واكثر فى أي وقت مضى الى الرجوع الى الله والانابة اليه والاعتصام بحبله والعمل على تقريب مسافة الخلف ، وتقوية الحلف ، وتوحيد الصف حتى تصفو النفوس، وترتد اليها انسانيتها، ويحل الوئام والسلام، ويرجع السيف الى غمده ، ويحرس الليث كناس الغزال ، وذلك بالجهاد بما أمر الله به فى هذه الحياة ..

وانه جهاد النفس وشهواتها ...

وجهاد الاهواء الغالبة ، والملذات المستأثرة ...

وجهاد الظلم ومحاربة الظالمين .

وجهاد الباغين المعتدين من الاعداء ..

وجهاد لاقامة العدل والمساواة والدفاع عن الحق والفضيلة والجمال ...

كل هذه المعاني يمكن استيحاؤها واكثر منها فى خضوع وتامل واعتبار فى هذا الشهر .. شهر رمضان ..
فهل وعيناه ..

دعوة الحق

خطاب صاحب الجلالة

في يوم 20 غشت

بمناسبة ذكرى ثورة الملك والشعب، القى صاحب الجلالة الملك المعظم الحسن الثاني نصره الله يوم 20 غشت الماضي خطابا هاما على شعبه الوفي ، استعرض فيه عددا من القضايا الحيوية والهامة التى تشغل بال الملك والشعب فى الوقت الراهن .

وفيما يلي نص الخطاب الملكي السامي :

الحمد لله وحده

والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

شعبي العزيز

فى مثل هذا اليوم من كل سنة ، اعتدنا ان نتوجه اليك بالخطاب ، بخطاب نود كل سنة ان نستخرج فيه العبر ، مما ابت الامة جمعاء ، الا ان تطلق عليه ، يوم « ثورة الملك والشعب » .

واذا كان من باب تحصيل الحاصل او من باب الاطناب ، ان نتكلم عن شخصية محمد الخامس طيب الله ثراه ، او ان نعرض تاريخ كفاحه .

واذا كان كذلك من المبالغ فيه ان نستعرض اولئك الذين ضحوا فى سبيل ملكهم ووطنهم ، بحياتهم وبكل غال ورخيص ، نرى من الواجب ان نحاول كل سنة ان نستخرج من عبرة يوم «ثورة الملك والشعب» اقل ما يمكن او اكثر ما يمكن من الدروس ، فى المناسبات الاخيرة التى مكنتني شعبي العزيز من ان اتوجه اليك بالخطاب .

كنت طرقت مواضيع شتى ، من جملتها موضوع الشباب ومن جملتها موضوع الموظفين ومن جملتها موضوع الموضوعات اقتصادية ، وارى اليوم من المناسب ان احدثك عن موضوع هو قريب جدا ، من يوم ثورة الملك والشعب ، الا ،، ان احدثك عن نفسك ايها الشعب ، وذلك انك تذكر شعبي العزيز أن الاستعمار واذنابه ، كانوا يلقبون محمد الخامس بسلطان « كريير سنترال » وكان طيب الله ثراه ، يفتخر بهذا اللقب ، ويقول الآن احسست بأن المستعمر ادرك الخطورة حيث انه جعلني ملكا على الشعب لا على القشور ، ولكن من هم سكان ما كان يسمى بكريير سنترال ومن هم سكان ما يشابه ذلك الحي ، هم الشعب الصغير المتواضع الضعيف ، من عمال ، وصناع ، وفلاحة ، هم الذين اريد ان اقول لهم ، حينما ، ذكرت فى برنامجي الاخير ، حسن توزيع الثروة المغربية كنت اذ ذاك اعني ايها الشعب

العزيز المتواضع ، ذلك انك اعطيتنا من اخلاصك ومن سواعدك ومن شجاعتك وتضحيتك ما يجعلنا ، نحن ، ملوك هذه البلاد تكونوا دائما مدينين لشعبنا وبالاخص لهذه الطبقة المتواضعة بالكفاح من اجل عودتنا من المنفى .

كما انك ايتها الطبقة الضعيفة ستبقي دائما مدينة لمحمد الخامس واسرته انه لم يرجع الى بلده حتى رجع بالاستقلال فى يمينه وبالحرية فى يساره ، فكيف يمكننا اذن ان نبرهن لهذه الطبقة المخلصة التى لا يقربها المال ولا الجاه ولا الطمع والتى برهنت فى ادق الظروف وفى اصعب الاوقات انها لا تغادر المغرب حينما تدلهم الاحوال ولكن تبقى فى مدنها وقراها تبقى تلك الدعامة الوطيدة لهذا البلد الامين ولهذا العرش العلوي ، كيف يمكننا اذن ان نبرهن لها على ما تكنه لها من عطف ومحبة ؟

ذلك لاننا نحن اذا ناشدنا شعبنا ليسير فى طريقة النماء لا نريد ان يكون ذلك النماء لفائدة طائفة معينة واذا نحن نادينا بالانتاج نريد ان ينتفع المنتجون هم الاولون مما انتجته سواعدهم واذا نحن نادينا بالكرامة نريد ان يكون ظل تلك الكرامة ظلا وارفا يظل ويشمل قبل كل شيء مجموع الشعب المغربي .

ولا يهدا لنا بال ولا خاطر حتى نمكن كل مغربي مغربي بعدما قضى حياته فى التعب والنصب ان يركن الى بيت يملكه والى وسائل نقل يملكها والى حد ادنى من الممتلكات يمكن ان يخلفها لارملته واولاده وذلك من الممكن جدا ، اذا نحن انكببنا على دراسة نوعين من المشاكل ، النوع الاول مسالة الاجور ، والنوع الثاني مسالة وسائل القرض .

ففى الحقيقة قرضنا لا يتجه الا الى طبقة محظوظة من السكان المغاربة ، فاذا كان يتجه الى بعض الناس الذين لهم رأس المال لا يتجه الى الذين لا رأس مال لهم الا سواعدهم وضميرهم المهني .

ثانيا ان القرض يتجه الى البناء والتعمير فحسب ، ولا يتجه الى المسائل الضرورية للاستهلاك وللعيش الكريم .

المسالة الثانية : مسالة الاجور ، لا يمكن لاي احد ان يقول بأن هناك معجزات اقتصادية ، ان المعجزات الاقتصادية لابد ان تخلق ، ولابد ان تدرك ، فلا يمكنني ان اقول ، ان الزيادة فى الاجور ستشمل كل القطاع الآخر بين عشية وضحاها ، انها زيادة تستلزم الوقت والدراسة ، ولذا من جملة الاوامر التى اصدرناها الى حكومتنا ان تنظر فى هذه القضية بالنسبة للقطاع الخاص ، ولا يمكن من جهة اخرى ان يكون للزيادة فى الاجور معنى او مدلولا ، ولا يمكن ان تكون القروض مجدية ، الا اذا اخذنا واخذت الحكومة على عاتقها ان تراقب الاسعار مراقبة شديدة وان تضرب على يد كل من زاد فى الاسعار بدون اذن مسبق من الناحيتين التنظيمية ، او القانونية .

وهكذا شعبي العزيز ، اذا نحن وطدنا العزم على ان يكون تعلمنا تعليما معمما يشمل الجميع ، واذا نحن عملنا على ان تكون العدالة تشمل الجميع ، واذا نحن اجتهدنا على ان تكون الثروة المغربية مقسمة ومقسطة تقسيطا عادلا ، واذا نحن ضربنا على يد كل من اراد ان يزيغ عن الطريق ، واذا نحن سطرنا وسائل العيش الكريم لك ، تمكنا من ان نستخلص من يوم ثورة الملك والشعب عبرة ونتيجة الا وان تكون الثورة لم تكن لتذهب عبثا ، ولم يكن لمن قاموا بها ان لا يعيشوا وان لا يستفيدوا فى مغرب مستقل ، ذلك المغرب الذى ان استقل فقد استقل على سواعد وعلى كواهل تلك الطبقة المتواضعة التى تعمل بصمت والتى تعمل بتواضع ، والتى على اكتافها تحمل الثقل الثقيل للنهوض بالبلاد فلاحيا وصناعيا واقتصاديا .

ان الطريق شاقة امامنا شعبي العزيز ، ولكن العزم معقود ، على ان نخترق جميع الصعاب ، فاذا كنا فى السنة الماضية وفى السنوات التى قبلها احتفلنا بثورة الملك والشعب فى اطار خاص ، فالاطار الخاص لهذه السنة ، يكتسي عبرة اهم ، ويقتضي منا جهدا اكبر واكثر ، فلا نريد ان نترك هذه المناسبة تمر دون ان اقدم لاسر الضحايا ، ضحايا يوم عاشر جويي من السنة هذه تعازينا حيث ان هذا اليوم يصادف اليوم الاربعين من فقدان اهلهم .

فالله سبحانه وتعالى اسأل ان يرزقهم الصبر وان يعوض لهم بالخير ، كما اساله سبحانه وتعالى ان يتغمد برحمته ابونا الاعظم ومحررنا وبطل هذه الامة محمد الخامس طيب الله ثراه .

واننا لنرجو الله ان يكون رضاه لنا ذلك الرضى الذى تمتعنا به منذ صبانا ان يكون لنا من جملة الاسلحة التى سنتسلح بها للقيام بمأموريتنا ، كما نرجو الله سبحانه وتعالى ان يغدق من الرحمات

على الضحايا الذين قدموا ارواحهم وانفسهم ليعيش المغرب وليرجع الملك من المنفى ولتحيى بلادنا فى ظل العز والكرامة والاستقلال ، والله سبحانه وتعالى اسال ان يعطينا من سديد الراي وحسن التفكير والتدبير ما يجعلنا نقوم بواجبنا احسن قيام وفى احسن الظروف دائما معززين ومسندين بقوى الشعب المغربي بقوى ذلك الشعب الذى فى كل الاوقات وفى كل المناسبات لم يال جهدا فى الالتفاف حولنا وفى الاعراب عن تعلقه بنا ومحبته لنا .

اللهم اجعل دائما تلك الاصرة القوية بين شعبي وبيني تجعلني احس احساساته وتجعله يفهم مشاغيلي حتى تسير مسيرتنا كل يد فى يد لما فيه خير هذه البلاد وخير هذه العباد .

والسلام عليكم ورحمة الله

حُدُودُ التَّشريع في الإسْلَام وَمَكانة الإِجْتِهَاد فيْه ...

للأستاذ أبي الأعلى المودودي
أمير الجماعة الإسلامية بباكستان

ما هي حدود التشريع فى الاسلام وما هي مكانة الاجتهاد فيـــه ؟

اذا اردنا معرفة ذلك ، فلا بد ان نكون ، قبل كل شيء ، على ذكر بين من أمرين :

اولهما : ان الحاكمية فى الاسلام مختصة باللـــه وحده ، لا يشاركه ولا ينازعه فيها غيره . ذلك بأن التوحيد ، كما فسره القرآن ، يستلزم ان يكـــون الله وحده هو المعبود بالمعنى الديني المعروف ، ليس ذلك فحسب ، بل يستلزم ان يكون الله وحده هو الحاكـــم المطاع ، والآمر والناهي ، والشـــارع بالمعنـــى السياسي والقانوني ايضا . وهذه الحاكمية القانونية قد ابدا القرآن واعاد فى بيانها بمثل القوة والجزم الذي يبين به عقيدة الالوهية الدينية ، واكد كل التأكيد ان كلا من هاتين المنزلتين من المقتضيات اللازمة لألوهية الله تعالى لا يجوز فصلها عن الأخرى بحال من الأحوال وقرر بما لا مجال فيه للارتياب والشك ان انكارهـــا انكار لألوهية الله . ثم ان القرآن لم يترك أي منـــزع لشبهة ان يراد بالقانون الالهي قانون الطبيعة والفطرة. وجعل من واجب الانسان ، اذ يدعوه الى التوحيد ، ان يعترف فى حياته الخلقية والاجتماعية بذلك القانون الذى انزله الله على انبيائه ورسله ، بل ان الايمان بهذا القانون ، وبتجرد الانسان عن استقلال نفسه وحرية ذاته ازاءه ، هو الذي يسميه القرآن بالاسلام ويابى

ـــ بأوضح ما يكون من البيان ـــ ان يكون للانسان حق فى ان يقضي برايه شأنا من شؤون حياته اذا كان قـــد قضاه الله ورسوله : (وما كان لمؤمن ولا مؤمنـــة اذا قضى الله ورسوله امرا أن تكون لهم الخيرة من امرهم، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا)

وثانيهما : وهو لا يقل فى اهميته فى الاسلام عـــن توحيد الاله ـــ هو ان محمدا صلى الله عليه وسلم آخر رسل الله وخاتم انبيائه . وهذا ما تخرج به عقيـــدة توحيد الاله من حيز الفكرة المجردة فتبرز بشكل نظام عملي ويقوم على اساسها بناء نظام الاسلام الشامل للحياة الانسانية . ذلك بأنه قد اجتمعت بموجـــب عقيدة الاسلام تعاليم جميع الانبياء السابقين، معزيادة تعاليم مهمة اخرى فى تعليم محمد صلى الله عليه وسلم، فهو وحده المصدر الموثوق به لهدى الله وتشريعـــه ، ولن يأتي من الله بعده هدى او تشريع يحتاج الانسان ان يرجع اليه . وتعليم محمد صلى الله عليه وسلم هو القانون الاعلى الذي يمثل للناس مرضاة الحاكم الاعلى وقد وصل الينا على صورتين :

القرآن : وهو كلام الله لفظا ومعنى ، ويشتمل على احكامه واوامره ونواهيه .

والسنة : او الاسوة الحسنة لمحمد صلى الله عليه وسلم : وهي التي تبين غاية القرآن وتشـــرح مقصد نزوله .

ما كان محمد صلى الله عليه وسلم مبلغا لكتاب الله فحسب ، بل كان من وظيفته مع ذلك ان يكـــون

اماما للناس وقائدا وحاكما ومعلما ومرشدا ، يشرح لهم القانون الالهي بقوله وعمله ، ويخبرهم بغايته الحقيقية ويربيهم على مطالبه ومقتضياته ، ويعمل على تشكيلهم في صورة جماعة منظمة ، ويرى العالم كله ، في قالب دولة راشدة مرشدة ، كيف يقوم على مبادىء الاسلام نظام حضارة متكاملة راقية . وان هذه المهمة التي اضطلع بها الرسول صلى الله عليه وسلم طوال حياته النبوية (23 سنة متوالية) هي (السنة) التي باشتراكها واجتماعها مع (القرآن) يكتمل القانون الأعلى من الحاكم الأعلى لرعيته في الارض ، وان هذا القانون الاعلى هو المعروف (بالشريعة) في المصطلح الاسلامي .

حدود التشريـــع

وقد يظن الانسان لأول سماعه بهذه الحقائق الاساسية ان الدولة الاسلامية لا مجال فيها اصلا لتشريع الانسان ، اذ ان الله هو الشارع الوحيد فيها ، ولا وظيفة فيها للمسلمين سوى ان يتبعوا ما جاءهم به الرسول من قانونه . بيد ان الحقيقة ان الاسلام لا ينافي تشريع الانسان وانما يحيطه بسياج من القانون الالهي ويحده بعلوه . اما ما هي دائرة تشريعه تحت القانون الالهي الأعلى وفي ضمن حدوده ، فهذا ما اريد بيانه في هذه الكلمة متوخيا الايجاز والاختصار .

تفسيـر الاحكـام :

منها ما قد جاء فيه القرآن والسنة بحكم قاطع واضح ، او وضعا له قاعدة خاصة ، فليس لفقيه ولا لقاض ولا لمجلس تشريعي أن يغير في مثل هذه المعاملات والشؤون احكام الشريعة وقواعدها . وليس معنى ذلك انه لا مجال مع هذه الاحكام لتشريع الانسان ، بل ان دائرة تشريع الانسان فيها ان يعرف أولا بكل دقة ما هي أحكام الشريعة في واقع الامر ، ويحدد ثانيا مفهوم تلك الاحكام ، ويتبين لأي الحالات والواقع هي ، وتقرر اخيرا صور تطبيقها على القضايا الطارئة الحاضرة وتفاصيلها الفرعية ان كان فيهما المجال . والذي يجب ان يشخص مع كل ذلك ، هو : اين والى اي حد يجوز للانسان التشريع للاحداث والوقائع الاستثنائية على ان لا يصطدم مع احكام الشريعة وقواعدها .

القيـــاس :

ومنها ما لم تأت فيه الشريعة بحكم ، ولكن لها احكام في امثاله واشباهه ، فالتشريع في مثل هذه الشؤون والمعاملات يكون بأن تعرف علل الاحكام بدقة تامة وتنفذ في كل شأن توجد فيه تلك العلل ويستثنى منها كل شأن لا توجد فيه تلك العلل .

الاستنبـــاط :

ومنها ما لم تأت فيه الشريعة بحكم صريح ، ولكن جاءت فيه وفي أمثاله بقواعد جامعة ، او اظهرت مرضاة الشارع عنه ، فيجب العمل على تنميته وترقيته ، وما هو مبغض عنده يجب العمل على محوه واستئصاله . فالتشريع في مثل هذه الشؤون والمعاملات يكون بأن يعرف ما جاء فيها من قواعد الشريعة ومرضاة الشارع ، ويوضع في القضايا العملية الحاضرة من القوانين ما يقوم على هذه القواعد ويحقق مرضاة الشارع .

دائرة التشريع بحرية الرأي :

ومنها ما سكتت الشريعة في بابه سكوتا تاما ، فلا جاءت فيه بحكم صريح ، ولا بهداية في امثاله واشباهه حتى يقاس عليها . فلا معنى لسكوت الشريعة في مثل هذه الشؤون الا ان الحاكم الأعلى بنفسه قد أجاز الانسان ان يقضيها برايه . فالتشريع جائز فيها للانسان بكل حرية ، على ان يكون موافقا لروح الاسلام وقواعده العامة والا تختلف طبيعته عن طبيعة الاسلام الشاملة حتى يلتئم احسن التئام مع نظام الاسلام للحياة .

الاجتهـــاد

وكل هذا العمل التشريعي الذي يحرك نظام الاسلام للقانون ويرقيه حتى يلبي حاجات البشر ويجاري تطورات الزمان ، لا يمكن ان يتم الا بتحقيق علمي خاص وبذل للقوة الذهنية على صفة غير عادية، وهو المعروف بالاجتهاد في المصطلح الاسلامي .

وكلمة الاجتهاد معناه لغة : بذل الجهد واستنفاده والمراد به اصطلاحا : بذل الجهد واستنفاده في استجلاء حكم الاسلام او مقصوده في القضية تحت البحث . وقد يخطىء بعض الناس ويفسرون الاجتهاد

بمعنى التمتع بحرية الرأي دون ما قيد او شرط ، على ان كل من له ادنى المام بطبيعة القانون الاسلامي ومزاياه لا يكاد يذهب به سوء الفهم الى ان فيه مجالا لهذا النوع من الاجتهاد الحر ، لأن القانون الحقيقي في الاسلام هو القرآن والسنة ، ولا يجوز التشريع فيه للمسلمين الا بشريطة ان يكون مأخوذا من هذا القانون الحقيقي او في ضمن الحدود التي يبيح لهم ان يتمتعوا فيها بحرية رأيهم . فكل اجتهاد لا يستند الى احكام الشارع الحقيقي ولا يتقيد بحدودها ليس من الاجتهاد الاسلامي في شيء ولا مكانة له في نظام الاسلام القانوني .

الأوصاف اللازمة للمجتهدين :

ولأن الاجتهاد ليس المقصود به احداث الثلم في القانون الالهي ليستبدل به القانون الانساني ، وانما مقصود به فهم القانون الالهي فهما دقيقا وجعل نظام الاسلام القانوني ملبيا لحاجات البشر مجاريا لتطور الزمان تحت هدايته وارشاده ، فلا يصح اي اجتهاد الا بأن يكون المتولون لمهمته على جانب عظيم من الصفات الآتية :

1 — الايمان بالشريعة الالهية ، والايقان بكونها الحق ، والعزيمة الخالصة لاتباعها ، وخلو الذهن والفكر من الرغبة في التحلل من حدودها وقيودها ، وعدم اخذ الغايات والمبادىء من مصدر غير مصدرها .

2 — الالمام الجيد باللغة العربية وقواعدها وأساليب ادبها ، لأن اللغة العربية هي التي بها نزل القرآن ولا يتسنى معرفة السنة الا بها .

3 — التضلع بعلم القرآن والسنة حتى لا يعرف به الانسان احكام الشريعة الفرعية ومواضعها فحسب ، بل يفهم ايضا قواعدها الكلية وغاياتها معرفة جيدة : يجب ان يعرف المجتهد ما هي خطة الشريعة لاصلاح الحياة الانسانية بأجمعها ، ويعرف الى جانب ذلك ما هي مكانة كل شعبة من شعب الحياة في هذه الخطة الجامعة الشاملة ، وما هي الخطوط التي تريد الشريعة ان تؤسس عليها مختلف شعب الحياة وما هي المصالح التي ترمي اليها في تأسيسها . او بكلمة موجزة ان الاجتهاد شيء يتطلب الانسان علما بالقرآن والسنة يوصله الى مغزى الشريعة وجوهرها .

4 — الوقوف على تراثنا القانوني الذي ورثناه عن فقهاء السلف ، والحاجة اليه ليست للتدريب على الاجتهاد فحسب ، بل هي كذلك لاستمرار الارتقاء القانوني ، لأنه ليس — ولا يسوغ أن يكون — المقصود بالاجتهاد ان يهدم كل جيل جديد ما بناه سالفه او يحكم عليه بالبلى ويشرع في بنائه من جديد .

5 — التخلق بالاخلاق الفاضلة حسب مقياس الاسلام للاخلاق ، لأنه لا يمكن بدونه ان يطمئن عامة الناس الى اجتهاد المجتهدين ولا ان تنشأ في قلوبهم عاطفة الاحترام للقانون اذا كان قد قام بوضعه الافراد غير الصالحين .

ليس المطلوب ببيان هذه الاوصاف ان على كل مجتهد ان يثبت بدلائل على كونه متصفا بها ، بل المطلوب ببيانها انه لا يمكن بالاجتهاد انعاش القانون الاسلامي وترقيته على الخطوط الصحيحة ، الا بأن يكون نظامنا لتعليم القانون صالحا لاعداد رجال من ذوي العلم متصفين بهذه الاوصاف والاخلاق المذكورة، وكل تشريع بدون ذلك لا يمكن ان يتفق مع نظام الاسلام القانوني ولا ان يستسيغه مجتمع المسلمين

الطريق الصحيح للاجتهاد :

وكما ان قبول الامة شيئا من الاجتهاد والتشريع يتوقف على ان يكون المجتهدون صالحين للاجتهاد ، فكذلك هو يتوقف على أن يكون اجتهادهم بطريق صحيح يطمئن اليه . فالشريطة الاولى للاجتهاد الصحيح — سواء أكان تفسيرا لحكم او قياسا عليه او استنباطا منه — ان يكون مبنيا على دلائل من القرآن والسنة ، واما اذا كان التشريع في دائرة المباحات فعلى المجتهد ان يأتي بالدلائل على انه لا القرآن ولا السنة قررا حكما أو قاعدة في القضية ، ولا جاء في احدهما اساس القياس فيها . ويجب ان يكون الاستدلال بنصوص القرآن والسنة قائما على قاعدة من القواعد المسلم بها بين اهل العلم . فاذا اراد المجتهد ان يستدل بالقرآن، فعليه ان لا يفسر كل آية الا بما تسمح به اللغة العربية وقواعدها وأساليبها المعروفة ، ويتفق مع سياق عبارة القرآن ، ولا يصطدم مع بيانات القرآن عن الموضوع نفسه في مواضع اخرى ، وتؤيده شروح السنة القولية والفعلية او لا تعارضه على الاقل. واذا أراد ان يستدل بالسنة الفعلية — مع رعاية اللغة وقواعدها وسياق العبارة — ان لا يستدل في مسألة ما الا بروايات صالحة لقيام الحجة بها حسب أصول علم الرواية ، ولا يغفل ما في تلك المسألة الخاصة من الروايات القوية الاخرى ، ولا يستنتج من رواية ما

يخالف الكتاب والسنة الثابتة بالطرق القوية الاخرى ، وكل اجتهاد لا تراعى فيه هذه الامور ولا يقوم الا على أساس اهواء النفوس ورغباتها وامانيها ، فانه لو جعل جزءا من القانون بالقوة السياسية ، لن يقبله ضمير المسلمين الاجتماعي ، ولن يكون جزءا من نظام الاسلام القانوني . انه يبقى جزء من القانون ما دامت القوة السياسية التي تنفذه آخذة بزمام نظام الحكومة ، ثم لا يكون محله مع زوالها الا الى سلة الاوراق المهملة .

كيف ينال الاجتهاد درجة القانون :

ونظام الاسلام للقانون فيه عدة صور لنيل اجتهاد فرد او طائفة درجة القانون . فمنها ان ينعقد عليه اجماع اهل العلم من الامة ، ومنها ان يتلقاه الجمهور بالقبول كما قد تلقوا الفقه الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي فى غير واحد من البلاد الاسلامية ، ومنها ان تتبناه حكومة من حكومات المسلمين وتجعله قانونا لنفسها ، ومنها أن يكون فى الدولة مجلس للتشريع حسب الدستور فيسن القانون باجتهاده . اما اجتهاد مختلف اهل العلم علاوة على هذه الصور ، فهو بمثابة الفتوى لا اكثر . واما أقضية القضاة فى المحاكم فهي — على نفاذها فى ما يرفع اليهم من الدعاوي وكونها بمثابة النظائر والاشباه — لا تكون قانونا بالمعنى الصحيح ، حتى ان اقضية الخلفاء الراشدين ، لم تنل درجة القانون فى الاسلام مما صدرت عنهم بصفتهم قضاة فى المحكمة ، لأن الاسلام لا مكانة فيه للقانون الموضوع على ايدي القضاة (أي Judge made Law)

— * —

قام احد من دعاة انكار السنة فى باكستان وأثار بعض الشبهات حولها ، بعدما القى سماحة الاستاذ المودودي هذه المحاضرة ، فانبرى سماحته للرد على شبهاته كما يلي :

اني سأحاول فى هذا البحث ان اجيب — باقصى ما يمكن من الايجاز — على ما قد اثير من الاعتراضات، حول مقالي فى « حدود التشريع فى الاسلام ومكانة الاجتهاد فيه » .

فالاعتراض الأول هو على المكانة التي بينتها للسنة مع القرآن فى التشريع الاسلامي . فاريد — جوابا على هذا الاعتراض — ان اقدم اليكم امورا، حتى تتضح لكم القضية ، وذلك بالترتيب الآتي :

اولا : ان من الحقائق التاريخية الثابتة ، التي لا تقبل الانكار والجحود ، ان الرسول صلى الله عليه وسلم ، ما كان قد اكتفى — بعد أن اكرمه الله تعالى برسالته — بتبليغ الناس القرآن ، بتلاوته عليهم ، بل كان مع ذلك ، قد قام بحركة شاملة ، ظهر كنتيجة لها، مجتمع اسلامي خالص ، ونظام جديد للمدنية والحضارة وقامت دولة واسعة فى بلاد العرب . فالسؤال الذي ينشأ فى هذا الصدد ، ان جميع هذه الاعمال التي قام بها الرسول ، عليه الصلاة والتسليم ، علاوة على تبليغ القرآن بتلاوته على الناس ، بأي صفة وعلى اي اعتبار كان قد قام بها ، هل كان قيامه بها من حيث كان رسولا من الله ، ممثلا لمرضاته ، مثل تمثيل القرآن اياها ، أم انما كانت رسالته تنتهي بمجرد تلاوته ما ينزل عليه من القرآن حتى لم يكن بعدها الا رجلا عاديا من عامة المسلمين ، حيث لا حجة بقوله ولا عبرة بفعله فى حد ذاته من الوجهة القانونية ؟ فاذا سلمنا بالصورة الأولى ، فلا بد لنا ان نسلم بالسنة حجة قانونية مع القرآن . واما فى الصورة الثانية ، فلا مبرر البتة ، لجعلها من القانون .

ثانيا : اما القرآن ، فيبين لنا بيانا واضحا شافيا لا لبس فيه ولا ابهام ، ان الرسول صلى الله عليه وسلم ، ما كان مبلغا لما ينزل عليه من القرآن فحسب ، بل كان — مع ذلك — اماما للناس وحاكما ومعلما يجب على المسلمين ان يتبعوه ويطيعوه على المنشط والمكره ويعتبروا حياته اسوة لأنفسهم .

واما العقل ، فيأبى كل الاباء ان يعترف بقول من يقول ان الرسول انما هو رسول لحد تبليغه للناس كلام ربهم وما هو بعد ذلك الا رجلا مثل سائر الرجال.

اما المسلمون منذ بدء الاسلام الى يومنا هذا ، فما زالوا ولا يزالون مجمعين على الاعتقاد بأن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم اسوة واجبة الاتباع ، وان كل امر من اوامره ونهي من نواهيه يجب الوقوف عنده . ان هذه هي العقيدة، التي ما زال ولا يزال عليها المسلمون حتى أنه لا يكاد يسع ولا لعالم لغير مسلم ان يجحد بأن هذه هى مكانة الرسول التي آمن بها المسلمون فى كل مكان وفى كل زمان ، وانهم لأجل هذا ما زالوا يسلمون بسنته مصدرا اساسيا لقانونهم مع القرآن . وليت شعري كيف يجوز لرجل فى هذا الزمان ، ان يتحدى هذه المكانة للسنة ، ما دام لا يعلن اعلانا واضحا سافرا ان محمدا صلى الله عليه وسلم انما كان نبيا الى حد تبليغه القرآن ، حيث كانت نبوته تنتهي بمجرد فراغه من تلاوته على الناس . ثم ان هذا

الرجل — اذا كان يدعي ذلك — عليه ان يبين ان كان يعطي الرسول هذه المكانة من عند نفسه أو ان القرآن هو الذي قد اعطى الرسول هذه المكانة؟ امافي الصورة الأولى فلا علاقة له بالاسلام ابدا . واما في الصورة الاخرى ، فعليه ان يستدل بنص من نصوص القران .

ثالثا : والسؤال الذي ينشأ بعد تسليمنا بالسنة مصدرا اساسيا للقانون في حد ذاتها ، هو : ما هي الوسيلة لمعرفة السنة ؟ فاقول جوابا على هذا ان ليس لأول مرة قد واجهنا السؤال بأن السنة ، التي تركتها في الدنيا تلك الرسالة التي كانت قد ظهرت في بلاد العرب قبل الف وخمس مائة سنة ، ماذا كانت هي ؟ فهناك حقيقتان تاريخيتان لا تقبلان الانكار أو المكابرة ، اولاهما : ان المجتمع الذي تأسس على تعليم القرآن وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم منذ بدء الاسلام ، انه لا يزال حيا قائما الى هذا اليوم وما فارقته حياته ليوم واحد ، وما زالت جميع مؤسساته طيلة هذه المدة قائمة باعمالها بصفة غير منقطعة وان التشابه الذي يوجد اليوم بين المسلمين في جميع اقطار الارض على تباعدها في عقائدهم واساليب فكرهم واخلاقهم وقيمهم وعباداتهم ومعاملاتهم وتنظريتهم في الحياة وطريقتهم لها — ان هذا التشابه أو التماثل بين المسلمين الذي يغلب فيه عنصر التوافق والتطابق على عنصر التخالف والتفارق ، لهو دليل واضح ، وبرهان قاطع ، على ان هذا المجتمع انما اقيم على سنة واحدة بعينها ، وان هذه السنة ما زالت في مجراها بصفة واحدة بدون انقطاع ولا توقف . ان هذه السنة ليست بشيء مفقود حتى نحتاج للبحث عن آثارها الى التخبط خبط عشواء في الظلمات .

والحقيقة التاريخية الثانية ، التي لا تقل عن الاولى في جلائها وسطوعها ، هي ان المسلمين ما زالوا في كل زمان بعد الرسول صلى الله عليه وسلم يبذلون سعيهم ليعرفوا ما هي السنة الثابتة ، وما هي الشيء الاجنبي الذي يحاول التسرب الى نظامهم للحياة بطريق صناعي ؟ وبما انهم كانوا يرون في السنة مصدرا لقانونهم ، وما كانت تحكم محاكمهم الا بها ولا كانت تجري شؤون حياتهم — من شؤون بيوتهم الى شؤون حكوماتهم — الا على اساسها ، فما كان لهم بوجه من الوجوه ، ان يكونوا من الغافلين غير المكترثين لشيء في تحقيقها . فما زال كل جيل منا — منذ خلافة الاسلام الاولى الى هذا اليوم — يرث عن سالفه وسائل هذا التحقيق ونتائجه ولا يزال محتفظا به عندنا اليوم كل عمل تم على يد جيل من اجيالنا الماضية ، بدون انقطاع ولا ضياع .

فهاتان الحقيقتان التاريخيتان اذا تأمل فيهما الانسان ودرس ما اتخذ من الوسائل لنقل السنة دراسة علمية وافية ، لا تكاد تساوره الشبهة بأن قضية تحقيق السنة ووسائل معرفتها معضلة ، لا يمكن ان يوجد لها حل .

رابعا : لا شك ان قد ظهرت في الماضي ، ويجوز ان تظهر في المستقبل كذلك ، اختلافات كثيرة في المسلمين حول تحقيق السنة وتعيينها ، ولكن أليس من الحقيقة في الوقت نفسه ان قد ظهر ويجوز ان تظهر في المستقبل كذلك ، مثل هذه الاختلافات في المسلمين حول تعيين المعنى لكثير من احكام القرآن وآياته ، فاذا كان لا يجوز ان يكون وجود مثل هذه الاختلافات دليل على ترك القرآن، فكيف يجوز ان يكون دليلا على ترك السنة ؟ ومن القواعد الذي ما زال يعترف بها من قبل ، ولا بد من الاعتراف بها اليوم ايضا ، ان كل من يدعي شيئا انه من أحكام القرآن أو احكام السنة ، عليه ان يأتي بدليل على دعواه . فان كانت دعواه قوية ، فلا بد ان ترغم اهل العلم من الأمة او عددا كبيرا منهم على الأقل ، على الاعتراف بصحتها. واما ان كانت دعواه بدون وزن باعتبار الدليل ، فلا تنال رواجا في الأمة ابدا . وهذه هي القاعدة التي على اساسها قد اجتمع عشرات الملايين من المسلمين في مختلف اقطار الأرض على مذهب من المذاهب الفقهية واقامت جماعات كبيرة منهم نظامها الاجتماعي على طريق من الطرق لتفسير احكام القرآن ومجموعة من مجامع السنة الثابتة .

هذا هو جوابي على الاعتراض الاول . اما الاعتراض الثاني على مقالي ، فهو أن فيه التناقض ، اي ان قولي : « ان ليس لفقيه ولا لقاض ولا لمجلس تشريعي ان يغير في أحكام الكتاب والسنة القاطعة » ، وقولي أنه يجب أن يشخص بصدد تفسير الاحكام انه اين والى اي حد يجوز للانسان التشريع للحالات والوقائع الاستثنائية على ان لا يصطدم مع احكام الشريعة وقواعدها » . فهنا القولان بينهما التناقض في نظر المعترض . غير اني ما استطعت ان اجد بينهما هذا التناقض ، لأن الدنيا لا يوجد فيها قانون ، الا وفيه الاستثناء من القاعدة العامة في حالة الاعتذار والاضطرار ، وان القرآن نفسه فيه غير نظير واحد لمثل هذه الرخص والاستثناءات ، وان الفقهاء قد حددوا القواعد التي لا بد من رعايتها في تعيين الرخصة ومواقعها ، كقاعدة : الضرورات تبيح المحظورات وقاعدة : ان المشقة تجلب التيسير .

والاعتراض الثالث ، على جميع أولئك الذين قد بينوا في مقالاتهم شرائط للاجتهاد والمجتهدين ، وبما اني واحد من هؤلاء ، أرى من الواجب على نفسي ان اقوم بالرد على هذا الاعتراض .

فالذي يحسن بي — في هذا الصدد — ان أطالب المعترض بأن يتفضل ويعيد النظر مرة أخرى في ما بينت في مقالي من الشرائط ، ويبين اي هذه الشرائط يريد اسقاطه ؟ أشرط ان يكون المجتهد مؤمنا بالشريعة الاسلامية وموقنا بكونها الحق ؟ ام شرط ان يكون ملما باللغة العربية وقواعدها واساليب ادبها ؟ ام شرط ان يكون متضلعا من علم القرآن والسنة ؟ ام شرط ان يكون واقفا على تراث الأمة القانوني الذي ورثناه عن فقهاء السلف ؟ أم شرط ان يكون مطلعا على احوال الحياة العلمية ؟ ام شرط ان يكون متخلقا بالأخلاق الفاضلة حسب مقياس الاسلام للاخلاق ؟ هذه هي الشرائط التي بينتها في مقالي . فليتكرم المعترض ويبين بالتحديد اي شرط من هذه الشرائط يجب حذفه؟ اما القول بأنه لا يمكن ان يوجد في الدنيا كلها الا عشرة او أحد عشرة رجلا يعتبر اهلا لمثل هذه الشرائط ، فاني لا ارى هذا القول الا مبالغة شنيعة في سوء الظن بمسلمي الدنيا ، ولعلنا لم نتل الانحطاط حتى في نظر اعدائنا الى درجة ان لا يروا من بين مسلمي الدنيا كلها — الذين يتراوح عددهم بين أربع مائة مليون وخمس مائة مليون — الا عشرة او احد عشرة رجلا متصفين بهذه الصفات اللازمة للاجتهاد . واقول انكم اذا كنتم متشوقين الى فتح باب الاجتهاد لكل زيد وعمرو ، فافتحوه على الراس والعين، ولكن بينوا لي على الاقل ان الاجتهاد الذى سيتولاه الجهال بالاسلام، غير المقيدين بالاخلاق ، غير المخلصين في ارادتهم ، المشبوهين في نياتهم ، ماذا ستعملون لجعل اجتهادهم شرابا عذبا فراتا يستسيغه جمهور المسلمين .

ابو الاعلى المودودي
امير الجماعة الاسلامية بباكستان

والمفـــلــس ...؟

والمفلس عند النـاس اكذب من لمعان السـراب ، ومن سحاب تموز ، لا يسأل عنه ان غاب ، ولا يسلم عليه ان قدم ان غاب شتموه ، وان حضر حقـروه ، وان غضـب صفعـوه ، مصافحته تنقض الوضوء ، وقرابته يقطع الصلاة، اثقل من الامانة، وابغض من الملحف الملـزم .!

بمناسبة أسبوع الإمام مالك

نظريات الإمام مالك حول العقيدة والعبادات وكذلك حول المصالح التي لم يرد في نظيرها نص خاص ...

للأستاذ محمد الطنجي

- الاسلام دين اجتماعي ، مكانة السنة من القرآن.
- درجة الامام مالك بين المحدثين والنقاد .
- نادرة في حفظ مالك العجيب .
- الشاطبي يرى ان العلوم الخادمة للشريعة ليست من البدع .
- بين الامام مالك والغزالي في قضايا المصالح المرسلة .
- مباحث نجم الدين الطوفي في تقديم المصالح على النص الشرعي

لا يخفى ان الاسلام دين اجتماعي وهو بمبادئه واصوله صالح لكل زمان ومكان وقد تكونت في ظله وقت تطبيق احكامه وتنفيذ شريعته دول وحضارات ذات كيان قوي وشخصية قائمة ، وصولة بهرت العالم ، ومهر في فهم مراميه وترتيب احكامه وتبيين مقاصده واغراضه علماء مختصون كانوا في الحقيقة ورثة الانبياء بمعرفتهم للشريعة وصلاحهم وسلوكهم فكانوا نعم القدوة لاتباع هذا الاسلام بما جاءوه وبينوه من مقاصد ، وما أسسوا واحكموا من قواعد ، فسار على نهجهم وطريقتهم اتباعهم في مختلف الشعوب والامصار ومن أهم الائمة وافضلهم الامام مالك امام دار الهجرة رحمه الله الذي كان عمدة في حفظ سنة الرسول عليه السلام واماما من ايمتها الكبار .

ومن المعلوم عند كل من له المام بشريعة الاسلام ان السنة النبوية الشاملة لاقوال الرسول عليه السلام وافعاله وتقريراته هي في الدرجة الثانية من كتاب الله العزيز وهي في الحقيقة بيان للوحي الالاهي المتلو المتعبد بتلاوته فهي وحي غير متلو بشاهد قول الله تعالى : « ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى » حسب استدلال بعض العلماء ، الا ان الذكر الحكيم تكفل الله سبحانه بحفظه من التغيير والتبديل والسنة النبوية هيأ الله عزت قدرته علماء نقادا مخلصين ، نفوا عن السنة تأويل الجاهلين وانتحال المبطلين وتحريف الغالين حتى تأدت الى الخلف الصالح السنة الصحيحة الثابتة عن الرسول الهادي الاعظم عليه السلام مع كتاب الله تعالى طاهرة نقية كما ورد في الحديث الشريف : « يحمل هذا العلم من كل خلف عدو له ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين » .

وعدول الخلف فى العلم الديني من كتاب وسنة يعرفون تمام المعرفة ان السنة هي بيان للكتاب على اعتبارات خاصة مثل بيان المجمل او النظر الى المعاني الكلية التي يرجع اليها التشريع القرآني الى غير ذلك.

فكان لابد من التثبت فى نقل سنة الرسول حتى تجعل فى المرتبة الخاصة بها بجانب القرآن .

ومن المعروف المشهور ان الدولة الاسلامية او الخلافة الاسلامية بمعنى ادق لما امتد سلطانها وشملت أمما وشعوبا وكانت لتلك الامم والشعوب ثقافتهم وعلومهم وتقاليدهم الخاصة احتاج العصر الى بيان تفصيلي يستوعب توجيه المجتمع الاسلامي فى خصوص المعاملات الى التمسك بالتشريع الاسلامي الذي تفرع عن اصول مبادئه وكلياته فى ميدان الاجتهاديات والنظريات والاحكام التي تضمن العدالة الاجتماعية فكان الاجتهاد من علماء الامصار فيما لم يرد فيه نص جلي واضح خاليا عن المعارض يعتمد عليه المفتون المجتهدون وقد حصل توسع مهم فى هذا الميدان شمل المسائل النازلة الواقعة ببيان حكم الشريعة فيها كما تطرق الى مسائل مفروضة فقط حتى يشمل القانون الفقهي ما يحتاج اليه الولاة من حكام وقضاة وغيرهم عندما تنزل بهم تلك المسائل والنوازل .

وهكذا كما قلنا فى خصوص المعاملات اما جانب العقيدة والعبادات فان الامام مالك رحمه الله كان لا يرى فيها غير اتباع ما ورد فى كتاب الله او احاديث الرسول الثابتة التى كان فيها عمدة ونقادا الى اقصى الحدود .

وتوجد شهادة كريمة للحافظ ابن عبد البر فى صحة مراسل الامام مالك فى كتاب التمهيد لما فى موطا الامام مالك من المعاني والاسانيد ، قال ابو عمر : لعلم الاسناد طرق يصعب سلوكها على من لم يصل بعنايته اليها ويقطع كثيرا من ايامه فيها ، ومن اقتصر على حديث مالك رحمه الله فقد كفي تعب التفتيش والبحث ووضع يده من ذلك على عروة وثقى لا تنفصم ، لان مالكا قد انتقد وانتقى ، وخلص ولم يرو الا عن ثقة حجة ، وسترى موقع مرسلاته وموضعها من الصحة والاشتهار فى النقل فى كتابنا هذا ان شاء الله ، ثم ذكر ابن عبد البر الاعتذار عن مالك لروايته عن ابن ابي المخارق ، لانه لم يكن من اهل بلده وكان حسن السمت والصلاة فغره ذلك منه ولم يدخل فى كتابه حكما افرده به انتهى قول الحافظ ابن عبد البر .

فالامام مالك رحمه الله سبق كثيرا من ايمة الامصار المتبوعين فى الوجود فدرس الشريعة دراسة وافية وكانت له مواقف خاصة من رواة الحديث فى باب الجرح والتعديل ومن المعلوم انه شهد وجود أناس يحدثون بما يسمعون فقص من غلوهم فى الرواية عمن هب ودب ، بمكانته الاجتماعية والعلمية المرموقة حتى كان له الامر بالسجن لمن استحق ذلك بروايته الاحاديث غير الصحيحة قال ابن ابي اويس: سمعت مالك يقول : ان هذا العلم دين فانظروا عمن تاخذونه لقد ادركت سبعين ممن يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند هذه الاساطين فما اخذت عنهم شيئا وان احدهم لو ائتمن على بيت المال لكان امينا ، الا انهم لم يكونوا من اهل هذا الشأن ، قال ابن عيينة ما رايت احد اجود اخذا للعلم من مالك ، وما كان اشد انتقاءه للرجال والعلماء ، قال ابن ابي اويس ما كان يتهيا لاحد بالمدينة ان يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا حبسه مالك (يعني اذا حدث بغير الاحاديث الصحيحة) قال فاذا سئل فيه قال يصحح ما قال ثم يخرج وبهذا التحري فى أخذ الحديث مع المعرفة بطرقه قال الامام البخاري كلمته المشهورة ان أصح الاسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر ، بعد ان اختلف غيره فيما هو أصح الاسانيد ، وهذا السند هو المعروف بسلسلة الذهب ، وكان الامام مالك آية فى حفظ الحديث تعجب منه شيخه الزهري، روى الحافظ ابن عبد البر فى كتاب التمهيد عن حسين بن عروة عن مالك قال قدم علينا الزهري فاتيناه ومعنا ربيعة — يعني مالك شيخه ربيعة الرأي — فحدثنا (اي الزهري) بنيف واربعين حديثا قال (أي مالك) ثم اتيناه من الغد فقال انظروا كتابا حتى احدثكم منه ، ارايتم ما حدثتكم أمس اي شيء فى ايديكم منه ؟ فقال له ربيعة ها هنا من يرد عليك ما حدثت به أمس قال من هو ؟ قال ابن أبي عامر قال هات قال مالك فحدثته باربعين حديثا منها فقال الزهري ما كنت أظن انه بقي أحد يحفظ هذا غيري انتهى .

وكان الامام مالك رحمه الله من جهة اخرى لا يرى الجدال فى عقيدة الاسلام لما يخشى على صاحبه من تخلخل العقيدة او الانتقال من عقيدة لاخرى حسب الزام الخصوم فى الجدال نقل القاضي عياض فى كتابه الاعتصام عن معن بن عيسى ، قال : انصرف مالك يوما الى المسجد وهو متكيء على يدي فلحقه رجل يقال له ابو الجديرة يتهم بالارجاء فقال يا ابا عبد الله اسمع مني شيئا اكلمك به واحاجوك واخبرك برايي فقال له احذر ان اشهد عليك قال والله ما أريد الا

الحق اسمع مني فان كان صوابا فقل به او فتكلم قال (اي مالك) فان غلبتني قال تتبعني قال فان غلبتك قال اتبعك قال : فان جاء رجل فكلمناه فغلبنا قال اتبعناه فقال له مالك يا عبد الله بعث الله محمداً بدين واحد واراك تنتقل ثم نقل الشاطبي عن عمر بن عبد العزيز قوله : من جعل دينه غرضا للخصومات اكثر التنقل ، وقال : مالك ليس الجدال فى الدين بشيء انتهى

وكان اشياخ الامام مالك يرون فيه الاهلية التامة للفتوى فى امور الدين قال القرافي فى الفرق الثامن والتسعين وما افتى مالك حتى اجازه اربعون محنكا وكان التحنك وهو اللثام بالعمائم تحت الحنك شعار العلماء وقد ادركنا بعض العلماء يفعلون ذلك ويسمونه النكاب بالكاف المعقوفة (هي النقاب) وهو اللثام انتهى .

وقد برز الامام مالك فى ميدان الاجتهاد بانيا اجتهاده على أصول الشريعة الكلية ومبادئها العليا التى تكفل مصالح المتمسكين بها حتى اعترف العلماء السلفيون المخلصون بوجاهة نظرياته الاجتهادية فى باب الاجتهاد فهذا الامام الشاطبي فى كتابه الاعتصام يتعرض لبحث المصالح المرسلة حتى يفرق بينها وبين البدع المحدثة فى الدين وبين ان العلوم الخادمة للشريعة كسائر المصالح ليست من البدع المحدثة التي يقصد منه التعبد بزيادة فى الدين فانه رحمه الله عند ما يذكر تعريف البدعة فى الدين يقول اذ البدعة انما خاصتها انها خارجة عما رسمه الشارع ، وبهذا القيد انفصلت عن كل ما ظهر لبادي الراي انه مخترع ، مما هو متعلق بالدين كعلم النحو والتصريف ومفردات اللغة واصول الفقه واصول الدين وسائر العلوم الخادمة للشريعة فانها وان لم توجد فى الزمن الاول فاصولها موجودة فى الشرع اذ الامر باعراب القرآن منقول وعلوم اللسان هادية للصواب فى الكتاب والسنة فحقيقتها اذن انها فقه التعبد بالالفاظ الشرعية الدالة على معانيها كيف تؤخذ وتؤدى .

واصول الفقه انها معناها استقراء كليات الادلة حتى تكون عند المجتهد نصب عين وعند الطالب سهلة الملتمس .

وكذلك اصول الدين وهو علم الكلام انما حاصله تقرير لادلة القرآن والسنة او ما ينشأ عنهما فى التوحيد وما يتعلق به كما كان الفقه تقريرا لادلتها فى الفروع العبادية .

ثم اورد الامام الشاطبي تساؤلا حول هذه الخدمة للشريعة الاسلامية من المخترعات المبتدعة واجاب عنه بما يوضح خروجه عن الابتداع فى الدين فقال : فان قيل فان تصنيفها على ذلك الوجه مخترع فالجواب ان له اصلا فى الشرع ففي الحديث ما يدل عليه ولو سلم انه ليس فى ذلك دليل على الخصوص فالشرع بجملته يدل على اعتباره وهو مستمد من قاعدة المصالح المرسلة وسياتي بسطها بحول الله . فعلى القول باثباتها فلا اشكال ان كل علم خادم للشريعة داخل تحت ادلته التي ليست بماخوذة من جزىء واحد فليست ببدعة البتة .

وعلى القول بنفيها لابد ان تكون تلك مبتدعات واذا دخلت فى علم البدع كانت قبيحة لان كل بدعة ضلالة . كما ياتي بيانه ان شاء الله .

ويلزم من ذلك ان يكون كتاب المصحف وجمع القرآن بدعة وهو باطل بالاجماع فليس اذا ببدعة ويلزم أن يكون له دليل شرعي وليس الا هذا النوع من الاستدلال وهو الماخوذ من جملة الشريعة .

واذا ثبت جزىء فى المصالح المرسلة ثبت مطلق المصالح المرسلة ، فعلى هذا لا ينبغي ان يسمي علم النحو او غيره من علوم اللسان او علم الاصول او ما اشبه ذلك من العلوم الخادمة للشريعة بدعة اصلا ومن سماه بدعة فاتما على سبيل المجاز كما سمى عمر بن الخطاب قيام الناس فى ليالي رمضان بدعة واما جهلا بمواقع السنة والبدعة فلا يكون قول من قال ذلك معتدا به ولا معتمدا انتهى كلامه .

ويعتبر المرحوم السلفي الرائد الشيخ رشيد رضا الامام الشاطبي فارس الحلبة فى تبيين صلاحية الشريعة الاسلامية لبناء مجتمع راق فى عدالة اجتماعية شاملة فيقول رحمه الله فى تقديمه لكتاب الاعتصام : وما لي لا اذكر لعلماء الشرع الاعلام ، ولاهل السياسة من علماء الحقوق والامراء والحكام ، اهم ما شرحه لهم هذا الكتاب من اصول الاسلام ، وهو بحث المصالح المرسلة والاستحسان من اصول مذهب مالك وابي حنيفة النعمان وبهما يظهر اتساع الشرع لمصالح الناس فى كل زمان ومكان

ثم كشف كل شبهة ، وازال كل غمة فبين ان البدع ليست من هذين الاصلين فى ورد ولا صدر ، ولا تتفق معهما فى علة ولا غرض فان البدعة كيفما كانت صفتها استدراك على الشرع وافتيات عليه .

اما المصالح المرسلة والاستحسان فهي موافقة لحكمته ، وجارية على غير المعين من عموم بياناته

وادلته ، وقد اورد المصنف ما قيل في تعريف دينك الاصلين ووضح ذلك بالشواهد والامثلة فلو انك قرات جميع ما تتداوله المدارس الاسلامية من كتب اصول الفقه وفروعه لاثنيت وانت لا تعرف حقيقة المصالح المرسلة والاستحسان كما تعرف من هذا البحث الذي اوردها المصنف فيه تابعة لبيان حقيقة البدعة لا مقصودة بالذات انتهى كلامه .

والمصالح المرسلة في الحقيقة وسد الذرائع تمس روح التشريع وتقوم على اساس القواعد التي رعاها الشارع الحكيم في الامور الاجتماعية وحفظ النظام العام في المجتمع وقد تشتبه المصالح المرسلة بالبدع احيانا عند من لم يكن عنده اطلاع عميق على مرامي التشريع الاسلامي ولذلك تجد الامام الشاطبي بنى نظرياته في بيان الفوارق بين البدع والمصالح المرسلة على ما اعتبره مالك من أن الشريعة الاسلامية فيها قسم العبادات الخاصة التي يتلقى من الشارع لاعتقاده والعمل به من غير بحث عن علله واسبابه مثل هيآت الصلاة وعدد ركعات فرائضها واحكام الوضوء والغسل من الجنابة دون الغسل العام من الفضلات الاخرى التي تخرج من الانسان المكلف الى آخر هذه الامور وهناك قسم آخر في الشريعة الاسلامية وهو قسم المعاملات .

يقول الشاطبي في وقوف الامام مالك مع نص الشارع في العبادات : التزم مالك في العبادات عدم الالتفات الى المعاني ، وان ظهرت لبادىء الرأي وقوفا مع ما فهم من مقصود الشارع فيها من التسليم على ما هي عليه ثم يقول ودورانه في ذلك كله على الوقوف على ما حده الشارع دون ما يقتضيه معنى مناسب ان تصور لقلة ذلك في التعبدات وندوره بخلاف قسم العادات الذي هو جار على المعنى المناسب الظاهر للعقول ، فانه استرسل فيه استرسال المدل العارف في فهم المعاني المصلحية نعم مع مراعاة مقصود الشارع ان لا يخرج عنه ولا يناقض اصلا من صوله، حتى لقد استشنع العلماء كثيرا من وجوه استرساله زاعمين انه خلع الربقة وفتح باب التشريع وهيهات ما ابعده عن ذلك رحمه الله بل هو الذي رضي لنفسه في فقهه بالاتباع بحيث يخيل لبعض انه مقلد لمن قبله بل هو صاحب البصيرة في دين الله حسبما بين اصحابه في كتابة سيره .

بل حكى عن أحمد بن حنبل انه قال : اذا رايت الرجل يبغض مالك : فاعلم انه مبتدع ، وهذه غاية في الاتباع قال أبو داود أخشى عليه البدعة « يعني المبغض لمالك » وقال ابن مهدي اذا رايت الحجازي يحب مالك بن انس فاعلم انه صاحب سنة واذا رايت احدا يتناوله فاعلم انه على خلاف السنة .

ولابد هنا من بيان التفرقة بين البدعة في الدين المنصوص على ردها وعدم اعتبارها في قول الرسول عليه السلام كل عمل ليس عليها امرنا فهو رد ، وبين المصالح المرسلة التي اعتبرها أولا الامام مالك ثم انتج البحث ان كثيرا من الائمة يقولون بها كما يقول الامام القرافي وان انكروا على الامام مالك القول بها .

يفرق الامام الشاطبي بين البدعة والمصالح المرسلة بثلاثة امور أولها الملاءمة لمقاصد الشرع بحيث لا تنافي اصلا من اصوله ولا دليلا من دلائله .

والثاني ان عامة النظر فيها انما هو فيما عقل منها وجرى على دون المناسبات المعقولة التي اذا عرضت على العقول تلقته بالقبول فلا مدخل لها في التعبدات ولا ما جرى مجراها من الامور الشرعية لان عامة التعبدات لا يعقل لها معنى على التفصيل وقد بين الشاطبي بالامثلة هذه الاشياء التي ذكرها مثل عدد ركعات الصلاة والغسل من الجنابة كما اسلفنا .

ثم قال والثالث ان حاصل المصالح المرسلة يرجع الى حفظ امر ضروري ورفع حرج لازم في الدين ؟ يقول : اذا تقررت هذه الشروط فاعلم ان البدع كالمضادة للمصالح المرسلة لان موضوع المصالح المرسلة ما عقل معناه على التفصيل والتعبدات من شانها ان لا يعقل معناها على التفصيل .

واذ تبينا مفارقة المصالح المرسلة للابتداع في الدين ننتقل الى وجهة النظر في اعتماد المصالح المرسلة في التشريع الاسلام انتهى .

والامام مالك رحمه الله في باب المصالح وباب سد الذرائع ينظر الى روح الشريعة وكلياتها ويجري على مقتضاها ويستند في ذلك الى بعض القضايا من هذا النوع وقعت في عهد الخلفاء الراشدين من غير ان تكون منصوصا عليها من الرسول عليه السلام

وكذلك الشأن في باب سد الذرائع ، ومقصود الشرع من الخلق كما يقول الغزالي خمسة وهو ان يحفظ عليهم دينهم ونفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم ، فكل ما يتضمن حفظ هذا الاصول الخمسة فهو مصلحة، وقد تكلم حجة الاسلام الغزالي عن المصالح المرسلة وقال بجواز اداء الاجتهاد الى بعض صورها اذا كانت المصلحة في مقام الكلية القطعية الضرورية واوضح

الامام القرافي ضمن تعريفه للمصالح المرسلة حجة الامام مالك فى القول بها ، ووجهة نظر الغزالي فقال فى كتابه التنقيح عند كلامه على ادلة المجتهدين ما نصه « المصلحة المرسلة » ، والمصالح بالاضافة الى شهادة الشرع لها بالاعتبار على ثلاثة اقسام ما شهد الشرع باعتباره وهو القياس الذي تقدم ، وما شهد الشرع بعدم اعتباره نحو المنع من زراعة العنب لئلا يعصر خمرا .

وما لم يشهد له باعتبار ولا بالغاء وهو المصلحة المرسلة وهي عند مالك رحمه الله حجة ، وقال الغزالي ان وقعت فى محل الحاجة او التتمة فلا تعتبر وان وقعت فى محل الضرورة ، فيجوز ان يؤدى اليها اجتهاد مجتهد ، ومثاله تترس الكفار بجماعة المسلمين فلو كففنا عنهم لصدمونا واستولوا على دار الاسلام وقتلوا كافة المسلمين ، ولو رميناهم لقتلنا الترس معهم فيشترط فى هذه المصلحة ان تكون كلية قطعيةضرورية، فالكلية احتراز عما اذا تترسوا فى قلعة بمسلمين فلا يحل رمي المسلمين اذ لا يلزم من ترك تلك القلعة فساد عام والقطعية احتراز عما اذا لم تقطع باستيلاء الكفار علينا اذا لم نقصد الترس وعن المضطر يأكل قطعة من فخذه ، والضرورة احتراز عن المناسب الكائن فى محل الحاجة والتتمة هكذا نقل القرافي نظرية الغزالي فى تخصيص جواز القول بالمصالح المرسلة فى الصورة الكلية القطعية الضرورية ، ثم بين القرافي وجهة نظر الامام مالك واتباعه بقوله : لنا ان الله تعالى انما بعث الرسل عليهم الصلاة والسلام لتحصيل مصالح العباد عملا بالاستقراء فمهما وجدنا مصلحة غلب على الظن انها مطلوبة للشرع انتهى من التنقيح ثم شرع القرافي فى تبين اعتبار سائر المذاهب للمصالح المرسلة فقال قد تقدم ان المصلحة المرسلة فى جميع المذاهب عند التحقيق لانهم يقيسون ويفرقون بالمناسبات ولا يطلبون شاهدا بالاعتبار ولا نعني بالمصلحة المرسلة الا ذلك ثم قال القرافي ومما يؤكد العمل بالمصلحة المرسلة ان الصحابة رضوان الله عليهم عملوا امورا لمطلق المصلحة لا لتقدم شاهد بالاعتبار نحو كتابة المصحف ولم يتقدم فيه امر ولا نظير، وولاية العهد من أبي بكر لعمر رضي الله عنهما ولم يتقدم فيه امر ولا نظير ، وكذلك ترك الخلافة شورى ، وتدوين الدواوين وعمل السكة للمسلمين واتخاذ السجن فعل ذلك عمر رضي الله عنه وهذه الاوقاف التي بازاء مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والتوسعة بها فى المسجد عند ضيقه فعله عثمان رضي الله عنه وتجديد الاذان فى الجمعة بالسوق وهو الاذان الاول فعله عثمان رضي الله عنه ثم نقله هشام الى المسجد وذلك كثير جدا لمطلق المصلحة ثم قال القرافي مبينا مخالفة الشافعية لما انكروه على المالكية فى شأن المصلحة المرسلة فقال : وامام الحرمين قد عمل فى كتابه المسلمي بالغياثي امورا وجوزها وافتى بها والمالكية بعيدون عنها وقالها للمصلحة المطلقة وكذلك الغزالي فى شفاء الغليل مع ان الاثنين شديدا الانكار علينا فى المصلحة المرسلة انتهى .

والحقيقة اننا نجد الغزالي قال بجواز كثير من المسائل والقضايا التي يسميها المالكية وعلى رأسهم الامام مالك بالمصالح المرسلة الا انه يسميها باسماء اخرى وهذا المستصفي من اواخر مؤلفاته الفه بعد الاحياء والوجيز وجواهر القرآن وكمياء السعادة وجعله دون كتابه « تهذيب الاصول » وفوق (كتاب المنخول) وكلاهما فى الاصول له ، فقد اورد فى كتابه المستصفى عددا من المصالح المرسلة ثم اورد التساؤل الآتي على نفسه حيث قال فان قيل قد ملتم فى اكثر هذه المسائل الى القول بالمصالح ثم اورد تم هذاالاصل فى جملة الاصول الموهومة فليلحق هذا الاصل بالاصول الصحيحة ليصير أصلا خامسا بعد الكتاب والسنة والاجماع والعقل قلنا هذا من الاصول الموهومة اذ من ظن انه اصل خامس فقد اخطا لاننا رددنا المصلحة الى حفظ مقاصد الشرع ومقاصد الشرع تعرف بالكتاب والسنة والاجماع فكل مصلحة لا ترجع الى حفظ مقصود فهم من الكتاب والسنة والاجماع وكانت من المصالح الغريبة التى لا تلائم الشرع فهي باطلة مطروحة ، ومن صار اليها فقد شرع كما ان من استحسن فقد شرع ، وكل مصلحة رجعت الى حفظ مقصود شرعي علم كونه مقصودا بالكتاب والسنة والاجماع فليس خارجا من هذه الاصول لكنه لا يسمى قياسا بل مصلحة مرسلة اذ القياس اصلمعين، وكون هذه المعاني مقصودة عرفت لا بدليل واحد بل بأدلة كثيرة لا حصر لها من الكتاب والسنة وقرائن الاحوال وتفاريق الامارات تسمى لذلك مرسلة ، ثم قال الغزالي واذا فسرنا المصلحة بالمحافظة على مقصود الشرع فلا وجه للخلاف فى اتباعها بل يجب القطع بكونها حجة ، وحيث ذكرنا خلافا بذلك عند تعارض مصلحتين ومقصودين وعند ذلك يجب ترجيح الاقوى ولذلك قطعنا بكون الاكراه مبيحا لكلمة الردة وشرب الخمر واكل مال الغير وترك الصوم والصلاة لان الحذر من سفك الدماء أشد من هذه الامور ولا يباح به الزنى

لانه محذور الاكراه وقد استرسل الغزالي في قضية الترجيح بين المصالح فلينظره من اراد التوسع في هذا الموضوع الهام .

ومن المناسب ان نذكر بعض الامثلة لقضايا المصالح المرسلة لتوضيح مرامي هذا التشريع وأولها جمع القرآن وكتابة المصحف الذي فيه حفظ اصل الشريعة كما تقدم من غير ان يتقدم فيه أمر ولا نظير

ومنها قضية تضمين الصناع كالخياطين والخرازين والنساجين على ما ائتمنوا عليه من الثياب وأنواع غزل النسيج والجلود لاحتياج الناس اليهم مع ان الاجارة على الامانة ولكنهم اذا ائتمنوا ربما ادعوا الضياع من غير حجة فالزموا بضمان ما في حوزتهم حتى قال الامام علي كرم الله وجهه لا يصلح الناس الا ذاك .

ومما يراه مالك من باب المصالح المرسلة جواز السجن في التهم وان كان السجن نوعا من العذاب ونص اصحابه على جواز الضرب وهو عند الشيوخ من قبيل تضمين الصناع فانه لو لم يكن الضرب والسجن بالتهم لتعذر استخلاص الاموال من ايدي السراق والغصاب اذ قد يتعذر اقامة البينة .

وقد اعترض الغزالي على مذهب مالك في هذه القضية فقال فان قيل فالضرب بالتهمة بالسرقة فهل تقولون بها قلنا قد قال بها مالك رحمه الله ولا تقول به لا لابطال النظر الى جنس المصلحة لكن لان هذه المصلحة تعارضها مصلحة اخرى وهي مصلحة المضروب فانه ربما يكون بريئا من الذنب وترك الذنب في مذنب اهون من ضرب بريء فان كان فيه فتح باب يعسر معه انتزاع الاموال ففي الضرب فتح باب الى تعذيب البريء .

ويظهر من نص الشاطبي ان الضرب بالتهمة ليس منصوصا لمالك لانه قال ونص أصحابه (أي مالك على جواز الضرب واجاب الشاطبي عن نظرية الغزالي بقوله اذ لا يعذب احد لمجرد الدعوى بل مع اقتران قرينة تحيك في النفس وتؤثر في القلب نوعا من الظن فالتعذيب في الغالب لا يصادف البريء وان أمكن مصادفته فتغتفر كما اغتفرت في تضمين الصناع .

واقول مما يقوى هذا بالخصوص قضية اصحاب السوابق فلينو الوالي تعزير المتهم على ما سبق منه من السرقات والمخالفات كما يقول شيخ الاسلام ابن تيمية وقد ذكروا من فوائد هذا الضرب افادته في تعيين المتاع من جهة وانزجار غير هذا المتهم عن ارتكاب المخالفات وان كان اقرار المتهم تحت الضرب والاكراه لا يلزمه على ان السماح للمحامين بالاتصال بالمجرمين عند قوة التهمة يخلق مشاكل لا تساعد القضاء على التوصل الى استخراج الحقوق حيث يلقنون المجرم ان اقراره تحت الضغط وانه بريء

ويتفق الغزالي مع المالكية ايضا في توظيف اموال على الاغنياء اذا احتاج الامام المطاع الى مؤونة الجند بمقدار ما يكفيهم بشرط اخذه واعطائه على الطريقة الشرعية لا في الكماليات والحاجيات ، ومهمات الجند حفظ أرض الاسلام أو حفظ الامن داخل البلاد الاسلامية

يقول الغزالي في هذه القضية فان قيل فتوظيف الخراج من المصالح فهل اليه سبيل ام لا قلنا لا سبيل اليه مع كثرة الاموال في ايدي الجنود اما اذا خلت الايدي من الاموال ولم يكن من مال المصالح ما يكفي لخراجات العسكر ولو تفرق العسكر واشتغلوابالكسب لخيف دخول الكفار بلاد الاسلام اوثوران الفتنة من اهل العرامة في بلاد الاسلام فيجوز للامام ان يوظف على الاغنياء مقدار كفاية الجنود ثم ان راى في طريق التوزيع التخصيص بالاراضي فلا حرج لان انه اذا تعارض شران او ضرران قصد الشرع دفع احد الضررين وأعظم الشرين وما يؤديه كل واحد منهم قليل بالاضافة الى ما يخاطر به من نفسه وماله لو خلت خطة الاسلام عن ذيشوكة يحفظ نظام الامور ويقطع مادة الشرور انتهى ونفس هذا التشريع اقره الشاطبي مع مزيد ايضاح في كتابه الاعتصام .

ومن باب المصالح العامة قتل الجماعة كلها اذا تعاونت على قتل واحد عند الامام مالك والشافعي معا قال الشاطبي وعليه يجري عند مالك قطع الايدي باليد الواحدة

وكذلك تعرض الامام الشاطبي هنا لقضية الغرامة بالمال وفرق بين الغرامة عن الجنايةالممنوعة شرعا وبين الغرامة في المال اذا وقع التعدي فيه فوافق الشاطبي الامام الغزالي في منع العقوبة بالمال ولكن الغزالي اورد سؤالا عن عمل عمر في شان عماله الذين اثروا بسبب الولاية فساق صنيعه في قضية خالد ابن الوليد على الشكل الاتي فان قيل فقد روى ان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه شاطر خالد بن الوليد في ماله حتى اخذ رسوله نعله وشطر عمامته ، قلنا : المظنون من عمر انه لم يبتدع العقاب باخذ المال على

خلاف المألوف من الشرع وانما ذلك لعلم عمر باختلاط ماله بالمال المستفاد من الولاية واحاطته بتوسعته ، فلعله ضمن المال فرأى شطر ماله من فوائد الولاية فيكون استرجاعا للحق لا عقوبة فى المال ، انتهى وليس هذا العمل من عمر بن الخطاب خاصا بخالد بن الوليد وانما هو عام فى العمال الذين اثروا فى الولاية وهذا هو المبدأ الذي عنونه الكتاب المعاصرون بعنوان من أين لك هـــذا .

وتوجد نظرية نجم الدين الطوفي الذى تكلم عن تقديم المصلحة على النص فقد جمع الادلة الشرعيــة وتكلم عن المصلحة فى التشريع قال الشيخ رشيد رضى رحمه الله فى المجلد التاسع من المنار ان الاحكــام السياسية والقضائية والادارية (وهي ما يعبر عنها علماؤنا بالمعاملات) مدارها فى الشريعة الاسلامية على قاعدة در المفاسد وحفظ المصالح او جلبها قـــال واستشهدنا على ذلك بترك سيدنا عمر وغيره مـن الصحابة اقامة الحدود احيانا لاجل المصلحة فدل ذلك على انها تقدم على النص وقد طبعت فى هذه الايــام مجموعة رسائل فى الاصول لبعض ايمة الشافعيــة والحنابلة والظاهرية منها رسالة للامام نجم الديــن الطوفي الحنبلي المتوفى سنة 716 تكلم فيها عـــن المصلحة بما لم نر مثله لغيره من الفقهاء انتهى .

وقد تكلم الطوفي عن الادلة الشرعية واستنبــط تعميم النظر المصلحي من حديث « لا ضرر ولا ضرر » وهذا الحديث رواه مالك فى الموطا والامام احمد وقال الحاكم هو صحيح على شرط مسلم قال الطوفي ثم ان قول النبي صلى الله عليه وسلم لا ضرر ولا ضرار يقتضي رعاية المصالح اثباتا ونفيا والمفاسد نفيــا اذ الضرر هو المفسدة فاذا نفاها الشرع لزم اثبات النفع الذى هو المصلحة لانهما نقيضان لا واسطة بينهمــا ثم قال الطوفي عندما اراد التوسع فى هذه القضية حتى تقدم على النص « واعلم ان هذه الطريقة وهي التى قررناها مستفيدين لها من الحديث المذكور ليست هي القول بالمصالح المرسلة على ما ذهب اليه مالك بل هي ابلغ من ذلك وهي التعويل على النصوص والاجماع فى العبادات والمقدرات وعلى اعتبر المصالح فى المعاملات وباقي الاحكام ، انتهى .

واذا كانت سماحة الشريعة تعتمد روح الشريعة التي تحفظ مصالح المجتمع الى هذا الحد فلا شك مع هذا فى عدم اعتبار المصالح المجردة بل لابد من اعتبار روح العدالة ومكارم الاخلاق التي بعث الرسول الاكرم عليه السلام لتتميمها حتى يعاود المجتمع الاسلامي سيرته الطاهرة فى الوحدة والتعاون على البر والتقوى لا على الاثم والعدوان والله ولي المتقين .

الرباط ـ محمد الطنجي





الزبير بن العوام

للعميد الرحالي الفاروقي

الزبير بن العوام بن خويلد بن أسـد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب القرشي الاسدي ابو عبد الله، حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة واحد الستة اصحاب الشورى ، كان رضي الله عنه ابيض ، طويلا ، خفيف اللحم ، خفيف العارضين ، امه صفية بنت عبد المطلب عمة النبي صلى الله عليه وسلم ، أسلمت وهاجرت ، واسلم رضي الله عنه وهو ابن اثنتي عشرة سنة كماقاله عروة ولده ؛ فعذبه عمه نوفل بن خويلد بالدخان لكي يترك الاسلام فلم يفعل ، وهاجر الى الحبشة الهجرتين جميعـا .

وقد آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين عبد الله بن مسعود حين آخى بين اصحابه بمكة ، ولم يتخلف رضى الله عنه عن غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أول من سل السيف فى سبيل الله وذلك ان الشيطان اشاع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذ بأعلى مكة فسل الزبير سيفه وهو ابن اثنتي عشرة سنة ؛ وجعل يشق الناس حتى اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال مالك يا زبير ؟ فقال اخبرت بانك قد اخذت فصلى عليه ودعا له ولسيفه .

وعن جابر بن عبد الله الانصاري رضى الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : ان لكل نبي حواريا وان حواري الزبير بن العوام ، والحواري الناصر كما قال تعالى : « قال الحواريون نحن انصار الله » وقال قتادة : الحواريون كلهم من قريش ، ابو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وحمزة ، وجعفر ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وعثمان بن مظعون ، وعبد الرحمان ابن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وطلحة ، والزبير ، قيل لقتادة وما الحوايون ؟ قال الذين تصلح لهم الخلافة ، وعن عبد الله ابن الزبير كما فى صحيح البخاري قال كنت يوم الاحزاب جعلت انا وعمر بن سلمة فى النساء فنظرت فاذا انا بالزبير على فرسه يختلف الى بني قريظة مرتين او ثلاثة فلما رجعت قلت يا ابت رايتك تختلف الى بني قريظة ، قال او هل رايتني يا بني ؟ قلت نعم ، قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من يات بني قريظة فيأتيني بخبرهم فانطلقت فلما رجعت جمع لي رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ابويه فقال فداك ابي وامي .

وعن عروة بن الزبير كما فى صحيح البخاري ايضا ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا للزبير يوم وقعة اليرموك ـ وهي وقعة بين المسلمين والروم ـ الا تشد فنشد معك فحمل عليهم فضربوه ضربتين على عاتقه بينهما ضربة ضربها يوم وقعة بدر، قال عروة فكنت ادخل اصابعي فى تلك الضربات العب وانا صغير ، وقد كانت الغلبة للمسلمين فى هذه الوقعة على الرغم من ان جيش الكفر كان يتكون من سبعمائة الف ، وجيش الاسلام كان يتكون من خمسة واربعين الفا « ولله العزة ولرسوله وللمومنين » .

وقال عمر رضى الله عنه : ان الزبير ركن من اركان الدين ، وقال عثمان بن عفان رضى الله عنه لما قيل له فى سنة الرعاف سنة 31 ــ استخلف الزبير ابن العوام : والذي نفسي بيده انه لخير الناس واحبهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

كان الزبير رضى الله عنه صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ويوم فتح مكة ، وكان على رأسه فى وقعة بدر عمامة صفراء فنزلت الملائكة مددا للمسلمين على سيماه عليهم عمائم صفر ، وثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد وبايعه على الموت ، وروى البخاري عن عائشة رضى الله عنها انها قالت لعروة بن الزبير : كان ابوك من الذين استجابوا لله وللرسول من بعد ما أصابهم القرح ، تريد ابا بكر والزبير .

وكان رضى الله عنه محظوظا فى التجارة أدرك منها ما ادرك والله يبارك لمن يشاء وكان له الف مملوك يستغل خراجهم كل يوم فيتصدق به على الفقراء والمساكين ، ولا يدخر من ذلك درهما مع حاجته اليه.

مات رضى الله عنه وعليه دين كثير اوصى به ابنه عبد الله ، وكانت تركته تركة مباركة وفت دينه واغنت ورثته ، ففي صحيح البخاري فى باب بركة الغازي فى ماله ، عن عبد الله بن الزبير انه قال : لما وقف الزبير يوم الجمل دعاني فقمت الى جنبه ، فقال يا بني انه لا يقتل اليوم الا ظالم او مظلوم واني لا أراني الا ساقتل اليوم مظلوما ، وان من أكبر همي لديني افترى يبقى ديننا من مالنا شيئا، فقال يا بني بع مالنا فاقض ديني ، واوصى بالثلث لبنيه يعني عبد الله بن الزبير فان فضل من مالنا بعد قضاء الدين شيء فثلثه لولدك ، قال هشام وكان بعض ولد عبد الله قد وازى بعض بني الزبير ، وله يومئذ تسعة بنين وتسع بنات قال عبد الله فجعل يوصيني بدينه ويقول يا بني ان عجزت عنه فى شيء فاستعن عليه مولاي ــ قال فوالله ما دريت ما أراد حتى قلت يا أبت من مولاك ؟ قال الله ، قال فوالله ما وقعت فى كربة من دينه الا قلت يا مولاي الزبير اقض عني دينه فيقضيه ، فقتل الزبير رضى الله عنه ولم يدع دينارا ولا درهما الا ارضين منها (الغابة) واحدى عشرة دارا بالمدينة ، ودارين بالبصرة، ودارا بالكوفة ، ودارا بمصر ، قال وانما كان دينه الذى عليه ان الرجل كان يأتيه بالمال فيستودعه اياه فيقول الزبير لا ولكنه سلف فاني أخشى عليه الضيعة وما ولى امارة قط ولا جباية خراج ولا شيئا الا ان يكون فى غزوة مع النبي صلى الله عليه وسلم او مع ابي بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم ، قال عبد الله ابن الزبير فحسبت ماعليه من الدين فوجدته الفي الف ومائتي الف ، قال فلقى حكيم بن حزام عبد الله بن الزبير فقال يا ابن اخي كم على اخي من الدين فكتمه فقال مائة الف ، فقال حكيم والله ما ارى اموالكم تسع لهذا ، فقال له عبد الله أفرأيتك ان كانت الفي الف ومائتي الف ، فقال ما اراكم تطيقون هذا فان عجزتم عن شيء منه فاستعينوا بي ، قال وكان الزبير اشترى الغابة بسبعين ومائة الف فباعها عبد الله بالف الف وستمائة الف ، ثم قام فقال من كان له على الزبير حق فليوافينا بالغابة فأتاه عبد الله بن جعفر وكان له على الزبير اربعمائة الف ، فقال لعبد الله ان شئتم تركتها لكم ، قال عبد الله لا ، قال فان شئتم جعلتموها فيما تؤخرون ان اخرتم فقال عبد الله لا ، قال فاقطعو لي قطعة، فقال عبد الله لك من هاهنا الى هنا، قال فباع منها فقضى دينه فاوفاه وبقى منها اربعة أسهم ونصف، فقدم على معاوية وعنده عمرو ابن عثمان والمنذر بن الزبير ، وابن زمعة ، فقال له معاوية كم قومت الغابة قال كل سهم مائة الف قال كم بقى ؟ قال : اربعة اسهم ونصف ، قال المنذر بن الزبير قد اخذت سهما بمائة الف ، وقال عمرو بن عثمان قد أخذت سهما بمائة الف، وقال ابن زمعة قد اخذت سهما بمائة الف ، فقال معاوية كم بقى ؟ قال سهم ونصف ، قال اخذت بخمسين ومائةالف قال وباع عبد الملك بن جعفر نصيبه من معاوية بستمائة الف فربح مائتي الف ، فلما فرغ ابن الزبير من قضاء دينه قال بنو الزبير : اقسم بيننا ميراثنا ، قال لا والله لا اقسم بينكم حتى انادي بالموسم اربع سنين : الا من كان له على الزبير دين فليأتينا فلنقضه، قال فجعل كل سنة ينادي بالموسم ، فلما مضى أربع سنين قسم بينهم ، قال فكان للزبير اربع نسوة ورفع الثلث فأصاب كل امرأة الف الف ومائتي الف فجميع ماله خمسون الف الف ومائتا الف انتهى .

وبعد ما شهد الزبير رضى الله عنه وقعة الجمل وقاتل فيها ساعة ناداه علي رضي الله عنه وذكره بما قال له النبي صلى الله عليه وسلم : اما انك ستقاتل علينا وانت له ظالم ، فتأخر عن القتال وانصرف فتبعه عمرو بن جرموز فقتله غدرا بموضع يقال له وادي السباع ، وجاء بسيفه الى علي رضي الله عنه فقال : (بشر قاتل ابن صفية بالنار) كما قاله النبي صلى الله عليه وسلم وكان قتله يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الاولى سنه ست وثلاثين، وفى ذلك اليوم كانت

وقعة الجمل ، ولما جيء بسيفه بعد موته الى علي رضي الله عنه قال : سيف بطل طالما كشف به الكرب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال حسان بن ثابت في رثائه :

اقام على عهد النبي وهديـه
حواريه والقول بالفعل يعـدل

اقام على منهاجـه وطريقـه
يوالي ولي الحق والحق اعـدل

هو الفارس المشهور والبطل الذي
يصول اذا ما كان يوم محجـل

حتى قال :

وكم كربة ذب الزبير بسيفـه
عن المصطفى والله يعطي ويجزل

فما مثله فيهم ولا كان قبلـه
وليس يكون الدهر ما دام بذيـل

وله من البنين عشرة ومن البنات تسع رحمهم الله جميعا والسلام .

مراكش : الرحالي الفاروق

الى وجه البخيـل ..

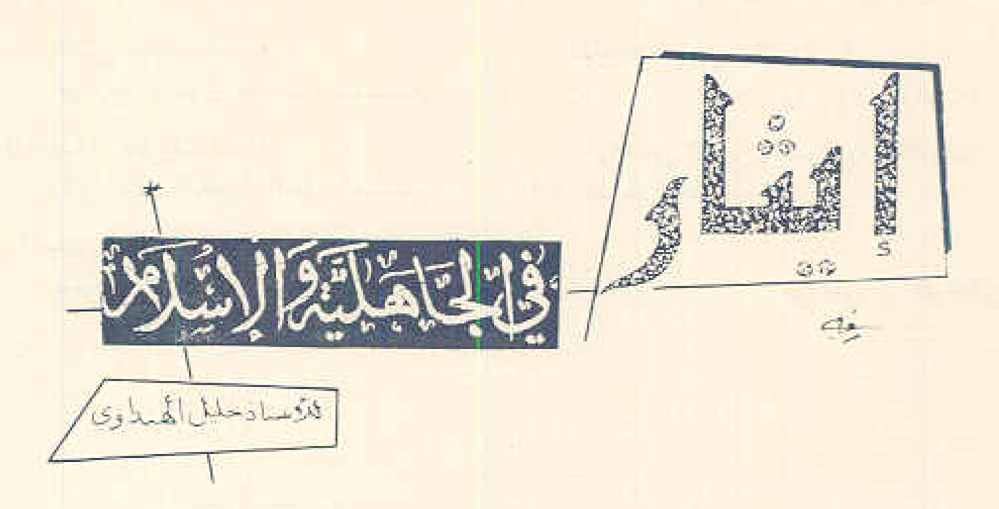
لمست اعرابية كف ابيها فالفتها خشنة فقالت:

هذه كـف ابـي خشنهـا
ضرب مسحاة ونقل بالزبيـل

فاجابهـا ابوهـا :

ويك لا تستنكري خشـن يـدي
ليس من كـد لعـز بذليـل

انما الذلـة ان يمشـي الفتـى
ساحب الذيل الى وجه البخيـل



هذا هو كعب الايادي ، الرجل الذى يضرب المثل بجوده .. كان قافلا الى مضاربه ، مع جماعة من قومه .

كانت الصحراء تلمع تحت اقدامهم من وهج الحر ، وترسل لمعات السراب ، على طول امتداد من الرمال لا يتناهى .

يقولون : ان السراب يتزيا بزي العرائس التى تصب الماء الخادع ، والحياة للراكبين متون الصحراء ، فاذا الراكبون يخرجون عن سواء الطريق ، ويتبعون هذ البريق الكاذب ليسقطوا فى فراغ واسع ، ابدي ، وفناء رهيب ما له من اعماقه ، لاهثين من العطش ، يابسي الحلوق ، ملتهبي الكبود ، ثم ينامون نومة ابدية فى احضان كثيب من الكثبان .

ضل الركب الطريق ! فى هاجرة مستعرة ..

وراح يناديهم السراب ، ولكنهم كانوا يحترسون منه .

شح ما عندهم من ماء ، فحرصوا كل الحرص على ما تبقى لهم منه ، لانه ماء الحياة !

واخذوا يتقاسموا الماء شفات تبل الشفاه ، ولا تروي الغليل . ولما خافوا ان تكون رشفة اكثر من رشفة ، اتوا باناء وضعوا فيه حصاة ، ثم صبوا فيه من الماء ، بقدر ما يغمر الحصاة ، فيشرب كل واحد منهم مقدار ما يشرب الاخر .

وفى مرحلة من المراحل ، نزلوا للشرب ، ودار الاناء بينهم ، كما تدور الكأس الفالية ، حتى انتهى الدور الى كعب ...

فما راع كعبا الا ان يرى رجلا منهم يجد النظر اليه ...

ان وراء هذه النظرة نهما الى تلك القطرات التى سيروى بها كعب ظمأه . توقف كعب عن الشرب ، وقال للرجل :

— لعلك لا تحتمل الظمأ ما احتمل ...!

والتفت الى الساقي قائلا :

— يا هذا ! اسق الرجل نصيبي من الماء ... فسقاه ، وظل كعب يمارس حر الظمأ ... ثم نزلوا من الغد منزلهم الآخر ، فتقاسموا بقية مائهم كعادتهم ، ولما اتى دور كعب وجد الرجل نفسه ينظر اليه كنظرة امس ...
فقال كعب للرجل :

— لعلك لم تعد تحتمل الظمأ .. لا بأس اشرب نصيبي ...!
وحين نهضوا هذه المرة الى الرحيل ، وجدوا كعبا عجزت همته عن النهوض فقالوا :

— يا كعب ارتحل ...

وهم كعب بالنهوض ، ولكنه سقط على الارض ، لا يستطيع نهوضا ، ولا حراكا ، صاحوا :

— يا كعب ! ان موارد الماء قريبة ، فتحامل على نفسك ان هي الا مرحلة واحدة .

ولكنه عجز هذه المرة ، عن الجواب ، فعلموا انه ميئوس منه ... وعند ذلك ، خيموا عليه بثوب ، يمنعه ان يبين ، خشية ان تاكله السباع ، وتركوه مكانه. لقد مات كعب لينجو رفيقه من الموت .

— ✻ —

لقد تحدثت الصحراء ، وسكان الصحراء عن مآثر كثيرة لمن ضربوا الامثال الخارقة فى الكرم ، ولكن لم يسبق لهم ان شاهدوا رجلا يجود بروحه ، مدفوعا بغريزة الكرم ، ويؤثر غيره على نفسه حين تتشبث النفس بالنجاة ...

لقد شاهدوا مثلا حيا فى « كعب » الذى تنازل عن نصيبه من الماء ، لرجل لم يطلب منه الماء، ولكنه ادرك ان عينه تطلب .. فسقاها ...

هذا هو معنى الايثار ! ومعنى التضحية بالنفس فى سبيل الغير .

— ✻ —

وتذوب هذه القافلة ، ليتوهج منها انبل ضروب الايثار ، حتى تظهر مرة ثانية فى وقعة يوم اليرموك .. وما كان يوم اليرموك باليوم القليل .

ذلك هو اليوم الذى خرجت فيه الصحراء مندفعة اندفاع العاصفة ، من سكوتها العميق ، لتخط قدرها فى التاريخ الانساني ...!

بعد قتال دام استخدم فيه كل فريق ما يملك من اسباب الشجاعة والمغامرة ... هيمن سكون المساء على ساحة المعركة ، التى تناثرت فيها الاشلاء، وعاد المقاتلون الاحياء الى مضاربهم ، ينتظرون طلوع الفجر ، حتى يعاودوا النضال ...

كانت الساحة صامتة صمت الموت ، شاحبة شحوب الرمال ، لا يخرج منها الا اصوات انين ، تنبعث من هنا ، حينا ، وحينا من هناك .

انها نزاع على حشاشة الحياة ، يتشبث به القتلى المشرفون على الموت ، والجرحى الذين اقعدتهم جراحاتهم عن النهوض .

وفى جانب هذا الفسق ، ينهض القمر طارحا اشعته الفضية على هذه الساحة ، كأنه يتسلى بهذا المشهد الدامي ...

فى هذه الساعة ، يخرج البعض يتفقدون اقاربهم ، واصحابهم ، ممن لم يعودوا الى المضارب، وقد حملوا معهم وسائل الانقاذ ، والماء لم تلتهب به جراحه ظمأ ...

هذا هو «حذيفة العدوي» ارتقب هبوط المساء، وارتقب طويلا ، وهو ينتظر ان يعود ابن عمه من المعركة ... حتى اذا يئس من عودته، انطلق الى الساحة ، وهو يحمل قربة ماء ، وراح يبحث بين القتلى عن جثة ابن عمه .. الجثث مبعثرة هنا وهناك ...!

واصوات الانين ، وتنهدات الجرحى تنطلق من كل مكان ...!

— اين ، يا ترى ، موطن ابن عمه ..؟ ومن ذا عسى يهديه الى جثته الا هذا القمر القاسية عينه ، وهو يرسل اضواءه الفاترة على بحيرة من دماء ..؟

وفجاة ، خيل اليه انه يسمع صوت ابن عمه ، وهو يطلب الماء .

اقترب من مصدر الانين ، فاذا هو يجد ابن عمه باركا على بركة من دمه النازف .. ناداه ، ففتح عينيه الباهتتين ، واراد ان يحركه ، فلم يقدر. وهم بأن يحمله فأبى .. ولكنه حرك شفتيه بتمتمة ضعيفة ، وقال :

— الماء !.. يا ابن عمي الماء !..

الماء هو آخر ما يريد جريح ان يتزود به من كل هذه الحياة ! دنا منه ، ليسقيه :

وفجاة ، سمع انين جريح آخر ، خلفه ، يطلب الماء .. فمال ابن عمه عن الماء .. واشار اليه ان يسقي من خلفه . فربما كان أحوج منه الى الماء .

— اسقه يا ابن عمي ! ثم عد الي ...

لم يستطع حذيفة الا ان يحترم ارادة ابن عمه، فتركه الى ذلك الجريح ، واقترب منه ليصب الماء فى جوفه ، فاذا انين آخر يتصاعد من جريح آخر ، يطلب الماء ، بعدما شم رائحة الماء .. فيأبى الثاني ان يشتفي بالماء ، فبينما رفيقه الجريح يتلهب ظمأ ، فأشار اليه ان يتركه ، ليسقي رفيقه ..

احتار حذيفة فى امره ..

رجال يعانون سكرات الموت ، وليس لهم من امنية الا ان يموتوا ، وعلى شفاههم قطرة من ماء ، ثم يراهم يعافون هذه القطرة ، ويـؤثرون بهـا غيرهم ، وهم لا يجودون ، فى الواقع ، الا بقطرة حياتهم الاخيرة !..

اقترب حذيفة من مصدر الانين ، وهم بصب الماء ، فى حلق الجريح الذى كان يتلوى الماء ، فاذا الجريح ، بين يديه ، جثة هامدة ، واسرع الى الآخر، فوجد الموت كان اسرع اليه منه ... وركض الى ابن عمه ، ليعطيه القطرة ، فوجده ، قد اغمض عينيه ، وجاد بروحه كريما ....

وقف حذيفة واجما ، يتأمل فى هذه المشاهد التى توالت بسرعة امام عينيه ، وهو لا يصدق ما رات عيناه ...!

— ايصل الايثار للغير الى هذا الحد ..؟

— اتمثل التضحية بالنفس، فى صور اجلى من هذه الصور ..؟

وعند ذلك ، حمل ابن عمه الى حفرة ، يواري فيها جسده ، وهال عليه التراب ... التراب الذي يسخر من كل شيء ، ويضع نهاية لكل شيء ... حتى اذا انتهى رفع قربة الماء ، وصبها على التراب ، لتذوب فيه كما تذوب الحياة ! وعاد ادراجه ، لا يحمل الا قربة فارغة ، والا سيف ابن عمه الذي لا يزال يشكو الظمأ الى الدماء ..!

وعلى خاطره ، تسرح معاني هذه التضحية ، وقد تمثلت له حادثة « كعب » الذى جاد بنفسه ، فيقارن بين هذه الحادثة ، وبين ما راى فى هذه الليلة ..!

ان ما رآه ، الليلة ، ابلغ من كل ما رأى من ضروب الجود ...

لقد راى رجالا يتفانون فى معنى الايثار والتضحية ، وهم ، فى موقف ، ينسيهم كل شيء الا انفسهم ، فاذا هم ينسون ، اول ما ينسون ، انفسهم .

وعند ذلك ، لم يستغرب ان يرى هذه الفئة الصغيرة ، من قومه ، التى انطلقت من قيود الصحراء ، لتتحدى كل قوة خارج الصحراء !..

انها كانت تحمل من طاقات القوة والبقاء ، والنضال ، ما لم تحمله امة من الامم السابقة .. هذه الطاقات التى تنبعث من الايثار والتضحية ، هي التى حركت المجاهد ليبذل دمه رخيصا ، وبالمغامر ليجود بروحه ، كي يمهد للانسانية طريقها الى الحياة الفضلى .. وماذا يبقى للحياة من معنى ، اذا خلت من معاني التضحية والايثار ..؟

وقد انطوت هذه القوافل ، وغرقت فى رمالها التى لا تزال تغني ذراتها للرياح ، وخفتت اصوات اجراسها التى آنست الصحراء ، واستحالت الى اصداء مكبوتة ..!

مع هذه القوافل تاريخ امتي .. تراث من امجاد ، ومتاع من اخلاق ، ومروءة ، ونجدة وسخاء ..

فيا ايتها القوافل واصلي سيرك ... ان القدر سيضحك لك مرة ثانية ..

حلب — خليل الهنداوي

التوحيد وتحرير الضمير الانساني

تحت ضوء الاسلام

للدكتور عثمان يحيى

- 4 -

3) التوحيد فى حقول المعارف الصوفية (تابع)

ــ مراتب التوحيد فى نطاق الاختبار الصوفي

يعرض علينا امام التصوف فى عصره ، شيخ بغداد ، أبو القاسم الجنيد ، فى نص هام معزو اليه ، نظريته الكاملة فى التوحيد واطواره ، والفناء وأحواله، والبقاء وصوره . ونحن ، فى هذا الموطن ، نثبته بحذافيره اعترافا منا بقيمته التاريخية والفكرية .

« اعلم أن اول عبادة الله ــ عز وجل ! ــ معرفته وأصل معرفته ، توحيده . ونظام توحيده، نفي الصفات عنه بالكيف والحيث والأين . فيه (ــ تعالى ! ــ) استدل عليه . وكان سبب استدلاله ، به عليه ، توفيقه : فبتوفيقه وقع التوحيد له ، ومن توحيده وقع التصديق به . ومن التصديق به وقع التحقيق عليه ومن التحقيق جرت المعرفة به . ومن المعرفة به وقعت الاستجابة له فيما دعا اليه . ومن الاستجابة له وقع الترقي اليه . ومن الترقي اليه وقع الاتصال به . ومن الاتصال به وقع البيان له . ومن البيان له وقع الحيرة عليه . ومن الحيرة ذهب عن البيان . ومن ذهابه عن البيان له انقطع عن الوصف له . وبذهابه عن الوصف وقع فى حقيقة الوجود له . ومن حقيقة الوجود وقع (ت) حقيقة الشهود : بذهابه عن وجوده . وبتفقد وجوده صفا وجوده . وبصفائه غيب عن صفاته . ومن غيبته حضر كليته . وعن حضور كليته فقد كليته : فكان موجودا مفقودا ، ومفقودا موجودا ! فكان حيث لم يكن ، ولم يكن حيث كان ... »

(مخطوط شهيد علي باشا ، خزانة السليمانية ، اسطنبول ، رقم 1374ــ ورقة 62 ــ 63) .

*

ان الباحث فى تاريخ التصوف الاسلامي يستطيع أن يلاحظ ان مبدا التوحيد كان قد مر بادوار ثلاث ، ومراحل ثلاثة ، وكان فى كل دور وفى كل مرحلة على صلة وثيقة بروح العصر وثقافته . بل كانت فكرة التوحيد ، بصورة خاصة ، على انسجام تام مع شخصية التصوف وحقيقته ، الذي بدا رجاله ، ابتداء من القرن الثاني للهجرة ، يشعرون بوجودهم ورسالتهم فى ضمير العالم الاسلامي ، وفى توعية الجماعات الشعبية وتعبئتها .

ولكن ، قبل استعراض اطوار الاختبار الصوفي لمبدا التوحيد ، على مجرى العصور التاريخية ، لابد لنا من وقفة عجلى امام اعتراض او اشكال قد يثور فى النفس ــ وهو ثائر فعلا ــ ازاء فكرة التوحيد عند الصوفية . بل ان هذه المشكلة ، كما سيتضح لنا جليا فيما يلي ، تمس طبيعة الايمان بالله وصميم الحياة الدينية ، من حيث هي تجربة ذاتية واختبار واقعي للوجود الالهي . هذا الاعتراض يمكن صياغته على النحو التالي : موضوع التوحيد الصوفي وجوهره ــ بل كل مظاهر التوحيد فى الوجود والفكر ــ اما أن

يكون الذات الالهية (وهذا هو التوحيد الذاتي) ؛ أو الأفعال الالهية (وهذا هو التوحيد الفعلي) . واللون الاول للتوحيد لا مجال للعقل فيه : « اذ هو ، على حد ما يقوله الشيخ الانصاري الهروي ، صاحب منازل السائرين ، توحيد قائم بالازل ، اختصه الحق لنفسه، ولا يستحقه لغيره » (منازل السائرين ، باب التوحيد، آخر ابواب الكتاب) .

أما اللون الثاني من التوحيد الصوفي (= التوحيد الفعلي) فهو الذي عناه الشبلي بوصفه الحزين : « كل ما ميزتموه بأوهامكم وادركتموه بعقولكم ، في اتم معانيكم ، هو مصروف ، مردود اليكم ، محدث ، مصنوع مثلكم » . وهو الذي اشار اليه ، ايضا ذو النون المصري بأسلوبه المتشائم : « مهما تصور في وهمك شيء فالله تعالى بخلاف ذلك » . — وكل ذلك يدل ، بصورة واضحة حاسمة ، — وهذا هو وجه المشكلة ، في هذا الموطن ، واساسها — ان التوحيد الصوفي (بل جميع مظاهر التوحيد الديني واللاهوتي) ان في مستوى الفعل الالهي (= التوحيد الفعلي) أو على صعيد الذات الالهية (= التوحيد الذاتي) لا جدوى منه في نهاية المطاف ، ولا قاعدة له في نفس الامر . وقد حاولنا ، في آخر المقالة الثالثة من هذه البحوث ، شرح هذه الظاهرة الخطيرة في الحياة الروحية والعقلية .

واذن ، ان مشكلة التوحيد الصوفي (وكذلك الشأن ، في الحقيقة ، بالنسبة الى الايمان بالله ذاته، من حيث هو اختبار شخصي واقعي ، لا مجرد معرفة نظرية جدلية) هي حقا معضلة قائمة وثابتة ، وعجز العقل الانساني (أو افلاسه) في هذا المقام ، هو عجز مطلق وافلاس مطلق . ومع ذلك ، فهذه المشكلة المعضلة لم تحل ابدا دون تطلع الروح البشرية ، على مدى العصور ، الى آفاق التوحيد وسماء الوحدانية . بالعكس : لقد زادها الحرمان ظما على ظمأ ، وحرصا على حرص ، ولهفة ما لها انقطاع . واتاح لها عجزها ان تلمس ، خلال مسيرتها في صحراء الحياة ، مأساة الوجود الانساني . ويسر لها افلاسها ان تعي تماما ان الايمان بالله ، الذي هو ضمان سلامها واساس كمالها ووجودها ، لا يتحقق الا بمدد السماء ، أي عن طريق وحي الانبياء ، وفي ظلال رعاية الاولياء وهداية الاصدقاء الاوصياء .

فالتوحيد ، على ضوء التجربة الصوفية والاختبار الذاتي ، ليس هو توحيد العبد للرب فحسب، اي ليس هو امرا انسانيا محضا ، يستقل به المرء بمفرده . بل التوحيد ، في الحقيقة هو توحيد الرب للعبد ، يتلوه توحيد العبد للرب ! ويتم ذلك ويحصل عند كشف الالوهية عن اسرار وحدتها وانوار كمالاتها (وهذا هو الجانب الالهي في التوحيد) ، وعند قبول الانسان لهذه الاسرار والكمالات وسريانها في اقطار كيانه ، فكرا وارادة ونشاطا (وهذا هو الجانب البشري في التوحيد) .

*

١ — التوحيد الارادي

حينما تملأ العقيدة — اية عقيدة كانت — جوانب القلب الانساني ، وحينما تستحوذ الفكرة — اية فكرة — على المشاعر البشرية، ينفعل المرء بأسره لها، ويستجيب بكليته لندائها . عند ذلك تتجمع رغباته المتعددة ، فتصير رغبة واحدة ، وتنحصر آماله المبعثرة فتصير واحدة ، وتتركز اهدافه المتفرقة نحو هدف وحيد . واذ ذاك تبدو معالم شخصية الفرد وتتضح سماته ، في وحدتها وتكاملها وصفائها . واذ ذاك يتوفر للانسان أن يؤدي رسالته ووظيفته ، كعضو عامل في ترقية الوجود ، وكأثر فعال في تجميل الحياة .

هذا النشاط المعنوي الخلاق ، وهذا العمل التحريري المبدع هو ما يسمى في اصطلاح الصوفية بالتوحيد الاداري . بيد ان هذه الفكرة السامية ، في حقل الاذواق والمعارف التصوفية ، لها معنى خاص ودلالة محددة . ان التوحيد الارادي هو ، بكل دقة ، اختبار للوحدة الالهية وتعبير شامل لها ، على صعيد الحياة العملية الايجابية ، بعد ان كشفت له هذه الوحدة المتسامية عن اسرارها اللامتناهية وعن كنوزها الازلية . ان ما ينشده الصوفي في « التوحيد » ليس هو العثور على برهنة جدلية او عقلية لمبدأ الوحدة الالهية، بل الشهادة الصادقة الحية لهذه الوحدة ذاتها . ان « التوحيد » عنده هو قضية كلية ، تطلب حلا كليا ، وتقتضي اتخاذ موقف كلي . فالتوحيد، في نظر الصوفي، هو وحدة الارادة والفكرة ، هو وحدة الحس والوجدان هو وحدة الروح والكيان .

في مجال « التوحيد الارادي » تذوب ارادة العبد في ارادة الرب ، وثمة لا يريد المرء الا ما يريده الله ، ولا يحب المرء الا ما يحبه الله ، ولا يكره المرء الا ما يكرهه الله . وفي هذا الفناء الارادي ، بل في هذا

التسامي الارادي يتحقق الاسلام في اجمل اشكاله الواقعية ، ويتجلى الايمان في اسمى معانيه الايجابية .
والاسوة الحسنة لصاحب « التوحيد الارادي » هو ذاك الرسول المكرم اذ يعلن عن موقفه تجاه مطالب الحق المطلق : « يا قوم ! اني بريء مما تشركون . اني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والارض ، حنيفا وما انا من المشركين » — (سورة الانعام ، آية رقم 79) . والاسوة الحسنة لصاحب « التوحيد الارادي » ايضا ، هو ذلك الرسول العظيم ، عند قوله في لحظات حياته الأخيرة : « أبتاه ! ابعد عني هذه الكأس ان شئت ، ولكن لتكن ارادتك انت ، لا ارادتي انا » (انجيل مرقس ، الاصحاح الخامس ، النص رقم 36) . والاسوة الحسنة لصاحب « التوحيد الارادي » ، اولا واخيرا ، هو خاتم النبيين ، الذي جاءه الأمر من السماء : « قل : ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين . لا شريك له ، وبذلك أمرت . وأنا اول المسلمين » ! (سورة الانعام ، آية رقم 161 — 162) .

مما لا ريب فيه ان اساس الحياة الروحية والمعنوية ، في مختلف المذاهب الوضعية والأديان السماوية ، قائم على مبدأ « تجريد الارادة » او « الارادة المجردة » اعني على مبدأ « تصحيح الارادة وتسديدها وتركيزها » . وذلك يكون بجمع اشتات الهمة وحصرها في موضوع واحد ، وتوجيهها نحو هدف وغرض واحد . وهذا « التجريد الارادي » هو السمة المميزة والطابع الأصيل لكل اختيار روحي صحيح ، وكل تجربة تحريرية سليمة . لأنه ، عن طريق « تجريد الارادة » وبوساطتها ، تتحقق الوحدة الشخصية في الفرد ، في تكاملها وتطورها وازدهارها . غير ان عبقرية التصوف الاسلامي في هذا الميدان ، هو ربطه وحدة الشخصية عن طريق الارادة ، بوحدة العقيدة عن طريق الايمان . ان الوحدة الالهية ، في صعيد العقائد ، هي عماد الوحدة الشخصية في صعيد الارادة والسلوك : وهذا هو « التوحيد الارادي » في ادق معانيه واسماها ، على ضوء التجربة الصوفية في الاسلام .

*

ب — التوحيد الشهودي

بدت براعم هذا الضرب الجديد من التوحيد في حدائق المعارف الصوفية ، وتفتحت ازهاره ابتداء من اواخر القرن الثاني للهجرة ، على السنة امثال رابعة العدوية وابي يزيد البسطامي ، حتى تعهده ، في القرنين الثالث والرابع ، شهيد التصوف الاكبر الحسين ابن منصور الحلاج ، فغدا بطله الملهم وفارسه المعلم وبلبه الفريد ! ويستطيع مؤرخ التصوف الاسلامي ان يحدد هذا اللون من التوحيد ، من الوجهة النفسية الصرفة ، بأنه شعور تام ويقظة واعية واحساس عميق بالوحدة الالهية المطلقة ، في ذرى التأمل والمشاهدة . وهذا الوجدان الصوفي الغريب انتهى الأمر بصاحبه الى احساسه العميق باتحاده مع الله ، بل بوحدته التامة معه .. الا ان هذه الوحدة ، في الحقيقة ، هي وحدة في العيان لا وحدة في الأعيان ، ولا تتحقق الا بعد فناء المتأمل المشاهد عن الأغيار والأكوان .

ان الحدود الفاصلة ، او الفروق الذاتية بين التوحيد الشهودي والتوحيد الارادي ، هي ان الحقيقة الالهية لا تتبدى لصاحب التوحيد الشهودي بصورة أمر ونهي ، اي في مظهر قانوني الزامي يخضع له المرء طوعا ، وتتلاشى ارادته فيه (كما هو شأن صاحب التوحيد الارادي) بل تتجلى الحقيقة الالهية ، للمتأمل المشاهد ، في صورة ذات مشخصة ، هي مظهر النور الالهي الفائق ، فيهيم في جمالها الأبدي ، ويتعشق جلالها الأزلي ويفنى في وجودها اللامتناهي . ان موقف صاحب التوحيد الشهودي ازاء الحضرة الالهية، حين تتفتح له عن لالائها وعظمة أمجادها ، هو كموقف قيس بن الملوح ازاء ليلى العامرية ولله المثل الأعلى في السماوات والارض) : اذا نطق لا ينطق الا باسمها ، واذا أبصر لا يبصر الا جمالها ، واذا سمع لا يسمع الا صوتها ، واذا تأمل لا يتأمل الا سبحات أنوارها ، واذا هام لا يهيم الا بحبها ! انه ، ابدا : فيها ومنها وبها ولها ومعها واليها ...

وفي الحقيقة ، ان فناء ارادة العبد في سعة ارادة الرب ، في « التوحيد الارادي » ، هو تسامي الارادة البشرية ، المقيدة المحدودة ، الى ذرى الارادة الالهية، المطلقة اللامحدودة . وان فناء وجود العبد (في العيان لا في الأعيان) في بحر الوجود الالهي ، هو ارتفاع الوجود العارض المحدث الى سماء الوجود الثابت السرمد . وهذه الظاهرة الخارقة للعادة — اعني هذا التسامي في صعيد الارادة البشرية وهذا الارتفاع في مستوى الوجود الانساني — لا تحدث اي تغيير في طبيعة الذات الالهية ، من حيث كمالها وقدسيتها ووحدتها . ولكن التغيير كل التغيير هو ما يحصل او

يتم للمرة فى هذا المقام : انه ، الآن ، انسان رباني (أي حق فى مظهر خلق ، وخلق فى صورة حق) ، وقد كان من قبل انسانا فقط !

*

اذا سئلت : ما هو الموضوع الاسمى والأخص للتوحيد الارادي ، الذي تفنى فيه ارادة العبد ، بل تتسامى الى ارادة الرب ؟ — اجبت : هو وحي السماء وهدى الانبياء ، وسيرة الاولياء ، الامناء ، الاوصياء.

واذا سئلت : ما هو المظهر الأكمل والمجلي الأبهر للتوحيد الشهودي ، الذي يفنى فيه وجود العبد ، بل يتسامى الى وجود الرب ؟ — أجبت : هو الحقيقة الالهية ، فى تجليها الخالد ، على مسرح الزمان والمكان من خلال اشخاص الأنبياء العظام والأولياء الكرام .

واذا سئلت : ما هي وسائل التوحيد الارادي ؟ أجبت : الاسلام التام ، أي الايمان والايقان والاحسان.

واذا سئلت : ما هي ادوات التوحيد الشهودي ؟ اجبت : الحب والهيمان ، النابعان من اعماق الجنان ، الصادران عن فرط العيان .

واذا سئلت : ما هي حقيقة كلا التوحيدين ؟ اجبت : قيام الحق للعبد فيما أراده منه ، تضحية وفداء ، نسكا وجهادا . فحقيقة « التوحيد الارادي » هي شهادة الله ، بنفسه لنفسه ، على لسان عبده وجنانه وسائر افكار كيانه ، تحت ضوء شرعه ، فى أمره ونهيه ، وحقيقة « التوحيد الشهودي » هي شهادة الله ، بنفسه لنفسه ، عبر المظاهر النورانية فى اشخاص الأنبياء والاوصياء والأولياء .

*

من خلال الآثار العديدة ، التي احتفظ بها الزمان ، قطعتان فريدتان للشيخ الأكبر (= سيدي محي الدين ابن العربي الحاتمي) ، خالدتان لا فى الآداب الروحية للاسلام فحسب ، بل فى الآداب الروحية للبشرية قاطبة صور شيخنا فى هاتين القطعتين الخالدتين فكرته عن الله والكون ومصير الانسان ، وذلك أثناء عرضه للتوحيد الصوفي ، فى مظهريه الارادي والشهودي . عنوان القطعة الاولى « تجلي الكمال » وهي ثابتة فى كتابه « التجليات الالهية » تحت رقم 81 . أما القطعة الثانية فعنوانها : « تجلي خلوص المحبة » وهي تلي مباشرة « تجلي الكمال » فى الكتاب المذكور . فلنستمع الى شاعرنا الملهم وهو يعرض علينا ، بريشته العبقرية الحقيقية الالهية فى تجليها المطرد من خلال الأشياء والكائنات :

« اسمع ، يا حبيبي !

أنا العين المقصودة فى الكون . أنا نقطة الدائرة ومحيطها . أنا مركبها وبسيطها . أنا الأمر المنزل بين الأرض والسماء . — ما خلقت لك الادراكات الا لتدركني بها . فاذا ادركتني بها ادركت نفسك . لا تطمع أن تدركني بادراكك نفسك . بعيني تراني و (ترى) نفسك. لا بعين نفسك تراني .

« حبيبي !

كم اناديك فلا تسمع ؟ كم اتراءى لك فلا تبصر؟ كم أندرج لك فى الروائح فلا تشم ؟ وفى الطعوم ، فلا تطعم لي ذوقا ؟ — مالك لا تلمسني فى الملموسات ؟ مالك لا تدركني فى المشمومات ؟ ما لك لا تبصرني ؟ ما لك لا تسمعني ؟ — مالك ؟ مالك ؟ مالك ؟

« حبيبي !

أنا الذ لك من كل ملذوذ (= لذيذ) . أنا اشهى لك من كل مشتهى (= شهي) . أنا احسن لك من كل حسن . انا الجميل ! انا المليح !

« حبيبي !

حبني . لا تحب غيري ، اعشقني . هم فيَّ ، لا تهم فى سواي . ضمني . قبلني . ما تجد وصولا مثلي : كل يريدك له ، وانا اريدك لك ، وأنت تفر مني ...

« يا حبيبي !

(أنت) ما تنصفني . ان تقربت الي تقربت اليك أضعاف ما تقربت به الي . أنا اقرب اليك من نفسك ونفسك . من يفعل معك ذلك غيري من المخلوقين ؟

« حبيبي !

أغار عليك منك . لا احب أن اراك عند الغير ولا عندك . كن عندي بي ، اكن عندك .

« حبيبي !

الوصال الوصال .
لو وجدنا الى الفراق سبيلا لأذقنا الفراق طعم الفراق .

« حبيبـــــي !

تعال ، (هذي) يدي ويدك ، ندخل على الحق ، ليحكم بيننا حكم الأبد .

« حبيبــــي !

من الخصام ما يكون الذ الملذوذات . وهو خصام الأحباب . فتقع اللذة بالمحاورة .

ولقد هممت بقتلها من حبهـــا
كيما تكون خصيمتي فى المحشر

« قل : هل عندكم من علم بالملا الأعلـــى اذ يختصمون » ؟ لو لم يكن من فضل المخاصمـــة الا الوقوف بين يدي الحاكم ، فما الذها من وقفة مشاهدة محبـــوب .

« يا جان (= يا روح ، بالفارسية) ! يا جان (= يا روح) ! » .

*

اما فى القطعة الثانية « تجلى خلوص المحبة » فيصف لنا الشيخ الأكبر ، بلغته الشعرية الأخـــاذة وباسلوبه الرمزي الساحر ، احوال الفناء وصـــور البقاء ، فى ظلال الحب وحضرة الحبيب .

« حبيبـــي !

قرة عيني ! انت مني بحيث انا . لزيمي . قسيمي. تعالى الله ! بل انت ذاتي . هذي يدي ويدك . ادخل بنا الى حضرة الحبيب الحق . حتى لا نمتاز . فنكـون فى العين واحدا . ما الطفه من معنى وما أرقه من مزج !

« رق الزجاج ورقـت الخمـر
فتشـاكلا فتشابــه الامـــر

فكأنمـــا خمـــر ولا قـــدح
وكأنمـــا قـدح ولا خمـــر »

« عسى تعطل العشـار . وتمحى الآثار . وتخسف الأقمار . وتكور شمس الليل والنهار .

« فنفنى ثم نفنى ثم نفنـــى
كما يفنى الفنــاء بلا فنـــاء

ونبقى ثـم نبقى ثـم نبقـــى
كما يبقى البقاء بـلا بقـــاء »

باريس ــ دكتور عثمان يحيى

لا تقـــل ...

مدح ابو مقاتل الضرير الحسن بن زيد بقصيدة مطلعهـــا :

لا تقل بشرى ولكـــن بشريـــــان   غرة الداعي ويـــوم المهرجـــــان

فكره الحسن ابتداءه بلا تقل بشرى فقال لـــو **قلـــت** :

غرة الداعي ويـــوم المهرجـــــان   لا تقل بشرى ولكـــن بشريـــــان

لكان أحسن لان الابتداء بلا قبيح ، فقال له ابو مقاتل : لا كلمة اشرف من التوحيد ، وابتداؤه بلا .

ليس من الإسلام ...

للأستاذ محمد بن ابراهيم نحات

لقد طالعت بتمعن مقال (ليسوا شيوعيين) المنشور فى عدد (8) من (الشهاب) للسنة (5) ، فاستنتجت منه عقم فهم وسوء تصور ، وعدم توفيق وتقدير فى الاحكام ، زيادة على اخفاق فى النقد والتحليل مع غياب عنصر النزاهة فى تقييم الاشخاص المخلصين للحركة الاسلامية ، وانعدام احترام الآراء الصادقة التى لا لبس فيها ولا غموض ولا محاباة ولا مداراة ، والتى لا يعرف أصحابها الاكتفاء بالتظاهر بالاسلام ، ولا يتدنسون بالنفاق العملي فى السلوك الحياتي لانهم يخشون الله حق الخشية فيخلصون لهذا الدين ، ويتجنبون ما فيه ولو أدنى صلة بمرض النفاق .

هذا الداء الخبيث والمعول المقوض لصرح العمل الحقيقي بهذا الاسلام والذي جسمه الله ونفر منه فى هذه الآية البينة الدالة الزاجرة :

« يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ، كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون .. » (الصف : 2 ـ 3) ان هذا الصنف من المؤمنين الصادقين يعتقدون عن قناعة كاملة وبشجاعة نادرة فى مبدا القرآن فى الدعوة الى فكرة الحق وفى الايمان بدين الحق، لا يهمهم تقول المتنطعين ولا تخرص الجاهلين لعلمهم الاكيد بأن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم رائدهم الفذ وقائدهم الاوحد لم ينج من التقول الكاذب فيه والطعن الخبيث فى مقامه الكريم،

فكيف ينشون ويتهيبون ، او يهنون ويتقاعسون وهم مؤمنون برسول الحق ودعاة الى دين الحق ؟

وبما انهم مخلصون لهذا الدين ، صادقون فى الدفاع عنه فلن يغرهم مدح انسان ولن يؤلمهم ذم مخلوق ، لان الانسان يضر اكثر مما ينفع ، ويسيء اكثر مما يحسن لكونه الناقص المقصر ، الكنود الجهول ، الضعيف المسرف الا من اعتصم بحبل الله بعد الايمان بالله وسار فى نهج العمل الحقيقي بدين الله .

ومثل هذا الصنف الفريد من افذاذ الاسلام قليل فى عصرنا هذا: عصر الانسلاخ من دين الاسلام، هذا الدين اليتيم بين اهاليه !!

ان عدم تفهمنا لحقائق ديننا طامة كبرى ، وجهلنا بحقائق المذاهب الهدامة والايديولوجيات المخربة والفلسفات المضللة مصيبة عظمى ، مما سهل على أعداء الاسلام سبل العمل بتفنن واطمئنان للتغرير بشباب الاسلام وجعلهم يقبلون باقتناع على الالحاد والكفران .

وبتحسر اقول بأني اكتشفت مظهرا من مظاهر التجاهل لحقائق الماركسية الملحدة مع التغافل عن أسرار الشيوعية العالمية فى مقال (ليسوا شيوعيين)، علاوة على ان المقالة تدل على انخداع وتصديق بالدعايات المغرضة والاكاذيب الملفقة ضد دعاة الاسلام، وبالخصوص فى بلاد الغرب !

ومع شديد الاسف ان يكون صاحب المقال ـ غفر الله له وهداه لكل حق ـ ممن يهرف بما لا يعرف او ممن يرمي الكلام على عواهنه بدون حجة معقولة تطمئن أو برهان قوي يهدي. ومع عظيم الامتعاض ان يوجد امثال صاحب المقال ممن يدافعون عن الشيوعية بصفة غير مباشرة ، ويعتقدون في صداقتها المزعومة للعرب ، ولا يرون في وجود خطر لها على الاسلام في بلاد الاسلام ، وهذا ما يوحي به نقد صاحب المقال السطحي وتزييده تحليله اللا مقبول الكتيبين (الوان من التهريج) و (العبث الماركسي) من تأليف محمد مصطفى رمضان .

واخاطب صاحب المقال فاقول واهمس : الم يدرك بعد بأن الشيوعية والراسمالية من نتاج اليهودية المحرفة ومن وحي العبقرية التلمودية ، وبانهما شقيقتان مشاركتان في ايجاد اسرائيل بفلسطين ، وبأنهما يمثلان الادوار على اختلاف الاشكال باتقان وذكاء متناهيين لصالح اليهود وضد الاسلام . وبان من مصلحتهما ان يظهرا على مسرح الاحداث العالمية كالعدوين المضادين لينجحا في تحقيق اهدافهما البعيدة المدى العظيمة النفع لهم في اقطار الاسلام ؟!

وللتدليل اقول : ما حكم صاحب المقال على قولة (جاكوب مالك) مندوب الاتحاد السوفياتي سابقا في مجلس الامن : « لقد وجدت اسرائيل لتبقى ، حيث موطن اجدادها ، فوجود اسرائيل في الشرق الاوسط ، سيكون عنصر خير وسلام وامثولة للجماهير العربية الطامحة الى التخلص من الاستعمار والرجعية .

ان اسرائيل تسعى الى السلام والتعايش السلمي مع جيرانها العرب، وهؤلاء الجيران هم الذين يرفضون التعايش السلمي مع اسرائيل ، وهذا الرفض مرجعه وجود الاستعمار والرجعية العربية في الحكم العربي .. وستساعد اسرائيل العرب على التخلص من الاستعمار والرجعية .. وسوف لن يتوانى الاتحاد السوفياتي عن مساعدة اسرائيل وحركات التحرر العربية التقدمية على تنظيف المجتمع العربي من الاستعمار والرجعية العربية . . »(1)

وازيد فاذكر صاحب المقال بتصريح المستشار الاول للسفارة السوفياتية بتل أبيب :

« .. نحن مستعدون لحظر السلاح عن المنطقة العربية ، لكن حركات التحرر اليسارية في العالم العربي تحتاج الى السلاح لتكافح الرجعية العربية وتقضي عليها وعلى من يساعدها من قوى الاستعمار، وان القضاء على الرجعية العربية سيزيل خطر العدوان على اسرائيل .. » (2)

ان هذين التصريحين يوضحان بصراحة نوايا ودخائل الشيوعية على السنة قادتها ويبرهنان على حقيقة الموقف الروسي نحو الوجود العربي والوجود الاسرائيلي في منطقة الشرق الاوسط. فالوجود الاسرائيلي سيضمن له الخلود في نظر اعداء الاسلام بفضل مساعدة المملاقين له المختلفة الاساليب ، ولضمان بقاء ووجود اسرائيل لا بد من العمل للحيلولة دون تعكير صفاء الجو الاسرائيلي او افساد الامن الاسرائيلي بخطر متوقع أو تهديد محتمل من طرف العرب جيران اسرائيل .

ولتحقيق ذلك الضمان عملت روسيا الذكية على تغيير الاوضاع بالتدريج في المنطقة العربية بالانقلابات والثورات (التقدمية) التى تهيىء وتمهد السبل لاقامة انظمة عربية تتناسب مع عقلية اليهود الطامحة الى سلام دائم .

وهذا التناسب لن يتحقق الا في التقاء اشتراكية الدول التقدمية في البلاد العربية مع اشتراكية دولة اسرائيل اللتين تتحركان على صعيد السياسة بوحي من زعيمة الاشتراكية العالمية روسيا السوفياتية وهكذا يوافق شن طبقة .

اذن فليس من المعقول ان نصم كل من يفضح الشيوعية من الاسلاميين بأنه مصاب بعقدة البعبع الشيوعي او نصف من ينتقد الراسمالية بأنه يعاني من عقدة البعبع الراسمالي او نتهمه بالدعوة الى اسلام امريكاني او روسي !!

واقول بمرارة بانه من البلاهة بل من الرقاعة ان نعتقد في صداقة الماركسية للعرب ، فان كانت هناك صداقة في صورية ولصالح مخططات السوفييت بلاد العرب وعلى حساب تميزهم العقيدي وكيانهم الاسلامي .

---

(1) عن كتاب « المسلمون والحرب الرابعة » لزهدي الفاتح ص 98 ـ 99 .

(2) نفس المصدر

ومن كان يعتوره شك او يساوره تردد فى قبول او تصديق الاقوال او الانتقادات التى تدين وتفضح الشيوعية فعليه بالاطلاع على سلسلة (حقائق من الماركسية) التى يصدرها فؤاد كرم فى بيروت .

والى ان يقرر ثم يبدا فى مطالعة هذه السلسلة اذكره بقول القرآن :

« ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد » (ق : 37) .

ليت شعري متى يعلم الاسلاميون من للدعاة حقيقة ادوارهم فى عصر التنكر للاسلام ؟ ومتى يخلصون لدينهم ويكونون ايجابيين بالتصرف المعقول؟ ومتى يمثلون الاسلام التمثيل الصحيح بالعمل المستمر ؟ ومتى يكفون عن تحطيم اصحاب الكتابة البناءة ؟

ومتى يرعوون عن التشهير بغيرهم من المؤمنين الصادقين مع اساءة الظن بهم ؟

ليس من الحق بل ليس من الاسلام ان نتهم من ينتقد او يفضح الشيوعية بالعمالة لامريكا او الدفاع عن الراسمالية ، او نتهم من ينتقد او يفضح الراسمالية بالعمالة لروسيا او الدفاع عن الشيوعية.

فبهذا الفهم الخاطيء من التفسير والتقدير نفسح المجال لدعوات الباطل ودعاة الشر ونقضي على دعاة الاسلام ولا نبقي اي فرصة للدعوة لدين الحق فى ميدان الدعوات فى هذا العالم .

اننا بتصورنا التهوري هذا ، وبفهمنا الساذج هذا ، وبمواقفنا المريبة هذه اتجاه رجال الكلمة النزيهة من دعاة الاسلام نكون قد احسنا الى اعدائنا وحطمنا انفسنا بايدينا عن شعور او عن غير شعور ، وهذا ما نلاحظ بالضبط على بعض كتاب الكلمة الاسلامية ممن لا يفهمون او لا يدركون حقائق الامور واسرار القضايا فى عالم اليوم .

انه من السذاجة الصبيانية ومن اللا مسؤولية بل من اللا وعي ان نزعم او ندعي بان كل مسلم يوجد فى بلاد الغرب يعد من عملاء الغرب او من رجالات مخابراتهم او ممن يسيرون فى ركابهم من قريب أو بعيد .

فبدل ان ندعي هذا الادعاء الغريب فى حق المسلم العائش فى بلاد الغرب يكون من المعقول ان (نتهمه) بالعمل للاسلام وبالدعوة له ، فذلك تشريف له عظيم وتكليف جسيم مفروض عليه لانه واجب اكيد من واجبات المسلم المخلص لدينه المقيم ببلاد الغرب ، وهو لعمري دوره الوحيد قبل كل الادوار المعقولة فى اقطار الغرب .

يا دعاة الاسلام ببلاد الاسلام : كفاكم تحطيما للبعض منكم ، وكفاكم توهينا للافراد المجاهدين فى حقل الدعوة الاسلامية ، وكفاكم اتهاما للافذاذ المخلصين لدين الله .

يا دعاة الاسلام فى كل مكان : هلموا الى الحركة اكثر من الحرف ، الى العمل اكثر من القول ، اجتهدوا للاتحاد الحركي جماعة لصالح امة الاسلام ، كونوا مخلصين بالعمل الجدي لدينكم ، قلدوا اعداءكم من شيوعيين ويهود وراسماليين فى العمل المتواصل ، فهم يعملون ليل نهار لمباديء باطلهم وانتم اعملوا ليل نهار لمباديء حقكم .

يا دعاة الاسلام ممن تعدون علماء هذا الدين : كونوا من اهل هذه الآية على الدوام :

« انما يخشى الله من عباده العلماء » (فاطر : 28) .

اخشوه فى العمل بدينه ، فى الدعوة له ، فى مناصرة الدعاة اليه ، فى تأييد المنافحين عنه ، فى الاخلاص له ، فى التخلق باخلاقه ، فى التمثيل العملي له .

لا تكونوا سلبيين لدينكم عن طريق التظاهر به ليبقى تقدير الكم ، ولا تكونوا متناقضين مع انفسكم بان تقولوا ما لا تفعلون مما ينفر فى هذا الدين وييسر على اعداء الاسلام سبل العمل للقضاء عليه فى نفوس معتنقيه .

ان الاسلام يتيم فى عصر التنكر له والانحراف عنه وانتم آباؤه ولكن بالاخلاص ، بالتفاني ، بالتضحية ، بالصمود ، بكل استطاعة ممكنة ، بكل محاولة هادفة تنشر هذا الاسلام وتهدي اتباعه .

يا علماء الاسلام : عليكم ان تكونوا رواد هذا الدين فى كل ميادين الحياة ، وقادته الملهمين الدالين على الحق بكل الوسائل وبشتى الامكانيات .

يا حماة الاسلام : كونوا كأمثال سعيد بن جبير وتقي الدين بن تيمية وعز الدين بن عبد السلام واحمد بن حنبل وعبد القادر عودة وحسن البنا

وسيد قطب لكي تكون لكم آثار وأفكار تبعث حقائق هذا الدين وتحيي موات القلوب وتقوم انحراف العقول في حياتكم وبعد مماتكم .

وبعد هذه المقدمة الضرورية اقول للاخ مصعب الزبيري صاحب مقال (ليسوا شيوعيين) : ان كتيب (العبث الماركسي) ما هو في الحقيقة الا فصل من كتاب (الشعوبية الجديدة) بزيادة صفحات فيه ، وقد استهدف صاحبه من نشره على حدة تعميم الفائدة وبث التوعية واطلاع جماهير القراء على قليل من كثير من اعمال الشيوعية العالمية في صورة الاشتراكية الهدامة التي تسير العقول وتأسر ميول الطبقة المثقفة من الناس الذين يعانون من الفراغ الديني ويقاسون من الخواء الروحي ، والذين لا دراية لهم بخبايا الشيوعية المقوضة لصرح الانسانية، ولا المام لهم بخفاياها العاملة لسيادة المادية الملحدة.

فالكثير يؤكد على خطر الشيوعية وينبه على اعمالها ببلاد الاسلام بواسطة العملاء الاذكياء وبشتى الوسائل الخفية وغير الخفية عن طريق التلميح تارة والتصريح تارة اخرى ، والتلميح الدال هو صبغة كتيب (العبث الماركسي) والتصريح الواضح هو صبغة كتاب (الشعوبية الجديدة) .

فهذا الكتاب ـ لو كان انصاف حقيقي وتقييم معقول ـ ابان عن اسرار الشيوعية وفضح اعمال الراسمالية اللتين كانتا اسبابا حقيقية للقضاء على وجود الاسلام في نفوس اهاليه بوسيلة فصل الدين عن الدولة ، وبالاصلاح الغربي ، وبالتعليم العاماني ، وبالتوجيه الهدام ، والغزو الفكري ، وبعلماء السوء ، وبالاقبال الكلي على حضارة الغرب ، وبتشجيع القوميات الاقليمية والاحزاب المختلفة الوجهة ، وبابراز النعرات الجاهلية القديمة التي تجعل العرب يهتمون بغير الاسلام ما داموا لم يقتنعوا به ولم يقدروه حق قدره حتى آمنوا بتقدميات الجاهلية الحديثة وتيقنوا من رجعيات الاسلام بزعمهم الكاذب وفهمهم القاصر . فليت الانسان العربي المتبجح بعروبته الجاهلية ، المقتنع بدعوة القومية العربية ، المتجه في نهج اليسار او اليمين يتيقن بان الحقائق التي اوردها صاحب كتاب (الشعوبية الجديدة) القصد منها هو تعريف الانسان العربي ـ المتنكر لدعوة القرآن وحقيقة الاسلام ـ بما دبر ضد وجوده حتى ضاع في محيط الفكر الكافر والتوجيه الجاهلي ، وتميع كيانه وسط المؤامرات المدبرة الى ان وقعت مصيبة سنة 1948 .

ولما استمر التنكر السافر لهذا الاسلام حدثت هزيمة سنة 1967 ، هذه الهزيمة التي كانت حتمية الوقوع ، حكيمة العبرة : فحتميتها تبدو في دخول الانسان العربي في حرب مع اليهود باعتقادات جاهلية وايديولوجيات لا دينية .

وعبرتها تظهر في تحقق سنة الله في خلقه الذين يتنكرون لدينه الصحيح والذين يشركون بالله بتحاكمهم الى الطاغوت وبتقديسهم للقوميات والشعارات التي صارت لهم ديانات وعبادات ، فكان من المعقول ان ينتصر اليهود ـ المتمسكين باليهودية والذين دخلوا الحرب باسم الدين ـ على العرب الظالمة الذين دخلوا المعركة بلا دين صحيح وهم في شرك واضح وهو التفريط في العبودية الواجبة لله مع القضاء على العالمية المطلقة له وصدق الله :

« ... ان الشرك لظلم لعظيم .. » (لقمان : 13)

ان عرب القرن العشرين لم يناصروا دين الله فلم تكن لهم نصرة الله بتاكيد القرآن :

« ان تنصروا الله ينصركم .. » (محمد : 7)

وقد دخلوا المعركة سنة 1967 بسلاح الرصاص بدون الاعتماد على سلاح الايمان فانهزموا وما كان ينتظرهم الا الاندحار ما دام ينقصهم الاستعلاء بالايمان الحقيقي « .. وانتم الاعلون ان كنتم مومنين .. » (آل عمران : 139)

وما كان لهم ليثبتوا لانهم لا يعتقدون في قول الله : « ورضيت لكم الاسلام دينا .. » (المائدة : 3)

وما كان لهم ليصمدوا وهم لا يؤمنون بقول القرآن : « كنتم خير امة اخرجت للناس » (آل عمران : 110)

ان كتاب (الشعوبية الجديدة) يدعو بلسان الواقع الى تحقيق وجود ايجابي للعرب بالعمل الحقيقي بهذا الاسلام ، كما ان لليهود وجود ملموس باليهودية وللشيوعيين وجود ملحوظ بالشيوعية وللراسماليين وجود ظاهر بالراسمالية .

يقول صاحب الكتاب ـ وهو يجسم فضل النظام الاسلامي ويدعو من جديد الى اقامته في بلاد الاسلام مع فضح اعمال اليهودية والصليبية اللتين

عملنا لغياب هذا النظام الفريد وحالنا دون تحقيقه وعوقنا سبل ووسائل العودة اليه :

(.. كان النظام الاسلامي — دون العقيدة — الهدف الاول الذى خصه اليهود والنصارى بحملات الغزو الفكري العنيفة والمتواصلة ، ولا عجب فى ذلك ..

فالنظام الاسلامي هو الذى أوجد الدولة الاسلامية ، والدولة الاسلامية هي درع المسلمين الواقي ضد غارات اعدائهم ، وهي القوة التى تزيل العقبات التى تحول دون اعتناق الناس للاسلام فيمتد الاسلام فى ظلها شرقا وغربا . واليهودية والصليبية تدركان على وجه اليقين ان المسلمين بلا دولة ليسوا الا جعجعة لا طحن لها .. وهو شيء واقع لا سبيل الى انكاره بأي حال !

ومثل هذه الدولة هي التى أقضت مضاجع الصليبية وقت ان كانت الجيوش الاسلامية تهدد اوكارها فى وسط اوربا وشمالها .

عمدت القوتان اذن الى تثبيت المفهوم العلماني للدين والدولة فى عقول الناشئة من شباب الاسلام .

قالوا لهم — وهم صغار لا يفقهون شيئا — ان الاسلام دعوة تهدف الى تقويم الاخلاق ، وان محمدا — عليه الصلاة والسلام — انما هو مصلح أخذ على عاتقه تحبيب عمل الخير الى قلوب الناس وتنفيرهم من الشرور والآثام !

وملأوا كتبهم ومنشوراتهم واجهزة اعلامهم أحاديث ومقالات لا تفتأ تذكر أن الدين هو علاقة شخصية بحتة بين الانسان وما يعبد ، وان تجاوز هذا الحد الى ما سموه « تدخل الدين فى السياسة والاقتصاد » هو نزعة شريرة يريد أصحابها ان يستخدموا الدين « البريء الطاهر » فى مآربهم الشخصية لتحقيق اهداف بعيدة كل البعد عن روحه السمحاء ! » فالدين لله والوطن للجميع .. وحري بالانسان المتمدن ان يترفع عن مثل ذلك التعصب الديني المقيت !

واشاروا — فيما كتبوا والفوا — بتركيز متعمد الى اوربا التى تخلصت الى غير رجعة — كما قالوا — من « تدخل الدين ورجاله فى شؤون الحكم » بفضل « الفكرة القومية » التى تنظر الى الاديان نظرة واحدة لا تحيز فيها ولا تفضيل ، والتى أعادت الى المسيحية جوهرها النقي الصافي من حيث كونها دينا يجلب الطمأنينة الى نفوس معتنقيه ، فغدا « ما لقيصر لقيصر وما لله لله » مرة أخرى .

وقد دامت جهودهم تلك لتنقية الاسلام من الشوائب التى علقت به « ! » فى اغلب الاقطار الاسلامية حوالي ستين عاما لم تتوان اليهودية والصليبية فيها لحظة واحدة عن التفريق بين العقيدة والنظام تفرقة أتت ثمارها فى جيلين من الاجيال المسلمة !! (3) .

ويقول مؤلف (الشعوبية الجديدة) فى معرض الكلام عن القومية العربية مثيرا وموضحا كيفية الدعوة اليها من طرف دعاتها والى ترويجها بشتى الاساليب والى اعتناقها كدين جديد لا بديل عنه ، ومبرهنا على ان تبني فكرة القومية كعقيدة لم يستفد منها الا الاعداء ، ولم ينتفع بها الا العملاء ، وانها هي التى تسببت فى المصائب والخسارات التى توالت على امة العرب منذ انسلخت من عقيدة الاسلام واعتنقت مبدأ القومية العربية :

(... كنت كلما انهيت كتابا عن القومية العربية اجد نفسي تائها فى خضم لا يعرف له اول من آخر .. أو بتعبير أخف اجد نفسي فى « سوق » اختلطت فيه النداءات ، وتعالت فيه الاصوات بشكل لا يكاد معه المرء يجد أي تناسق او انسجام بين نداءين او صوتين !! وقد بحثت كثيرا فما يردده أصحاب تلك النداءات عن « قاسم مشترك » فأعياني البحث حتى لكأن الفوضى فى كل شيء هي السمة المميزة لهذا « السوق » !

سوق القومية العربية لا يختلف كثيرا — فى شكله ومحتوياته — عن أي سوق من الاسواق التجارية .. فرواده سيسمعون — كما هو الحال فى الاسواق الاخرى — الهتافات من كل مكان تعلن عن بضاعتها، وعن درجة جودتها ... وعن السعر الرخيص المغري ! ورواده سيجدون ايضا البائعين المحترفين من ذوي الحيل والالاعيب ، والبائعين السذج الاغرار الذين لم ترسخ اقدامهم بعد فى مجال « الضحك على ذقون الناس » (4) .

(3) انظر « الشعوبية الجديدة » ص 1 — 11 .

(4) نفس المصدر ص 155 .

وفي موضوع التدليل على سلبية القومية العربية ــ من حيث كونها تختلف عن الاسلام في دعامتي العقيدة والشريعة ، فالاسلام له عقيدة تربي الناس وشريعة تقوم الناس . اما القومية العربية فليست بعقيدة وبالتالي لا شريعة لها وانما هي شعار فارغ وفكرة جوفاء لا تحكم الناس ولا تنظمهم البتة ، والواقع يؤكد بانها لم ينتج عنها الا التيه والفوضى في عالم العرب ــ يقول :

(اما التعارض القائم ــ ابدا ــ بين الاسلام والقومية العربية ، او اية قومية اخرى ، فهو تعارض بين عقيدة تنبثق عنها شريعة يجب ان تحكم ، وشعار لا ديني يجر لها من الحكم ، ويحول بينها وبين تنظيم المجتمع) (5) .

ويقول في موضوع فضل الاسلام على العرب ــ بحيث اصبح لهم كيان فريد ، ومجتمع جديد ، ودين حقيقي ، ووزن ملموس في العالم ، وتأثير على كل الناس عن طريق عقيدة الحق وحضارة النور الناتجين عن هذا الاسلام ، وبذلك لم تبق لهم عروبة الجاهلية وصبغة الجاهلية وانما تحولوا الى ناس افذاذ لهم عروبة القرآن وصبغة الاسلام ــ :
(حينما دخل « العرب » الاسلام كان ذلك يعني انهم قد « انسلخوا » كلية عن كل شيء عرفوه واتصفوا به في جاهليتهم ، او بمعنى آخر خلعوا « اسمال الجاهلية » وارتدوا « رداء الاسلام » فكانهم « ولدوا » مرة اخرى .

ومن هؤلاء المسلمين الاوائل تكونت الجيوش المسلمة لتبلغ دعوة الاسلام الى المشارق والمغارب . وعلى يد هذه الجيوش نشأت الامة الاسلامية ، وتشكلت احداث التاريخ الاسلامي ..) (6)

واعود الى الكلام عن كتيب (العبث الماركسي) فاقول : بانه لم يفت أوانه ولم يمض وقته ما دام للشيوعية العالمية وجود ببلاد الاسلام كيفما كان شكل هذا الوجود وباي اسلوب كان ، فلو صدر منذ عشرات السنين لكانت الاستفادة منه ضرورية لابتداء التسرب الماركسي الى بلاد الاسلام ، ولو صدر بعد عشرات السنين لعظم الانتفاع به لبقاء التسلل الشيوعي الى بلاد العرب .

ان هذا الكتيب من الضرورة تجديد طبعاته وتكثيرها ليتسع نطاق الاطلاع عليه ، وليعم الانتفاع به فيهتدي المفتونون بمظاهر الشيوعية ، وينمحي الايمان الاخرق باشتراكية الحرمان والطغيان والاستعباد والضياع والكفران بالرجعة للاسلام .

ومن ارد ان ينصف فله ان يكتفي بكلمة الاهداء الموحية في كتيب (العبث الماركسي) قبل الشروع في قراءته بتدبر ونزاهة : (الى الشعوب المسلمة التي تعصف بها دمى اليهودية العالمية من صليبية الى راسمالية الى شيوعية ، عسى ان تدرك الى اي مصير تساق ؟!)

وبعد كلمة الاهداء هذه اهدي هذا التعريف ببحث (العبث الماركسي) الى قراء مقالي هذا :

(العبث الماركسي : دراسة قصيرة عن المرحلة الثانية التي دخلها شعار القومية العربية في طوره الحديث ، ويعني به المؤلف مرحلة الصياغة الماركسية .

فبعد ان كانت القومية العربية في المرحلة الاولى من هذا التطور اسلوبا « صليبيا » لازاحة الاسلام عن سدة الحكم ، ولتمزيق الامة الاسلامية الى شيع واحزاب، امسك به الماركسيون ليشكلوه بالشكل الذى يريدون ! ولم تكن عملية التشكيل تلك العملية الصعبة ، او التي تستغرق وقتا طويلا .. لان القومية العربية هي مجرد شعار فارغ من المحتوى يستطيع كل من هب ودب ان يضع له «مضمونا» . وهذا ما فعله الشيوعيون بلا عناء !!) .

فيا عرب اليوم : اقبلوا على قراءة المفيد من الكلام الهادف من الكتابة التي تبصركم بحقائق احوالكم المزرية وتعالج مشاكلكم المتنوعة وتفضح اعمال اعدائكم وتطلعكم على اسرار المؤامرات والمخططات التي تدبر ضد دينكم وضد وجودكم من طرف اليهودية واعوانها والراسمالية وشركائها والشيوعية وعملائها .

يا عرب اليوم : تعرفوا على اعدائكم المتنوعين ، المتلونين ، الكثيرين ، المتفننين في الاساءة اليكم وفي الاضرار بكم من خلال الكتب التي تفضحهم .

(5) نفس المصدر ص 158 .
(6) نفس المصدر ص 176 .

عليكم يا عرب اليوم : ان تقراوا المؤلفات التي تجسم لكم حقائق هذا الدين واباطيل كل الجاهليات، وتوضح لكم فضائل الاسلام ورذائل ماديات الغرب بالبراهين الصحيحة والامثلة الواضحة .

من واجبكم يا عرب اليوم : ان تقراوا النافع والضار من التآليف لتميزوا الحق من الباطل ، ولتكونوا في توعية تامة وصيانة دائمة لتحافظوا على كيانكم كناس لهم رسالة سامية في هذه الحياة فتستطيعوا مجابهة التحديات الجاهلية وتتمكنوا من مواجهة الاحداث الطارئة والمكائد المدبرة ضدكم من جهة أعدائكم .

وبذلك لا تستمرون على اسوا الاحوال ولا تعيشون في تغافل دائم عن معرفة اسرار الاعداء المبثوثة في كتاباته ولا تصدق عليكم قولة موشي دايان :

(ان العرب لا يقراون ! . .) (7)

فلعل قول (دايان) هذا ينبه النائمين في سبات عميق ليستيقظوا ، والغافلين عن واقعهم الجاهلي ليتحولوا ، والسادرين في غيهم ليرعووا ، والمتكاسلين عن العمل لدينهم لينشطوا ، والمستهترين بقيم اسلامهم ليكفوا ، فليس بعد الحق الا الضلال ، وليس بعد لايمان الا الكفر .

وانتقل الى الكلام عن كتيب (الوان من التهريج) فاقول بان الهدف منه يفهم من كلمة الاهداء هذه : (الى اولئك الذين لا يمكنهم تعقد الحياة وسرعتها هذه الايام من ان يتمعنوا فيما يقراون ، فيصرفون شيئا من وقتهم في تمحيص الغثاء الذى تقذف به المطابع كل يوم ، والى اولئك الذين قد لا يفهمون حقيقة ما يقراون لشدة التواء الاسلوب وخبثه ، الى هؤلاء وهؤلاء اهدي هذه الالوان من التهريج !!) (8)

ويوضح المؤلف اهدافه اكثر من تاليف الكتيب فيقول : (يشهد الفكر الاسلامي منذ سنوات ، وبالتحديد منذ منتصف الستينات ، ظاهرة جديدة تكاد تتمثل في نوع فريد من الخلط والتمييع يقدمه لنا اصحابه مزخرفا منمقا على انه « مفاهيم اسلامية » . وهو خلط لانه يمزج بين الاسلام والجاهلية المعاصرة مزجا غريبا يفقد الفكرة الاسلامية تميزها الكامل . وهو تمييع لانه يستهدف ايجاد شيء اشبه بالحل الوسط بين الاسلام والواقع الذى يعيشه مسلمو اليوم .

وهؤلاء اما انهم سذج بله ، او مغرضون خبثاء وفي أي الحالتين لا يجوز ان يوصف أصحاب هذه الظاهرة بانهم كتاب اسلاميون باي حال) (9)

ان مؤلف (الوان من التهريج) يضع النقط على الحروف في موضوع التاليف الاسلامي داعيا الى استعمال المصطلح الاسلامي في كل كتابة لتمييز ما هو اسلامي وغير اسلامي لتكون الكتابة شديدة المعاني مفيدة المقاصد ، ولتكون هادفة وهادية الى الحق ، ولكي تتبين الحقائق الاسلامية وتروج المفاهيم الاسلامية وتسود الافكار الاسلامية وتتضح القيم الاسلامية مقارنة بغيرها من حقائق ومفاهيم وافكار وقيم الغرب .

فمن الضروري اللازم ان تكون الكتابة الاسلامية مكونة ومربية ، رائدة وبانية، فتربية رجالات الاسلام وتكوين اجيال الاسلام الصاعدة لا تتحققان الا بما هو اسلامي محض ، ايماني صرف ، وبذلك فقط تكون لهم حصانة ايمانية ومناعة يقينية تصونانهم من كل انحراف او ارتداد ، وتجعلانهم يقدرون ما هو صحيح ويميزون ما هو غير صحيح عن طريق المقارنة الصائبة .

وفي هذا الصدد تدل تحليلات (الوان من التهريج) على ضرورة التشبع بروح الاسلام والاقتناع بمنهجه الرباني عقيدة وشريعة ، فكرة وطريقة مع الامتثال الكلي لاحكامه قلبا وقالبا ، قولا وعملا .

والمؤلف في تحليلاته يلقي الاضواء على الكتابات المتأثرة بمفاهيم الغرب فتراه يقرع وينقد كتاب الكلمة الاسلامية الذين يخبطون خبط عشواء في كتاباتهم ، فلا يفرقون بين مفاهيم اسلامية ومفاهيم غربية في شتى الموضوعات مع دعوتهم بحماس الى خلط وترقيع ، مما ينتج عنهما تشويه وتزوير لحقائق الاسلام .

---

(7) عن كتاب « المسلمون والحرب الرابعة » ص 5
(8) انظر كتيب (الوان من التهريج) ص : 3
(9) نفس المصدر : ص 5

فالخلط انما يوحي بعدم كمال الاسلام ، والترقيع انما يدل على امعية عربية وتقليد اعمى لا يتلاءم مع تفرد الاسلام ولا يليق بانسان الاسلام المتميز .

وهكذا فبكل نزاهة معقولة يحلل انتاجاتهم ويرد عليهم بحجج دامغة فيبين ويدلل ، وكمثال على ذلك اورد تحليله لموضوع الحضارة بمفهوم الغرب في نظرهم ثم رد الصحيح بمفهوم الاسلام : (الحضارة هي الصلب .. فكم تنتج من الصلب ؟ هي جواز المرور في عالم يقوم على القوة .. لانه بقدر ما تملك من اطنان الصلب تستطيع ان تصنع المدافع والدبابات والطائرات ، والذى يملك مدفعا من عيار اكبر تصبح حجته اقوى وصوته اعلى ..

فالحضارة ما كان لها ابدا ان تكون قيما عليا ومثلا سامية تتجسد في حياة الناس واقعا ملموسا يدفعهم الى الامام اشواطا بعيدة ، وانما هي كمية من الحديد الصلب ، او على وجه التحديد هي عدد من المدافع والدبابات والطائرات .. وتفضل في هذه الحالة الصواريخ وغواصات بولاريس والقاذفات الثقيلة من طراز ب 52 ! ..) (10)

ذلك هو مفهوم الحضارة عند الغرب وعبيد الغرب اما عند المسلمين وبمفهوم الاسلام فهي (القيم التى تحكم المجتمع وتسيطر عليه . هي الشريعة التى تصوغ كل شيء فيه فتحرره عندئذ من عبودية الفكر البشري والانظمة البشرية ..) (11) والذى نستنتجه من كتيب (الوان من التهريج) ان مؤلفه يتأسف على اصحاب الاقلام في ميدان الكتابة الاسلامية التى لا تحيي قلوبا ، ولا تقوم سلوكا ، ولا تقضي على انحرافات ، ولا تصلح احوالا ، ولا تصوب اتجاهات ، فما الفائدة منها وهي ليست حركية ؟ وكيف الانتفاع بها وهي ليست ايجابية ؟ ولماذا هي سلبية ؟ ولماذا هي جامدة ؟

لا شك ان عدم تأثيرها في نفوس القراء يعود لانعدام حيويتها التى تكمن في حرارة الايمان ، وحرارة الايمان هذه لا تتوفر عليها وحقيقة الانتماء لهذا الاسلام تنقصها ؟!

ولعمري كيف تهدي لى سبيل الله وتحبب دين الله للناس ؟

واصحابها من الزمرة التى مني بها الاسلام في بعض عصور تاريخه والتى ينطبق عليها قول القرآن : « يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون .. » (الصف : 2)

« اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم .. » (البقرة : 43)

« يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم .. » (الفتح : 11)

ان حقيقة الايمان بما يقال ويكتب في موضوعات الاسلام ومفهومات الاسلام تعد كالفيتامينات التى تحرك القراء لفقه ما يقراون وكالمقويات التى تدفعهم لتطبيق ما يطالعون عن اقتناع تام بهذا الدين ، وعن شعور كامل بضرورة الاخلاص لهذا الاسلام .

وهكذا فحيوية الكلمة الايمانية التى تنبع من قلب المؤمن الصادق لتنفذ الى شغاف قلب المؤمن المتعطش فتستقر في باطنه وتطهره وتحس ظاهره وتقومه ، ويعيش في عهد جديد بالحقيقة الصادقة حقيقة هذا الاسلام .

وعلى هذا الاساس فلابد لكل كاتب اسلامي ، لكل داعية اسلامي ، لكل عالم اسلامي ، لكل مفكر اسلامي من ان (تسكن الحقيقة الصادقة قلبه وتتكلم بلسانه ..) (12)

فعلى كل فرد من هؤلاء ان يعيش بهذه الحقيقة الصادقة (ويحيا بها مؤمنا ، ايمانا حارا يبعث فيها الحياة ، فتتحول من كلمات وحروف باردة الى قلب هاتف وحس مرهف وروح وثابة ، وحيا من الاحياء مستوي الخلق لا عيب فيه ، وتحيا به كفاحا في سبيلها ونضالا من اجل تحقيقها وجهادا في بيانها واعلائها) (13) .

وتأسفا على المصير المخزي لتجارة الكلمة اللا مؤثرة واللا مغيرة اضم صوتي الى صوت صاحب (الوان من التهريج) واقول بلسان المقال كما قال

---

(10) نفس المصدر ص 16
(11) نفس المصدر ص 16
(12) انظر كتاب (سيد قطب او ثورة الفكر الاسلامي) لمحمد علي قطب ص 35 .
(13) نفس المصدر ص 35 .

بلسان الحال : ما أكثر الكتابة وما أغزر الطباعة ! ولكن ما اقل الاستفادة منها وما أندر الاهتداء بها !

واقول على مضض : انها كتابة تموت قبل اوانها وتضيع بموت اصحابها ، ولا يعول عليها في تحقيق البعث الاسلامي ، ولا يؤمل فيها التدليل على اقامة النظام الاسلامي لانها ليست من نوع الكلمات التي تهدف لبعث اسلامي لهذه الامة التي كانت خير امة اخرجت للناس ، فهي ليست بمثابة « معالم في الطريق تلقي اضواء على دوره ومهمته ، وغايته ونقطة البدء فيه » (14) .

وفي الختام أقول باختصار : ان كتاب (الشعوبية الجديدة) يعد تاريخا قويما وتحليلا نزيها للاطوار التي مرت بها القومية العربية منذ العهد الاموي الى العهد الحاضر .

فتاريخه مهم لاعتماده على المصادر الموثوق بها في هذا الصدد مع تبيانه للحقائق الناطقة ، وتحليله قيم لفضحه الاهداف التي رمى اليها الاعداء والعملاء من بث وبعث هذه القومية العربية او الشعوبية الجديدة .

وكتيب (العبث الماركسي) كان تشريحا متقنا لمرحلة التمركس التي مرت بها القومية العربية بواسطة صحيفة (الحرية) التقدمية ، العميلة .

اما كتيب (الوان من التهريج) فالغرض منه هو عرض نموذج من نماذج الفكر الاسلامي المتاثر بالتصور الغربي مع نقده والتنبيه عليه .

واني لست أقدس شخصية محمد مصطفى رمضان ولست بمدافع عنها ، ولكنني اقدس حقيقة الاسلام التي يمثلها ويدافع عنها هذا المؤلف الملهم .

كما اني اكبر فيه ايمانه العظيم واخلاصه البين لهذا الدين ، واقدر فيه اساليب الدعوة لدين الله بقوة ويقين ، واشكر له وسائل الفضح للفكر الكافر من اليمين واليسار .

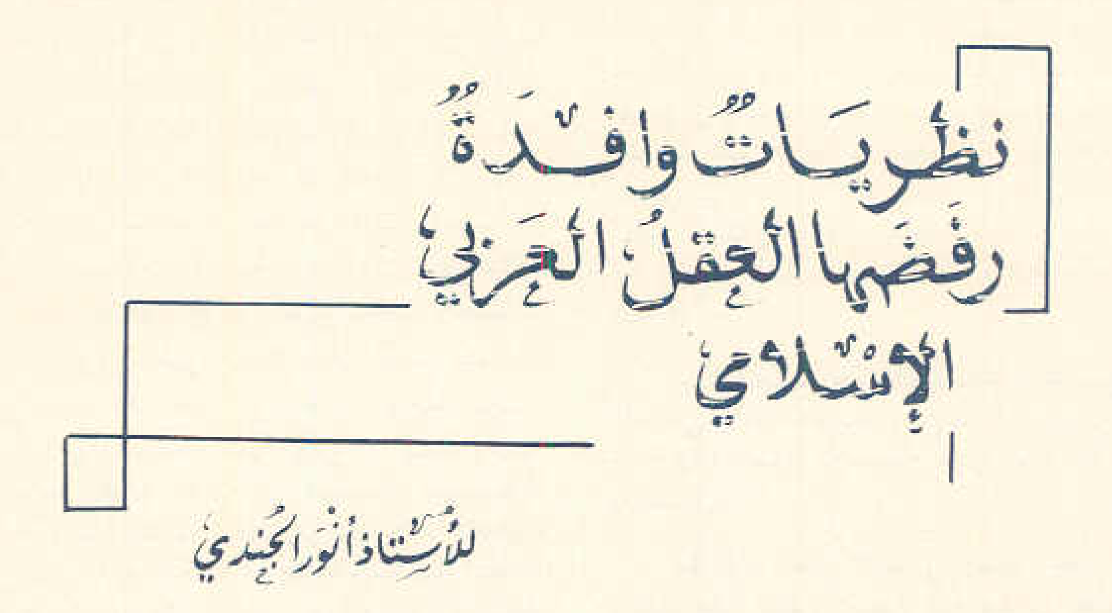
الرباط : محمد بن ابراهيم بخات

---

(14) عن كتاب (معالم في الطريق) لسيد قطب

كذلك كنتم ...

قدم حماد بن جميل من فارس ، فاتى آل المهلب في حق لهم ، وعليه جبة وشي ، فنظر اليه يزيد بن المنجاب وقال : (هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا) فقال حماد : (كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم) .



نظريات وافدة رفضها العقل العربي الإسلامي

للأستاذ أنور الجندي

في حوالي القرن الاخير (1870 تقريبا) الى اليوم القى الى الفكر الاسلامي والثقافة العربية نظريات ومذاهب وافدة كثيرة ، في مختلف مجالات اللغة والدين والاجتماع والحضارة والتربية والتراث .

وهي نظريات فرضت في الاغلب فرضا تحت ضغط ظروف الغزو الاستعماري والاحتلال البريطاني والفرنسي للعالم الاسلامي ، وقد القيت هذه النظريات من خلال الارساليات ومعاهدها وفرعييها، وكان مجال الصحافة والتعليم والثقافة ابرز ميادينها.

وقد غلف الدعاة الى هذه النظريات دعوتهم بحماسة الرغبة في النهضة والتجديد والاستجابة لروح العصر ، والخروج من الجمود ، وكسر قيود التقليد ومقاومة الرجعية والتماس الغرب الناهض في خطوه ، لمساواته ومحاذاته .

وقد حملت هذه الدعوات أساسا فكرة واضحة، هي ان امتنا وأوطاننا ليست من العرب ولا متصلة بافريقيا وآسيا ولا تربطها بالصحراء العربية رابطة ، ولكنها متصلة باليونان قديما ، وبالغرب حديثا .

وقد امتدت هذه النظريات الى العقل فقالت ان العقل المصري والسوري والمغربي هو عقل اوربي ، وان الفكر الاسلامي هو فكر يوناني ، وما الى ذلك من مجازفات خارجة عن ادنى حدود العلم والمنطق والتدقيق . وكلها تهدف الى عزل كل وطن عربي عن العرب كأمة وعرق من ناحية وعن الاسلام كفكر وثقافة من ناحية أخرى .

وقد صدرت مؤلفات تحمل مثل هذه الآراء اريد بها احداث ضجة كبرى ، كعامل هام في سبيل ترديد هذه النظريات الوافدة واعادة غرسها في العقول والنفوس . وقد جرت المساجلات ساخنة ومثيرة ، حول هذه الافكار ثم انتقلت هذه القضايا من اعمدة الصحف الى منابر الجماعات الى مجال البرلمان ، وكانت نفوذ الاستعمار وقواه تعمل في مجال البرامج التعليمي والمناهج الجامعية والصحف الكبرى والاسماء اللامعة من اجل اقرار هذه الآراء.

غير أن هذه النظريات لم تلبث طويلا حتى تحطمت ، وما عتمت هذه التيارات ان قضي عليها ، وفشلت في تحقيق الهدف منها ، ذلك ان ذاتية الفكر العربيالا سلامي المستمدة من قيمه ومقوماته الاصيلة عميقة الجذور قد رفضت هذه المحاولات التغريبية لاخراج هذه الامة من جلدها واذابتها في الفكر الامي الشعوبي غير ان الامر لم يتوقف بالتغريب عند حد الهزيمة فانه سرعان ما جدد هذه الدعوات والبسها صورة جديدة وقدمها مرة اخرى وما تزال رحى المعركة دائرة بين الزيف والصحيح ، وبين الاصالة والتبعية .

في مقدمة هذه النظريات تكريم ادب الاغريق واعلاء شأن ادب اليونان على الادب العربي ، ودعم

شان الاقليميات الضيقة : كالمصرية والفينيقية والبربرية وغيرها من الدعوات ، والنهي على العرب ومحاولة انتقاص وجودهم وكيانهم) واثارة الخلاف ومحاولة تمزيق الرابطة العضوية بين العروبة والاسلام ،ومعارضة الشريعة الاسلامية واثارة الشبهات حول اصالتها ، ومقاومة اللغة العربية الفصحى والدعوة الى العامية ، هذا الى المحاولات الجبارة الضخمة المبذولة من اجل دحر الحقيقة الواضحة الكبرى وهي ان الاسلام دين نظام اجتماعي معا ، هذا فضلا عن محاولة توجيه النقد الى القرآن ووصفه بأنه كتاب اوربي او كتاب وضعه النبي محمد وكذلك الدعوة الى اسقاط الحضارة الاسلامية وانكار عطائها للحضارة العربية ، والدعوة الى ما يسمى عالمية الثقافة ، وهو تذويب قيم الثقافة العربية في اتون الفكر الغربي مع الفروق الواضحة بينهما . ومحاولة توسيد قيم وافدة في مجال التربية والتعليم تتعارض مع ذاتية الامة ومزاجها النفسي ، وذلك الى مهاجمة التراث العربي الاسلامي واثارة الشكوك حوله وانتقاصه .

كما عهدت حركة التغريب الى اذاعة نظريات فرويد في النفس وسارتر في الاخلاق ودوركايم في الاجتماع وكلها تتعارض مع قيم الفكر الاسلامي ، ومن ابرز هذه المخططات العمل على انتقاص اعلام الاسلام وابطاله ، فضلا عن طرح مفاهيم غريبة في البطولة نفسها تستمد طابعها من مفهوم المسيحية الغربية القائم على ما يسمونه الخلاص ، وكذلك اذاعة الادب المكشوف والاباحية الفكرية مع الدعوة الى الالحاد من خلال مفاهيم الفلسفة المادية ، هذا بالاضافة الى محاولة اعلاء اتجاه التعبير المادي في مجالات التاريخ والاقتصاد والاجتماع .

وقد راجت هذه الافكار رواجا شديدا ، ووجد النفوذ الاستعماري عن طريق ادواته العديدة وفي مقدمتها المدرسة والصحيفة مجالا كبيرا لاذاعة هذه الافكار ودعمها .

وصدرت في ذلك كتب عديدة واثيرت مساجلات ومعارك ادبية متعددة .

غير ان هذه النظريات لم تلبث في ضوء الحقيقة ان سقطت وتحطمت .

حاولت هذه الكتابات ان تنقل وجهات النظر التغريبية الى مجال الفكر العربي الاسلامي في مختلف مفاهيمه واعتمدت على وجهات نظر المبشرين والمستشرقين وهي وجهات نظر خطيرة مفرضة مصاغة بعناية وحذر يراد بها اغراء القارىء العربي - وخاصة ذلك الذى لم يعرف كثيرا عن الفكر الاسلامي - حتى يتقبلها بسرعة وقد استخدم لها باحثون القيت اليهم اضواء واسعة من الشهرة والمكانة .

وقد اتصلت هذه الكتابات بالتاريخ والادب الاجمالي واللغة العربية وحاولت ان يتجرد من كل صلة لهذه العلوم بالاسلام في محاولة للتعمية والتضليل .

ولما كان الفكر الاسلامي يمثل وحدة كاملة ، وكانت هذه العلوم اجزاء منه يتكامل بعضها مع البعض الآخر، دون ان ينفصل احدها او يشكل وحدة مستقلة ، فقد راى دعاة التغريب في مكر بالغ ، ان يبتعدوا عن (الاسلام) كدين بصورة واضحة ، وان يجعلوا ضرباتهم موجهة الى هذه الجوانب حتى يكونوا في مامن من حملات العلماء ، وحتى يتحقق لهم بهدم هذه النواحي اصابة الاسلام في قلبه واعماقه.

فهذا كتاب يريد أن يصل صاحبه في بحث له طابع علمي براق الى ان الخلافة ليست اصلا من اصول الاسلام وان نظام الحكم كان حرا طليقا ، الى هنا والمسالة في نظر الباحث غير المتعمق- يسيرة وربما مقبولة ، ولكن هناك هدف المحق وراء ذلك ، ذلك هو الادعاء بان الاسلام كان دينا روحيا خالصا وان شؤون السياسة والمجتمع والحكم لم تكن منه جزءا لا يتجزا ، وبذلك احدث الكتاب ثلمة خطيرة في ادق مقومات الاسلام الاساسية التي تفرق بينه وبين الاديان القائمة على العقائد وحدها دون الشريعة، وعلى اللاهوت وحده دون نظام المجتمع ، ولكي نعرف مدى خطر هذا الراي أن تلقفه المستشرقون ومضوا يصرحون بان في الاسلام مذهبين وليس مذهب واحد احدهما يقول بان الاسلام دين وليس له دولة ، وحيث ان مستشرقا لم يجرؤ على هذا الادعاء قبل ان يصدر مثل هذا الكتاب ، وهذا الكتاب ما يزال في الايدي ، وهناك اكثر من بحث للرد عليه ودحض مزاعمه ، ولقد كان علينا ان نعلم ما هي خفايا هذا البحث والغرض منه ، هنالك نجد انه عمل سياسي اصلا ، اريد به معارضة اتجاه لاحياء الخلافة ومن

ثم فقد انتصرت الدعوة فى مجال الخصومة الحزبية والسياسية ولكنها تركت آثارا مريرة فى مجال الفكر الاسلامي ، فقد ادخل مفهوما ليس اسلامي الاصل، من مفاهيم الفكر الاوربي المسيحي القائل بالفصل بين الدين والدولة وهو ما لم يعرفه تاريخ الاسلام ومن عجب ان كتابا فى الفقه الاسلامي لا تجد فيه مرجعا واحدا من كتب الفقه وانما يعتمد على مثل الاغاني والعقد الفريد !!

— * —

وهناك كتاب شهير اراد صاحبه ان يدعو الباحثين والادباء الى ان يحجبوا دينهم وقوميتهم وهم بسبيل البحث فى الادب ، وكان ذلك جريا وراء تغريب الادب العربي باخراجه من وضعه الصحيح فى الفكر الاسلامي كجزء منه لا ينفصل ، ولا يمكن دراسته الا فى موضعه الصحيح ، فلقد كان للاسلام فى الادب العربي اثر ضخم بعيد المدى ومن هنا فانه من العسير اشد العسر ان ينفصل الادب عن الفكر الاسلامي ولا ان يدرس حرا من هذا الارتباط الاجتماعي والاخلاقي ، وهو ارتباط عضوي أصيل .

ولقد جنى الادب العربي من هذا المذهب الوافد فى النقد الادبي آثارا مريرة عظيمة ، فقد فتح الباب امام افكار نصوص الكتب المنزلة وفى مقدمتها القرآن ، كما فتح الباب امام محاولة نقد آيات القرآن وانه جزا الادباء على التركيز على ابي نواس وبشار والضحاك على انهم نماذج الادب العربي بينما ابعدت آثار الغزالي وابن تيمة وابن حزم ، فضلا انه فتح الباب امام الاباحيات والادب المكشوف واعلائه ، والجراة على قيم الاسلام، فضلا عن خطا اعطاء الادب هذه الحرية فى الحكم على امور لاتدخل تحت نفوذه، وفى التوسع لفرض سلطانه على قضايا المجتمع والدين والتربية والاخلاق ، وهذا ما لم يكن من مفهوم الفكر العربي الاسلامي المتكامل الشامل .

ولقد كان ذلك اتجاها خطيرا فى خطة التغريب يهدف الى تحقيق نتائج مضللة تتكشف ، فنحن نرى كيف اصبح مثل كتاب (الاغاني) مرجعا من مراجع البحث العلمي والتاريخي، تؤخذ منه النصوص ليستدل بها فى قضايا الدين والاجتماع والتاريخ ، بينما لم يكن هذا الكتاب فى الواقع الا مجموعة من الاصوات الغنائية وقد وضعه مؤلفه للملوك والخلفاء لازجاء فراغهم بقصص ذوي الاهواء واهل الفن وانه فى ذلك لا يدخل فى باب المراجع الموثوق بها ولا المصادر العلمية ، وهو الى ذلك لا يستطيع ان يمثل صورة حقيقة للحياة السياسية والاجتماعية فى مجتمع زاخر بالقوى الفكرية من الفقهاء والعلماء والفلاسفة والصوفية والمؤرخون، وقد تاكد من اكثرمن مصدر أن ابا الفرج الاصفهاني ليس مؤرخا ولا يصلح كتابه ان يكون مادة تاريخ ، وانما هو جماع لقصص فيه الصحيح والزائف جمعه من الاسواق . وقد شهد عليه كثيرون بالانحراف : فقال اليوسفي المؤرخ « ان ابا الفرج اكذب الناس لانه كان يدخل سوق الوراقين وهي مملوءة بالكتب فيشتري منها شيئا كثيرا من الصحف ويحملها الى بيته ثم تكون رواياته كلها منها ، بل ان المؤرخين قد وضعوه بأنه رجل عار عن الثقة به .

والحق ان الباحثين المسلمين قد التفتوا منذ وقت بعيد الى خطر المصادر الادبية كمراجع للبحوث العلمية والتاريخية . وقد اشار العلماء الى من اسموهم « أهل الغفلة والهوى الذين اعتمدوا فى تاريخهم على كتب الادباء واسفار الاخبار » فاهل الادب كما يقول القاضي ابو بكر ابن العربي « هم الذين غلبت عليهم صناعة الادب فمالوا الى كل غريب من الاخبار دون ان يتحروا الصدق ويهتموا بالرواية والاسناد ، لقول القاضي ابن العربي فى كتابه العواصم من القواصم : « لتحذروا من أهل الادب فانهم أهل جهالة بحرمات الدين أو على بدعة مصرين فلا تبالوا بما رووا » .

من خلال الاعتماد على مثل كتاب الاغاني (وكتب المحاضرات جميعها مردودة كمصادر علمية وتاريخية) وصل بعض الباحثين الى القول بان القرن الثاني من الهجرة كان على شك ومجون ، وان هذا الحكم قد صدر اعتمادا على دراسة بعض الشعراء المجان ، فاستطاع هذا الكاتب فى جراة عجيبة ان يقول بأن هؤلاء الشعراء يمثلون عصرهم ويخولون له الحق فى اصدار حكم على العصر كله، بينما يوجد فى ذلك العصر عشرات من الادباء والعلماء والمفكرين والباحثين ، ولا يمكن ان تتم صورة عصر الا بدراسة النماذج المختلفة فيه .

— * —

وبعد فان على شبابنا المثقف وكتابنا وأدبائنا ان يقفوا موقفا علميا كلما صادفهم مرجع او مصدر

من المصادر الشهيرة ، وان يسألوا انفسهم سؤالا واضحا :

الم تصدر في مناقشة هذه الآراء ردود او معارضات .

ثم عليهم بعد ذلك ان يبحثوا عن هذه الكتب ويقراوها .

فاذا كان من مصادر الكاتب او الباحث كتب مثل :

الشعر الجاهلي او الاسلام واصول الحكم او فلسفة ابن خلدون الاجتماعية او تحرر المراة او نظرية التطور او حديث الاربعاء او هامش السيرة او مع المتنبي، او مستقبل الثقافة او الاخلاق عند الغزالي او النثر الفني ، او غيرها من مؤلفات ، فان ضرورة التحقيق العلمي تقضي على القاريء ان يراجع كل ما كتب عن هذه الابحاث من ردود ومعارضات ، ذلك ان هذه الابحاث لم تكتب الا في ضوء تحديات خطيرة هي تحديات الغزو الفكري والتغريب وان كتابها يجب ان يعرضوا على قانون «الجرح والتعديل» .

أنور الجندي

مــن يستحقــه ؟

لما رجع الرشيد عن الحج كان قد نذر ان يتصدق بالف دينار على احق من يجده ، فدفع يوما الف دينار الى بعض ثقاته وامره ان يطلب فقيرا مستحقا فيعطيه ، فاخذ يطوف في الاسواق فاذا راى فقيرا مستحقا للاعطاء قال لعلي اجد افقر منه ، فانتهى في العشي الى عريان محلوق الراس في خربة فقال في نفسه لا اجد افقر من هذا ، فقال يا فتى خذ هذا المال واستعن به فقال : لا حاجة لي فيه قال احب ان تاخذه ، قال ان كان ولابد فثم حجام حلق راسي ولم يكن معي شيء فادفعه اليه ، قال فقصدت الحجام فامتنع من اخذه ، فقلت هو الف دينار ، فقال ما حلقت راسه الا للثواب فلا آخذ عليه اجرة ، قال فعدت وما وجدت اكرم منهما واهون مني .

عود إلى نقد الفكر الديني :

سجل تعقيب على رسالة مفتوحة..!

للأستاذ عبد الواحد الناصر

الكلمات التالية مساهمة أخرى للكشف عن المزيد من جوانب الضعف في الردود الاسلامية على كتاب نقد الفكر الديني . ورجائي قبل كل شيء هو ان تكون مساهمتي هذه محاولة متواضعة ملتزمة بتوضيح الرؤية الاسلامية الخالصة .

نشرت « دعوة الحق » في عددها الخامس رسالة مفتوحة وجهها الي سماحة الشيخ نديم الجسر بعد اطلاعه على مقالي « نقد الفكر الديني » الذي نشر في العدد الاول يناير 1971 من هذه المجلة، ومع تقديري للعلامة الكبير الشيخ نديم الجسر، وتأثري البالغ لكلماته الرقيقة ، وجدت نفسي وجها لوجه امام احتجاج صامت على قولي : « ومن المؤسف حقا ان لا نجد أي رد يمكن ان نعتبره وجهة نظر اسلامية قطعية وشمولية تعبر عن الموقف الحقيقي للاتجاه الاسلامي الخالص من هذه القضايا الاساسية ، وتحدد بالتدقيق ، وبتعليل قاطع : الجواب الاسلامي الحاسم على كل المزاعم والاتهامات » .

وقد وجدت نفسي ملزما بالتعقيب على هذه الرسالة المفتوحة ، خاصة وانني لم اقصد ان ايا من الكتاب المسلمين لم يستطع ان يتطرق للموضوع بالطريقة التي انتهجتها ، او ان الردود جميعها كانت ناقصة او غير مفيدة الا ردي ! لا ازعم ذلك لنفسي ولم يخطر ببالي ، وانما كان قصدي – ولا زال – هو توضيح الضعف الذي تعاني منه الردود الاسلامية ، والذي لا يستطيع احد ان ينكره .

يقول عالمنا الكبير في رسالته المفتوحة : اني وجدت كل الشبهات والشكوك الهامة ، التي تستحق الرد ، بل يتوجب الرد عليها ، تكاد تكون محصورة في الفصل الاول من الكتاب تحت عنوان « الثقافة العلمية وبؤس الفكر الديني » وهذه الشبهات الهامة قد وردت كلها في مقاله الاول الذي نشره في عام 1967 ورددنا عليه ردا شاملا يخص كل جزئية بذاتها ، ويصلح ايضا ان يكون نافعا لمعالجة كل شبهة تخطر على البال) (1) .

ان هذه الفقرة تحمل في طياتها معنيين :

الاول : ان فضيلة الشيخ يرى ان رده شمولي وقاطع ويجيب على كل جزئية قد تخطر على البال.

والثاني : اني تبعا لذلك ، اخطأت حين وصفت جميع الردود بأنها كانت غير شمولية وقاطعة .

وهذا يعني ان اتهامي للردود الاسلامية ، بما فيها رد الشيخ نديم الجسر ، بالنقص وبالضعف ،

---

(1) دعوة الحق – العدد الخامس 1971 ص 16 .

هو اتهام جزافي لا اساس له من الصحة . ومن ادعى شيئا وجب عليه اثباته !

— ※ —

اوجــه الخــلاف

اني لا اوافق سماحة الشيخ في قوله ان العظم وامثاله لا ينفع فيهم تجديد الرد او توسيعه ، لسببين :

الاول : ان الرد في حد ذاته ، وفي هذه المرحلة التاريخية الراهنة ، ليس موجها الى العظم وامثاله لكي يعودوا الى جادة الصواب ، وانما هو قبل كل شيء مجابهة للافكار التي يدعون اليها ، وهي افكار كما لا يخفى على الشيخ نديم الجسر أصبحت سائدة وسارية وتحتاج الى التفنيد والمواجهة .

والثاني : ان الرد وتجديده وتوسيعه ان اقتضى الحال ، مناسبة لابراز وجهة النظر الاسلامية ، وطريق لمواجهة التيارات المختلفة ، وفي نفس الوقت وسيلة لاكتساب مؤيدين ومناصرين الفكرة الاسلامية .

وعلى هذا الاساس لم اجد حرجا من الكتابة بعد مرور أكثر من سنة على صدور كتاب نقد الفكر الديني ، لايماني بأن المجابهة مع الجاهلية المعاصرة يجب أن تستمر كليا وعلى جميع المستويات ، ولاعتقادي بأن هذه المجابهة يجب ان تكون في مستوى الهجمات والتحديات (2)

يقول سماحة الشيخ في رده على الدكتور العظم :

(لا بد وان تكون عند الحق من قول فرنسيس باكون « القليل من الفلسفة يبعد عن الله والكثير من الفلسفة يرد الى الله») (3) .

لا اعتقد ان الفلسفة ترد الى الله ، لانه لو كان الامر كذلك ، لكان الدكتور العظم ، وهو استاذ جامعي في الفلسفة ، قد عاد الى الله ! ولكان الفلاسفة جميعهم مؤمنون !

ان هذا الموقف جعل سماحته يقع في خطاين :

الاول : استبعاده لوجود خلاف بينه وبين العظم حول وجود الله : (ارجح ان الجدل بيننا الآن ليس عن وجود الله او عدم وجوده) (4) واقراره بأن الجدل يدور : (حول تفكير المسلمين في العالم المعاصر ، وزعمك أنه مقيد ومشدود الى الوراء يمنعهم من الانطلاق والتلاقي مع التفكير العقلي العلمي الحديث) (5) .

وللمزيد من الايضاح نلاحظ ما يأتي :

اولا : الدكتور العظم لا يومن بالله ، وقد ركز جهوده الفكرية لنفي وجوده تعالى . وتكفي هذه الفقرة لاثبات ذلك : (عندما نقول مع نيتشه ان الله (سبحانه وتعالى) قد مات أو هو في طريقه الى الموت فنحن لا نقصد ان العقائد الدينية قد تلاشت ..) (6)

ثانيا : ان فضيلة الشيخ يرى أن تفكير المسلمين غير مشدود الى الوراء ولا يمنعهم من التلاقي مع التفكير العقلي العلمي الحديث .. ولكنه لا يبين لنا اي نوع من التفكير العقلي العلمي الحديث ، فالعظم يقصد « بالعلمية » مجموع الثقافات الراهنة والاتجاهات المادية والثورية في الحياة والاقتصاد .. وما من شك في أن «العلمية» بهذا المفهوم مناقضة للاسلام وللتفكير الاسلامي الخالص ، ولا يمكن القول بتوافقهما وتناسقهما وتلاقيهما !

والخطا الثاني : قول سماحته ان ركائز التفكير الاسلامي تتوافق مع ركائز الفكر الغربي المعاصر : (فما لي اراك غضبت عن ذكر هذه الوسيطة الاسلامية ، وعن ذكر ركائز التفكير التي أوضحت انها تتلاقى وتتفق مع ركائز التفكير الغربي المعاصر ، على تقديس العقل وتقديس العلم) (7)

---

(2) السبب المباشر لتأخري عن الكتابة هو عدم تمكني من الحصول على نسخة من كتاب نقد الفكر الديني .

(3) دعوة الحق ـ العدد الخامس 1971 ص 19.

(4) المرجع السابق .

(5) المرجع السابق ص 20

(6) نقد الفكر الديني

(7) دعوة الحق العدد الخامس 1971 ص 19

ولتوضيح هذا الخطأ نورد الفقرتين التاليتين :

1 – (وكذلك لم العن الماركسية بلفظ اللعن ، كما قولتني ، ولا العنها هكذا « بالجملة » وان كنت « المفرق » انكر منها الالحاد . فالماركسية، في اصلها ، مذهب اقتصادي اجتماعي فيه بعض الخطأ وفيه بعض الصواب) (8) .

ونلاحظ في هذه الفقرة :

اولا : فضيلته ينكر عن الماركسية الحادها ، ويرى انها مذهب اقتصادي اجتماعي فيه بعض الخطأ وبعض الصواب .

ثانيا : فضيلته في رده لا يذكر لنا ان الاسلام مذهب اجتماعي اقتصادي ونهج حياة ، وان كان يذكر عرضا وسطية الاسلام كحل وسط بين افراط الشيوعية وتفريط الراسمالية .

2 – (اما تساؤلاتك حول موقف المسلم من الثقافة ، والحضارة المعاصرة ، والانقلاب العلمي ، والثورة الصناعية ، وكتاب داروين في اصل الانواع ، ومؤلف ماركس في « راس المال » ونظرية انشتاين في « النسبية » ، فانك تجد صوابه في اركائز الثلاث الاولى التي اوضحنا فيها ان القرآن يقدس العقل والعلم والحرية . ولن يكون موقف المسلم من هذه المستجدات التي ذكرتها ، الا كموقف كل انسان ذي عقل سليم . يدركها ويفهمها ويأخذ منها بكل ما يتلاءم مع الحق والخير على اساس مفهوم الحرية في الاسلام) (9) .

اذا سايرنا التسلسل الفكري في هذه الفقرة ، نجد ان كل نظرية جديدة ، ينظر اليها الانسان على انها صائبة او عادلة ، يجوز للمسلم ان يأخذ بها .. وحسب هذا المنطق ، وما دام المثل الاعلى المعاصر هو تحقيق العدالة الاجتماعية – وكما يزعم الاستاذ مكسيم رودنسون – فانه يجوز « للمسلم ان يأخذ بالنظرية الاشتراكية باعتبارها احدث نظرية تحقق العدالة الاجتماعية والاقتصادية !

يرى سماحة الشيخ ان موقف المسلم من النظريات المستجدة ينبني على تقديس « العلم والعقل والحرية » ولكن سماحته يغفل ناحية مهمة ، هي ان العلم والعقل والحرية ، يجب ان ترتبط لدى المسلم « باسلاميته » ، بمعنى ان يرفض في النهاية كل ما تمخضت عنه الحضارة المعاصرة من مفاهيم ونظريات وفلسفات ، وان يقبل على العلوم التجريبية والتقنية وعلوم التقدم المادي والصناعي ، لان هذه كلها لا تنفي عقائد الاسلام وتعاليمه ولا تمس نظمه ومؤسساته !

فموقف الانسان المسلم من النظريات المستجدة والثقافات الراهنة والحضارة المعاصرة ، ينبغي ان ينطلق من الاسلام ذاته ، وليس من المثل المهيمنة على عصره ، او من مفاهيم الخير والعدل والحق السائدة ، لان هذه ، اذا لم تكن من الاسلام ، فهي خاطئة ولا يجوز الاخذ بها !

بعد هذه الملاحظات العامة نعود الى مناقشة قول سماحته : ان رده يجيب على كل ما اثاره الدكتور العظم ويصلح لان يكون جوابا على كل شبهة قد تخطر على البال .

نوافق سماحته في ان الفصل الاول «الثقافة العلمية وبؤس الفكر الديني» هو اهم فصل في كتاب نقد الفكر الديني . اما موافقته في ان رده يجيب على كل الشبهات والشكوك التي يثيرها العظم او التي يمكن ان تخطر على البال فانها موضع نقاش !

يثير الدكتور العظم في هذا الفصل قضيتين :

الاولى : مشكلة فكرية ثقافية هي مشكلة النزاع بين العلم والدين .

والثانية : مشكلة خاصة هي موقف الانسان المتأثر بالثقافة العلمية من الاعتقاد الديني .

والافكار الاساسية التي يعرضها الدكتور العظم في المشكلة العامة هي :

1) الدين يتعارض مع العلم ومع المعرفة العلمية .

2) الاسلام والعلم على طرفي نقيض في تفسير طبيعة الكون ونشأة الانسان وتاريخه .

3) لا وجود للخالق سبحانه ولا حياة بعد الموت والنهاية الحتمية لجميع الاشياء هي الفناء والعدم .

---

(8) المرجع السابق .
(9) المرجع السابق ص 23

ويعرض الدكتور العظم في المشكلة الخاصـــة رايه في موقف المثقف ثقافة علمية من الدين ومختلف الاجوبة والحلول المتعلقة بهذه المسألة :

1 ـ الحل الاول : هو محاولة التوفيـق بين المعتقدات الدينية الموروثة والآراء والمعارف العلمية التي يتوصل اليها العلم . ويرى أن هذا التوفيـق ينقسم الى :

ا ـ توفيق خطابي : وهو الحل الذي يقدمـه اولئك الذين يرون ان النزاع بين العلم والدين هـو نزاع ظاهري ، وان الانسجام بين العلم الحـديث والاسلام كامل والتوافق بينهما تام وشامل (ص 33 وما يليها)

ب ـ توفيق تبريري : وهو تبريـر الاوضـاع الاجتماعية والسياسية القائمة مهما كان نوعها على اساس انسجامها التام مع الدين الحنيف وتعاليمـه وشرعه (ص 45 وما يليها)

ج ـ توفيق تعسفي : وهو التوفيق بين الاسلام والعلم الحديث باستخراج كافـة العلـوم الحديثـة ونظرياتها ومناهجها من آيات القـرآن (ص 51 وما يليها) .

د ـ توفيق على الطريقة اللبنانية : وهو الحوار الاسلامي المسيحي الفارق في العبارات الخطابية التي لا مدلول محدد لها وفي التعميمات حـول التوافـق المسيحي الاسلامي (ص 58 وما يليها)

2 ـ الحل الثاني : الرفض التام للنظرية العلمية وجميع الافكار والآراء التي تنطوي عليها والانغلاق داخل النظرة الدينية (ص 68 وما يليها)

3 ـ الحل الثالث : القول بان المنهج العلمـي والمعرفة العلمية لا يتعديان نطاق الطبيعة ، ولذلك لا يتيسر لهما البحث في العقائد الدينية (ص 69 وما يليها) .

4 ـ الحل الرابع : لا يجوز ان نتقبل او نرفض رايا من الآراء ما لم تتوفر الادلة والشواهد الكافيـة على صدقه او كذبه (ص 75 وما يليها) .

بالمقارنة بين ما اثاره الدكتور العظم في الفصل الاول من كتابه مع رد سماحة الشيخ نديم الجسر ، يتبين لنا أن رد سماحته لا يتعدى الجـواب علـى نقطتيـن :

الاولى : الجواب عـلى الشبـهات والشكـوك الرئيسية التي يثيرها العظم فيما يسميـه بالمشكلـة العامة .

والثانية : تاكيده على التلاقي بين ركائز التفكير الاسلامي وركائز التفكير العقلي العلمي الحديث .

وهكذا فان رد سماحته لا يجيب ولا يحـدد لنا الموقف الاسلامي الصحيح من هـذه القضايـا الاساسية :

اولا : الفكر التوفيقي الذي يبـرر الاوضـاع الاجتماعية والسياسية القائمة مهما كان نوعها ! .. (لم يرد في رد سماحتـه اي اشارة « للتوفيـق التبريري » الذي يخصص له العظم ست صفحات !).

ثانيا : موقف المسلم من الثقافة العلمية كمـا يفهمها الدكتـور العظـم ! (مثـلا الرفـض الكلـي والشامل للفلسفة الماركسية وتطبيقاتها المختلفة !)

ثالثا : التوفيق على الطريقة اللبنانية او الحوار الاسلامي المسيحي (لا شك ان كثيرا من الانتقادات التي وجهها العظم في هذا الشأن كانت صائبة !)

ليس ما اوردناه انتقاصـا من قيمـة شيخنـا الكبير ، ولا تقليلا من علمه وجهوده المشكورة ، فهو واحد من كبار علماء المسلميـن في هـذا العصـر ، وقدوة حسنة في الجهاد بالنفس والنفيس . ويكون من الانصاف ان نعترف بان رده ، هو اعمق الردود الاسلامية ، واقلها ضعفا وتشويها وتاثرا بالرواسب الفكرية الوافدة (10) .

وسنحاول فيما يلي ايضاح جوانب اخرى من الضعف في الردود الاسلامية يمكن ان تنطبق كلا او جزءا على هذه الردود .

— * —

امثلة اخرى من الضعـف

لناخذ كبداية اطول الردود الاسلامية ، وهـو كتاب البرهان اليقيني في الرد على كتاب نقد الفكر

(10) ينطبق هذا الوصف ايضا على المقالات التـي نشرتها جريدة الشهاب الاسلامية خـلال الزوبعـة التي احدثها نشر كتاب نقد الفكر الديني .

الديني للشيخ جابر حمزة فراج .. هذا الكتـاب لا يتضمن فى نصفه اية اشارة لما يثيره كتاب نقـد الفكر الديني من قضايا ومزاعم واتهامات ! بل هو فى مجموعه يرضى بالواقع القائم فى العالم الاسلامي ، اذ هو لا يتعرض لهذا الواقع ولا يتبرأ منه ولا يرى فيه ما يستحق اللوم والنقد والمواجهة .. واكثر من هذا يعتز الشيخ جابر حمزة فراج بالواقع العربي فى صورته الحالية : (هذه صورة لواقعنا .. استعداد وتحفز .. واقدام وتسلح .. وتوجيه وتنظيم .. حتى تشهد الدنيا ان العرب الامجاد بأسهم شديد وبطشهم عنيف اذا ما اعتدى عليهم .. فهم مـن الحق وللحق ..) (11)

ودون ان نستفسر الشيخ جابر عن نوعيـة « التنظيم والتوجيه » ودون ان نناقشـه فـى الاستعداد والباس الشديد والبطش العنيف بالاعداء.. فان الصورة التى يقدمها لنا عن الواقع العربي غير كاملة ، ولا يمكن لاي مسلم ان يتغاضى عن بعده وتباعده عن الاسلام . فهذا الواقع لا يستحق اللوم والنقد فحسب ، وانما هو بحاجة الى التغيير والتبديل ، بحاجة الى الرجوع الى الاسلام .

ورد فى ص 27 من كتاب نقد الفكر الديني انه : (عندما سئل رسل : هل يحيا الانسان بعد الموت ؟! اجاب بالنفي ، وشرح جوابه بقوله : عندما ننظر الى هذا السؤال من زاوية العلم وليس من خلال ضباب العاطفة نجد انه من الصعب اكتشاف المبرر العقلي لاستمرار الحياة بعد الموت . فالاعتقاد السائد باننا نحيا بعد الموت ــ يبدو لي ــ بدون اي مرتكز او اساس علمي) .

ان الحياة بعد الموت ليست من دائرة العلم التجريبي ولا من محيطه ، وموقف الانسان منها بالنفي انما هو وليد الاجتهادات العقلية ، وليس نتاج البحث والرصد والتجريب فى المختبرات والمعامل العلمية !

جوابا على الدكتور العظم يقول الشيخ جابر حمزة فراج : (فلو افترضنا وجود حياة دنيوية فقط لاختل نظام الدنيا .. واضطرب سير الكون وعمت الفوضى.. وذلك لان القوانين الوضعية وحدها مهما بلغت دقتها لا تضمن مقاومة الجرائم باكملها .. ولا تمتد يدها لعقوبة المجرم الا اذا وقع تحت نظرها ص 64) (12) .

ان تعليق حتمية وجود عالم آخر بالجزاء امر لا نقاش فيه ، اما ان نقصر هذه الحتمية على مجازاة السارق ومقترفي الجنايات ، فهذا تعليل غير كامل ، لان المقصود منه فى الحقيقة هو ان يسود النظام وأن تقل الفوضى !

لا شك أن الجزاء يترتب على مخالفة قواعد ومقتضيات معينة ، وهو فى المفهوم الاسلامي يترتب على مخالفة قواعد الشريعة الاسلامية الاعتقادية والتشريعية (13). وهذه الحقيقة تثير لدينا تطبيق هذه الشريعة على صعيد الدولة الاسلامية وما يستتبع مخالفتها من جزاء فى الآخرة . وقراءة البرهان اليقيني من أوله الى آخره تبين لنا ان كاتبه اغفل هذه المسالة الاساسية ، ولم يبد اي اعتراض على تطبيق الشرائع الوضعية ، وكأن الاوضاع القائمة اسلامية مائة فى المائة !

— ❊ —

واغرب مما سبق ان الاستاذ حسين القوتلي (14) يذهب الى ان الصراع ليس بين الدين والعلم كما يفهمه الدكتور العظم ، ولكنه بين الفكر الميتافيزيقي والفكر المادي : (الصراع ليس بين الدين والعلم وانما بين الفلسفة الميتافيزيقية والفلسفة المادية فى الاساس) (15) .

الاستاذ القوتلي ينقل الصراع من دائرته الحقيقية ، اي بين الفكر الاسلامي والفكر الجاهلي ، الى ما يسميه بالصراع بين المادة والروح : (ومن هنا تعود المشكلة الى تاريخها الفلسفي الطويل ، واعني

---

(11) البرهان اليقيني فى الرد على كتاب نقد الفكر الديني ص 45 .
(12) البرهان اليقيني ص 64 .
(13) كثير من الناس يجهلون ان الشريعة الاسلامية منهج كامل للحياة الانسانية .
(14) عضو فى مجلس ادارة مجلة الفكر الاسلامي البيروتية .
(15) العلم ونقد المنهج فى كتاب نقد الفكر الديني، مجلة الفكر الاسلامي العدد الرابع سنة 1970 ص 115

به تاريخ الصراع بين المادة والروح ، ايهما الموجود الحقيقي ، وما هي ماهيته ، ومن اين جاء ، والى اين يصير) (16) .

فهل الصراع حقيقة هو بين الفكر الميتافيزيقي والفكر المادي ؟

قبل الاجابة على هذا السؤال نلاحظ :

اولا — ان الفلسفة بأشكالها القديمة والجديدة دخيلة على الفكر الاسلامي . وصفة العلمية وما يتبعها من صفات الصدق والحقيقة والصواب تنصرف الى الفلسفة المادية دون الميتافيزيقية ؟

ثانيا — اذا كان الجواب بالايجاب على ذلك السؤال فانازمة الصراع بين الروح والمادة لا تبقى فى اطارها الفلسفي ، وانما تصبح ايضا ازمة الفكر الاسلامي ، وعندئذ لا يكون من المستغرب ان يتزعم الاستاذ القوتلي الاتجاه الميتافيزيقي فى الاسلام ، ويصدر كتابا بعنوان « الميتافيزيقا الاسلامية » قدوة بالكاتب المصري المعروف صاحب كتاب « المادية الاسلامية وابعادها » !!

ان الصراع ياخذ وجهة ثانية حين يتعلق الامر بالاسلام . ذلك اننا فى هذه الحالة نكون امام حقيقة اساسية ، وهي ان الصراع يصبح بين « فكر اسلامي » وبين « فكر غير اسلامي » ولم نسمع بوجود صراع بين الروح والمادة الا فى مباحث الفلسفة !

الفكر الاسلامي هو الفكر المؤمن على الطريقة الاسلامية (17) ، وهذه الصفة تميزه وتحدد نوعيته، فهو يتخطى مرحلة البحث والشك الى مرحلة اليقين والانطلاق . ومن هنا فان كل فكر يجادل فى وجود الله او يحاول اثبات هذا الوجود بالادلة الفلسفية والبراهين العقلية هو فكر غير اسلامي ! بعبارة اخرى ينطلق الفكر الاسلامي من الايمان بالله لينتهي بمزيد من الايمان ، اما الفكر الفلسفي فيبدأ من نقطة الصفر بتساؤله عن المصدر الاول للكون والاشياء .. لينتهي بانكار الخالق والايمان به على الطريقة الفلسفية ! (18)

هذه النتيجة تجعلنا نرفض الفكر الفلسفي فى أصوله وامتداداته ، لان فكرنا الاسلامي فكر مؤمن منذ البداية ، موضوعه الدعوة الى عبادة الله وحده وغايته اقامة النظام الاسلامي الذى يضمن استمرار هذه العبادة .

وعلى هذا الاساس لم يكن الفكر الاسلامي فى حاجة الى الفلسفة الميتافيزيقية فى القديم والحديث لكي يثبت صلاحيته ، ويركز دعائمه ، وليس فى حاجة الى مسايرة الفلسفة المادية الحديثة ، والاخذ بمعطياتها الفكرية والعلمية ، حتى يستطيع الاستمرار ويتمكن من النهوض !

— * —

ازمة الردود الاسلامية

ان ملاحظاتنا السابقة ، تقضي بنا الى تقرير حقيقة مرة ، هي ان الردود الاسلامية تعاني من الضعف والهزال ، وتعاني من التأثر بالرواسب والروافد الفكرية المتناقضة . بل ان بعض هذه الردود ينطلق من الدفاع عن اوضاع ومؤسسات وافكار جاء الاسلام ليقضي عليها ويحرر الانسان من نيرها !

الكتابات المعادية للاسلام يمكن تصنيفها حسب نظريتين : ترى احداهما انه فى حالة احتضار ، وتذهب الثانية الى انه فى حاجة الى النمو . وكلا النظريتين تنكر على الاسلام ، بصورة او اخرى ، امكانية الاستمرار أو التحقق والتطبيق من جديد . فليس من المستغرب ان يصدر كتاب يدعي ان الاسلام لم يعد صالحا للبشرية او انه يقتضي تحولا او تبدلا لكي يساير وضعية الانسان المعاصر ، فهناك كتابات كثيرة تحمل اللافتة الاسلامية ، وهي ابعد ما تكون عن الاسلام ، وتخالف اهم المقتضيات الاسلامية !

ومع ان كتاب نقد الفكر الديني ليس بكرا فى معاداة الاسلام ومهاجمته ، فانه ينتهج اسلوبا جديدا اقل ما يوصف به انه يعتمد على الخداع والتدليس والتجريح . فليست مهاجمة العقائد والمؤسسات الاسلامية بالشيء الجديد ، ولكن الجديد هو مهاجمة

---

(16) المرجع السابق ص 116

(17) بناء على هذا المفهوم نستثني كل فكر متأثر بتيارات فكرية دخيلة سواء كانت يونانية أو فارسية او حديثة !

(18) ما من شك فى ان هذا هو الايمان الذى يقصده فرنسيس باكون !

الاسلام من ارضية فكرية فاسدة ، والالتجاء الى اساليب غير علمية كقلب الحقائق وتشويه المعلومات، ومؤاخذة الاسلام بأعمال ونزوات المنتسبين اليه !

وليس المؤسف في الردود الاسلامية على هذا الكتاب هو عاطفيتها وحماستها ، وانما هو افتقادها لعنصر القوة الذي يجب ان يتوفر في كل رد يوصف بـ « الاسلامية » .

الاسلام يرفض جميع الثقافات والاتجاهات التي توصف بالعلمية ، اذا اقرت مفاهيم مغايرة لمفاهيمه عن الله تعالى وعن الحياة والمجتمع والانسان . ولهذا السبب ليس هناك اي أساس صحيح لتبرير الاخذ بأحد التيارات المعاصرة والتكون على أساسها ، ولو كان وراء هذا الاخذ علماء وشيوخ ومراكز الاشعاع الروحي !

ومن هنا يظهر ان وجهة نظر الدكتور العظم تبدو صحيحة من ناحية المحاولات التي جرت منذ القديم للتوفيق بين الاسلام والتيارات الفكرية المختلفة ، ابتداء من التوفيق بين مبادىء الاسلام والفلسفة اليونانية ، وختاما بالتوفيق بينه وبين معطيات الفلسفة الماركسية !

ولا نجد اية ادانة لهذه المحاولات الناشزة العقيمة في غالبية الردود الاسلامية . ويبدو تبعا لذلك ، ان قليلا من الكتاب استطاعوا التخلص من الشوائب والتأثيرات الثقافية الدخيلة والمعارف الراهنة التي اعتراها كثير من التحريف والتشويه .. لذلك فان كثيرا من الاعمال الفكرية التي تنسب الى الاسلام بحاجة الى تقييم جدي ومراجعة نقدية جذرية . ومن هذه الوجهة لا غير ، يمكن ان نجد التفسير الصحيح لضعف وهزال معظم الردود الاسلامية على كتاب نقد الفكر الديني .

ان المسلم العادي له الحق في حالة هجوم على عقيدته ان يستعمل الكلمات العاطفية المجردة والعبارات الحماسية التعميمية . اما المفكر او الكاتب المسلم فيجب عليه الا يكتفي باطلاق تبريرات نظرية نزاعية ، او باتخاذ مواقف تقليدية جامدة ، وانما عليه ان يبين صلاحية الاسلام ، وان يركز جهوده في سبيل مجابهة الهجمات العدائية وابراز الحقائق الاسلامية .. وهذا ما تفتقر اليه الاعمال الفكرية الاسلامية المعاصرة ، فمعظمها ينزع الى التكرار والاجترار وعدم التخلص من التأثيرات والرواسب الدخيلة .

ومن هنا يحق لنا ان نقول ان ازمة الردود الاسلامية على كتاب نقد الفكر الديني ، ليست الا جزءا من الازمة التي تعاني منها الكتابات الاسلامية المعاصرة . وليست هذه الازمة الا انعكاسا لما يعاني منه واقع العالم الاسلامي من التخلف والتناقضات ، خاصة وان حركة البعث الاسلامي لا زالت عاجزة عن استقطاب الجماهير المسلمة واخراجها من حيرتها وجمودها ولا زالت في حاجة الى دراسة نقدية جذرية للمرحلة المنصرمة من مسيرتها ، وتحليل دقيق للاوضاع الفكرية العالمية الراهنة .

ولم يعد خاف ان النظرية التي يدعو اليها الدكتور العظم وامثاله ، اتجهت منذ اول تجاربها الى الابداع في الشكليات والاقتصار على تمجيد الاصطلاحات حتى اصبحت لا تتناسب مع المقتضيات الفكرية التي تثيرها . ونضيف الى ذلك بأنها ابتليت بالاكاذيب واصبحت بعدما أعلنت انها نهاية الظلم والاستعباد ، تستخدم كتبرير لاقسى المظالم التي عرفها التاريخ . وما كان للعقيدة التي اعلنت انها نهاية عهد الطغيان وبداية عهد الحرية أن تبرر أي استعباد أو اضطهاد ! .

اننا نريد من الكتابات الاسلامية أن تكشف عن الحقائق وان توالي انتقاداتها لما يفرض على الانسان المسلم من افكار ونظم وعقائد .. فلسنا بحاجة الى الكتابات الهزيلة او المتأثرة بعزة الجاهلية .. ولسنا في حاجة الى معطيات الفلسفة اليونانية وحفيدتها الغربية لكي ندافع عن اسلامنا ، فالاسلام في غنى عن مثل هذا العمل الشاذ ، لانه سخرية به وبتعاليمه، ولانه انتقاص من قيمته ومكانته .

الرباط : عبد الواحد الناصر



الاستشراق وقضايا الاسلام وثقافته

للأستاذ محمد المنتصر الريسوني

- 8 -

الـرق في الاسـلام :

ان من المفتريات التى نسجتها اخيلة اعداء الاسلام واقزام الاستشراق ، وحاولوا بها اثارة الشكوك وزعزعة العقيدة قضية الرق والعبودية ، فزعموا أن الدين الاسلامي من طبيعته ومقوماته الاسترقاق والاستخفاف بكرامة الانسان الذى هو مخلوق مقدس يجدر احترامه وتبجيله ، وقبل ان نفند هذه الفرية المختلقة بالبراهين التى تستجلي الحقيقة بارقامها ينبغي ان نلقي نظرة عجلى عن تاريخ الرق كتوطئة لما نحن بصدد الحديث عنه .

لا يعرف بالتحديد لحد الآن البيئة الاولى التى نبتت فيها عروق الرق ، بيد ان المراجع تؤكد ان الرق عرفته الانسانية منذ قديم الدهور تبعا فى ذلك للصيرورة الزمنية .

فالشعوب شهدت الوانا من الرق نجملها فيما يأتي :

ا ــ الرق الفردي
ب ــ الرق الجماعي
ج ــ الرق الاقطاعي
د ــ الرق الطبقي
هـ ــ الرق الكهنوتي

اما اذا أردنا ان نبحث عن الاسباب المؤدية الى انتشاره فاننا نجد ذلك يعزى الى تخلخل النظام الاقتصادي ، وانحراف العواطف نحو الترف ، واختلاف الموازين العقدية ، والمفاهيم الاخلاقية ، وتضارب المثل العليا ، ونشوب الحروب بين المجتمعات ، واستفحال القرصنة والسرقة .

والامة الاغريقية وهي ما هي فى المضمار الحضاري وقتئذ انجبت فلاسفة يعتبرون عمالقة فى المجالات العرقية امثال سقراط وافلاطون وارسطو وصولون يقرون (1) الرق ولا يرون بأسا فى ابقائه ، بل هم يضعون نظاما خاصا للطبقات ، فارسطو يرى أن هناك بشرا خلقوا للسيادة والرفعة، وآخرين للطاعة والخضوع ، وافلاطون فى جمهوريته يحبذ الاسترقاق ويدعو له معللا ذلك باسطورة اختلقها فقال : « كلكم اخوان فى الوطنية ولكن الاله الذى جبلكم وضع فى طينة بعضكم ذهبا ليمكنهم من ان يكونوا حكاما ، فهؤلاء هم الاكثر احتراما ، ووضع فى جبلة المساعدين فضة ، وفى العبيد لان يكونوا زراعا وعمالا وضع نحاسا وحديدا (2) » .

وصولون وهو من حكام اسبرطة وواضعي قوانينها لم يكن يتورع عن ان يبيح القرصنة والسطو

---

(1) انظر كتاب لا رق فى القرآن لابراهيم هاشم فلالي ص 16 ــ دار القلم .
(2) جمهورية افلاطون نقلها الى العربية حنا خباز ص 110 ــ 111 دار التراث بيروت 1969 .

والسرقة من اجل اختطاف الناس لاسترقاقهم سواء فى ذلك النساء والاطفال .

وقد وصلت الحركة الاستعبادية عند الاسبرطيين درجة بشعة حتى انهم كانوا يقدمون الرقيق من الفتيات الى المعابد ليقترف روادها جريمة الزنا ، وفائدة الدخل يكون لمصلحة صندوق المعبد .

وعلاوة على ذلك فقد كان عندهم من الامور الجاري بها العمل ان الدائن له الحق كل الحق فى استرقاق المدين ان هو عجز عن تسديد ما عليه من دين ، كما ان القانون كان يمنع على السيد ان يحرر عبده الا بشروط معقدة جدا ، واذا ما نفذ السيد هذه الشروط فعليه عند ذاك ان يدفع غرامة مالية للدولة ، لان عملية التحرير هذه تؤدي الى اضاعة حق من حقوق الدولة .

واما فيما يتصل بقضية الرقيق عند الامة الرومانية التى عرفت بوضع القوانين فاشتقت منها الامم الحديثة تشريعها ، فانه لم يكن له الحق كمواطن له حقوقه وسيادته فى الامتلاك والاستدانة والوراثة او التمثل امام القضاء ، لان كل ذلك من حق الحر غير ان هذه القساوة والعنف فى المعاملة بدات حدتها تخف نوعا ما بانتشار المسيحية فى الدولة الرومانية اذ سمح للرقيق حينذاك ان يشارك فى المراسيم الدينية ، وان يقوم مقام اسياده فيما يتعلق ببعض العقود التجارية ، ونص القانون على تحريم قتل المملوك بعد ان كان قتله حلالا طيبا !!!

وهكذا ظلت مشكلة الرقيق قائمة فى كل بقعة من بقاع الدنيا يعامل معاملة الحيوانات او اكثر كما راينا عند الاغريق والرومان ـ وهما الامتان المتحضرتان ، الاولى تفوقت فى الميدان الفلسفي والثانية فى الميدان القانوني ـ وكما كان عند الاسبان والايطاليين والانجليز والجرمان والفاليين والهنود والفرس ، كل اولئك الامم لم يدخروا وسعا فى استعباد الانسان وجعله آلة مسخرة مجردا عن جميع الحقوق الانسانية البسيطة والبسيطة جدا حتى اهل الكتاب من اليهود والنصارى ساروا على نفس الدرب فى الاستهانة بالقيم البشرية . وها هو العهد القديم يقول فى سفر التثنية فى الاصحاح العشرين « امر الرب ان كل محاربة اذا انتصر عليها اليهود يكون جميع اهلها من رجال ونساء واطفال عبيدا لهم يسخرونهم الى الابد بدون شرط ولا قيد » ويقول كذلك فى الاصحاح التاسع : « ان الله حتم العبودية على اولاد كنعان بن حام » .

وجاء فى رسالة بولس الرسول الى اهل افسس قوله (1) : « ايها العبيد اطيعوا سادتكم حب الجسد بخوف ورعدة فى بساطة قلوبكم كما للمسيح ، ولا بخدمة العين كمن يرضي الناس ، بل كعبيد للمسيح عاملين على مشيئة الله من القلب خادمين بنية صالحة كما للرب ليس للناس ، عالمين ان مهما عمل كل واحد من الخير فذلك يناله من الرب عبدا كان او حرا » .

وقد اعترف علماء النصارى بالرق ، ولم يستنكروه ، من بينهم باتريس لاروك فى كتابه الاسترقاق عند الامم النصرانية » حيث يقول : «ان الديانة المسيحية لم تحرم الاسترقاق نصا ولم تلغه عملا » .

وكذلك الكنائس لم تر غضاضة فى ابقائه ، بل نصحت بأن يرضى الرقيق بما هو فيه من عبودية قاسية .

وانا بصفتي مسلما اعتقد ان الدين الموسوي بريء من هذا الافتراء لان الله لا يامر بالعبودية والظلم والاستعباد ، وانما اليهود حرفوا النصوص ، كما اثبت ذلك المحققون (2) بالبراهين القاطعة ، من اجل مصلحتهم وشهواتهم وكذلك بالنسبة للنصارى .

والامة العربية قبل البعثة المحمدية كان شانها فى الرقيق كشان باقي الامم والشعوب ، اقرار له ، واهدار للحرية وتنكير للقيم ، واستهتار باسمى ما تمتد اليه همة الانسان من انطلاق .

وكانت الروافد التى تساعدهم على الاسترقاق واللصوصية والاغارة على القوافل التجارية ، ولم يكن الرقيق لديهم من جنس واحد فقط ، بل كان يتألف من عدة اجناس وتتلخص معاملتهم له فى

(1) الاصحاح السادس : 5 ـ 9 .
(2) للوقوف على البراهين التى تؤكد تحريف اليهود والنصارى للتوراة والانجيل انظر اظهار الحق تاليف رحمة الله بن خليل الرحمن الهندي ، اخراج وتحقيق عمر الدسوقي ـ وزارة الشؤون الاسلامية المغربية .

الاعمال المضنية كالحرث والزراعة والحصاد والاستغلال الفاحش الذى يتندى له جبين الانسانية عرقا .

اذا لا فرق بين هذه الامة وبقية الامم الاخرى فى هذه القضية بالذات ما دامت هذه الطبقة من بني آدم تفتقد كرامتها وتتطلع شوقا الى التحرر والانعتاق من سلاسل العبودية التى طوقت عنقها طبقة اخرى لا تختلف عنها — لا فى القليل ولا فى الكثير — فى الجوهر الانساني .

وهكذا بات العالم يئن ويشكو من الظلم والطغيان ، ويشعر بحاجة ماسة الى نور يضيء جوانبه ويبعث فى اوصاله الشفقة والرحمة ، ويبذر فى زواياه العطف والخير والتسامح، وتنشد حنت السماء وانبعث فى شبه الجزيرة الرحمة المهداة ليهدي الى الصراط المستقيم،ويحل المشاكل الانسانية، وقد اتخذ لذلك طريقتين حسب المشكلة التى سيعالجها : اما القضاء المبرم واما التدرج .

اما فيما يتصل بالعقيدة فقد استاصل من اول لحظة جذور الشرك بكل عاداته ، لان الايمان والشرك لا يجتمعان البتة ، ثم حارب واد البنات من غير مهادنة او رفق ذلك لان هذه العادة لا تتلاءم والنفس المؤمنة التى تطمئن لجانب الله وترضى بحكمه فلا تخاف الفقر وغيره ، وكذلك واجه عادات نفسية كالكذب والنميمة والحقد وغيره .

بيد ان الرسول عليه السلام وقف من عادات اخرى لا تتعلق بالفرد وحده بل ترتبط باسباب اجتماعية واقتصادية معقدة تشكل شرايين الانتاج المادي موقفا آخر ، اذ سلك فى محاربتها مسلك التدرج مع الوعظ والارشاد وقد تجلى هذا الاسلوب الحكيم المشرق فى مواجهته للخمر والزنا والربا والرق.

ومن اجل ذلك لم يدع الاسلام الىتحرير الرقيق الا بعد ان مهد له بطريقة تدريجية تنتهي اخيرا الى فك اسر العبيد من داخل عالمهم النفسي قبل ان يعتقوا بالقوانين ، وتعويدهم على تذوق طعم الحرية ، وترويضهم على الاحساس بانسانيتهم من خلال المعاملة الحسنة .

وبالاضافة الى هذا وضع الاسلام المقاييس التى تقاس بها اقدار الناس ومنازلهم ، حتى يكون تحرير الرقيق (1) صادرا عن نفس المؤمن بمحض الارادة وبرغبة خالصة ، وبالتالي عمل على اصلاح الوضع الاقتصادي ، والقضاء على السطو والخطف وعلى كل ما من شانه ان يكون سببا من اسباب انتشار الاسترقاق ، وتفاقم العبودية ، وبذلك غاضب روافد الاسترقاق ، وسدت منافذه ، لكي تتاح للملوك الفرص المواتية للانعتاق من اغلال القهر والجبروت .

— يتبع —

تطوان — محمد المنتصر الريسوني

(1) الرق عند الفقهاء ضعف معنوي وعجز حكمي شرع فى الاصل جزاء عن الكفر . والعجز معناه انه لا يملك ما يملكه الحر والحكمي معناه ان العبد قد يكون اقوى فى الاعمال من الحر.

حروف القرءان

قال ابو عبيدة : القرءان على عشرة احرف حلال ، وحرام ، ومحكم ، ومتشابه ، وعظة ، وامثال ، وبشير ، ونذير ، واخبار الاولين ، واخبار الآخرين .

أبحاث ودراسات



للأستاذ محمد الحلوي

— 2 —

او غيرها ليست الا عربية تنكبت بها الالسنة عن أصلها وابتعدت بها كثرة الاستعمال عن منابعها فليس في القضية فصيح ولا مهجور ، وهذا واقع صحيح لولا ان نظرة الكثير منا الى هذه العامية وحكمه عليها يختلف وهذا الواقع ، ولا ادل على ذلك من استعمال كلماتها سجينة بين الاقواس في ترفع واستحياء .

ومرة اخرى أقدم للقاريء طبقا آخر من هذه الكلمات التي يظن بها انها دخيلة على العربية .

بابته أن ...

تأبى المراة بطبيعة الحال مناقشتها للرجل الا ان تمتاز عنه بأشياء احيانا بحركاتها وتصرفاتها وحينا بلغتها المؤنثة بهذا تفسر انفراد المراة عندنا بكلمات لا محيش بالرجل ان يستعملها الا اذا اراد ان يكون هو اياها .. ففي فاس خاصة تعيش هذه الكلمة على السنة العريقات من نسائها .. تسمع المراة وهي تنتقد سلوكا شخصيا لانسان ومحبذة في الوقت نفسه غيره : بابته ان يفعل كذا وكذا .. تنكر عليه سوء تصرفه وانحرافه عن الطريق السليم .

وشد ما تندهش عندما تستقبلك هذه الكلمة في المعاجم بنفس المعنى حذو النعل بالنعل كما يقول الاجداد ففي القاموس : بابته ان يفعل كذا اي سبيله وطريقه .. بفارق خفيف وهو اسكان الباء في الدارج وفتحها مشددة في الفصيح ...

زرف :

وتندهش اكثر اذا علمت ان هذا اللفظ الذي يدور كثيرا على السنة العوام في وصف المتحدث بالمبالغة والغلو عربي صميم ، تسمع الرجل وهو يقول :

فلان زرف في الكلام او في المزاح . وهذا نفس المعنى الذي تحدده المعاجم للكلمة : زرف في الكلام تزيد فيه واسرف .

الخوخة :

وعندما يستعمل العامي هذه الكلمة لا يقصد بها تلك الفاكهة الشهية التي تلتهمها ، وانما يطلقها على بويبة صغيرة في وسط الباب الكبير وبهذا المعنى نفسه وردت في الحديث اوجدوا كل الابواب الاخوخة ابي بكر .

الخراط :

رجل خراط وهو يخرط على الناس ، وهذا ما تنعت به العامة كل كاذب أفاك ، وتقول عمن ... وقد يقول البعض ان العامية مغربية كانت

تناول دواء فاسهله : خرطه الدواء خرطة ! وكلا الاستعمالين عربي وفصيح .

الزلفــــة :

ومن الذى لا يتهم اذنه اذا سمع ان هذه الكلمة التى يطلقها الشعبي على الآنية الصغيرة هي عربية سليمة ، فالزلفة هي الصحفة والاجانة والحوض الصغير المتليء ...

والفـــطــــار :

لا تكاد تذكر الزلفة عندنا الا وهي مقرونة بالفطار المحرفة عن القضارة وهذه كلمة فارسية صقلها اللسان العربي وتبناها ، ومعناها القصعة الكبيرة ويستعملها العامي للطبق والصحن صغيرا رسالة وصفية فى نفح الطيب ، اما قلب الضاد فيها او كبيرا .. وقد استوقفتني هذه الكلمة وانا اقرا طاء فمعروف فى عاميتنا فى مثل البيضة التى ينطقها البعض بيطة .

الطبــــعـــة :

فى الثوب هي البقعة واللمعة . واللفظ عربي وان توهم غير ذلك :

ان السيوف اذا ما طاب جوهرها
من اول الطبع لم يعلق بها الطبـع

المشطـــــون :

ما اكثر دوران هذه الكلمة على السنة العوام وهم يقولون : انا مشطون ، وعندي شطنة .. يقصد الواحد منهم ان شغلا ما قد صرفه والهاه وابعده عما يريد ، وهو ما تدل عليه الكلمة لغة فشطنه معناه ابعده وخالفه عن نيته ومقصده ..

الشفـــــار :

تعني هذه الكلمة فى استعمال العامة اللص الخطير الذى ياتي على كل شيء وهو المعنى اللغوي والعربي للكلمة فشفر الشيء استأصله واتى عليه .

والمخـــــار :

لفظ يستعمله الاخوان المراكشيون فى الجنوب بدلا من الشفار التى يكثر استعمالها فى الشمال ، وهي عربية خالصة من مخر البيت يمخره سرقه واخذ خيار متاعه فليرفع ابناء الحمراء اصواتهم بهذه الكلمة التى احتفظت بعروبتها فى ارضهم فلا همس بها بعد اليوم !

الســـات :

عندما يعد العامي من الواحد الى السادس يرخم هذا العدد ويقلب الدال تاء فيشبه فى لفظه عدد سبعة فى الفرنسية .

وليس هذا التصرف عاميا كما يظن ولكنه عربي وارد ..

الصــــهـــد :

والصهد شدة الحر فى اللسان الدارج بتغيير بسيط عن اصله العربي وهو الصيهد .

الحمــام فــاضــي :

لا تكره المراة عندنا شيئا كما تكره الحمام البلدي وفيه ازدحام يحرمها من الاستمتاع بالدفء ونعمة الاستحمام .

ولا تشعر بالسعادة الا فى الحمام الفاضي القاضي كما تقول : اي الخالي من المستحمات . وكلمة الفاضي هذه عربية كما ترشد لذلك كتب اللغة من فضا المكان : خلا فهو فاض .

عيــط عليـــه :

نادى عليه صائحا وهو عربي من العياط وهو الصياح والجلبة ...

الزيـــــار :

لفظ عربي وليس عاميا دخيلا كما يظن . هو عبارة عن خشبتين يضغط بهما البيطار على شفتي الفرس ليتمكن من بيطرته ، ويبنون منه فعلا فيقولون زير عليه بمعنى ضغط ..

الـــــرزة :

تستعمل هذه الكلمـة في ما استعملت فيـه عربية للحديدة يدخل فيها القفل

اما استعمال العامة للرزة في معنى العمامة فلم اعرف له مأخذ .

خطـــرة واحـــدة :

الخطرة وهي المرة عامية وعربية وهي عند اهل البادية بمعناها العربي الروئـة . وفى لغـة الادب والشعر ما يرد على القلب من نزعات وهواجس .

تبنــــــك !

هذه الكلمة التى ينطقها العامي وهو يتحـدث عن شخص تبوأ وظيفا ساميا او تمكن من عمل فيه عز وسيادة ، من الذى يظن انها عربية صميمة ظلت تحتفظ بمكانها فى الطبقات الشعبية بعد ان اختفت فى القصيدة والكتاب ؟..

وردت هذه الكلمة فى المعاجم هكذا . تبنك فى المكان اقام فيه وتبنك فى عزه تمكن !!..

الصبـــوحـــــي :

الكلمة هذه فى لسان العامة محرفة عن الصباحي وهو الدم الشديد الحمرة ، ويوم الصبوحي للعروس فى الوسط المغربي هو يوم الاعلان عن شرفها المتمثل فى دم عذرتهـا ..

الخــوضـــــة :

عربية هي اللؤلؤة الجميلة . ولم تكـن العامـة مخطئة ولا فاسدة الذوق عند استعمالها لهذه الكلمة باستعارتها للمراة الحسناء الخوضة .

وقد المعت سابقا الى ان بعض هذه الكلمـات تعيش على السنة المواطنين فى مكان ولا تجري بها السنتهم فى مكان آخر .. فكلمـات ترعرعـت فى الشمال، اصبحت سمة تميز ابناء الشمال واخرى فى الجنوب لا مكان لها فى غير الجنوب .. ومن نافلة القول ان اذكر بان الشمال استقبل العرب الفاتحين قبل الجنوب واستقرت فى قراه وجباله قبائل عربية ما تزال اسماء رؤسائها حية فى الشمال كبني كليب وبني حسان واذا اضيف الى هذا تدفق النازحيـــن المطرودين من الاندلس على الشمال عرفت مدى الاثر الذى احدثته هذه العوامل ومدى ما يختزنه الشمال من ثروة لغوية عربية يتوهم الكثير انها غير عربية .

واشير فقط الى كلمتين لا مكان لهما الا فـى الشمال :

كـعـــــب :

وهذه الكلمة مستعملة فى الشمال بمعنى جرى مسرعا . ولا تعرف فى الجنوب الا نادرا وهي عربية خالصة ..

والعـيـــــل :

وهذه ايضا مما انفرد به الشمال حتـى انهـا لتستطيع ان تكون خطا جغرافيا من خطوط الطـول للبلاد فانت لا تكاد تصل الى وزان حتى تطرق سمعك كلمة العيل والعيلة : للولد الصغير والبنت الصغيرة. واكثر الناس ينطقها بياء ساكنة . ومن قبائل الناحية من يضغط على الياء بكسرة قوية وحادة فيوافـــق بذلك الاصل العربي . فالعيل بياء مشددة مكسورة واحد العيال من يتكفل الرجل به ويرعاه .

وفى حديث حنظلة فاذا رجعت الى اهلي دنت مني المراة وعيل وعيلان ..

ــ يتبــع ــ

تطوان : محمد الحلوي



الأدب العربي لأندري ميكيل

للأستاذ محمد ازنيبر

وهذا كتاب آخر للتعريف بالادب العربي في السلسلة الثقافية المشهورة : « ماذا اعرف » . وقد لفت نظرنا اليه ، بصورة خاصة ، مؤلفه « اندري ميكيل » الذي يعد من الاساتذة المرموقين في الجيل الجديد من المستشرقين . واطروحته عن الجغرافية الانسانية عند العرب تذكر اليوم كاحدى المساهمات العلمية الجديدة في دراسة التراث العربي . كما أن كتابه الضخم عن الحضارة الاسلامية الذي ظهر مؤخرا يقدم لنا احدث خلاصة واشملها عن المعلومات والآراء المتعلقة بهذا الموضوع الكبير .

ولذلك فقد بدا لي من المفيد أن نعرف الطريقة التي ينظر بها الى ادبنا العربي والتي يقدمه بها الى جمهور القراء في فرنسا ، وفي اوربا ، بصفة اعم . حقا ، ان اهم كتاب عن تاريخ الادب العربي بالفرنسية، يبقى هو ذلك العمل الضخم الذي يقوم به الان الاستاذ «ريجيس بلاشير» ، ولكن المؤلف لا زال، لحد الساعة، لم يخرج فيه عن عصر صدر الاسلام ، نظرا لما يقصد اليه من الاستقصاء والتحقيق . ثم ان كتاب « اندري ميكيل » الف ليكون في متناول الجمهور الواسع لا ليكون مقصورا على المختصين في الميدان . وهذا ما يجعله حافلا للآراء والنظرات عن الادب العربي ككل ، او عن بعض عصوره او عن بعض أعلامه او عن فنونه واغراضه المختلفة . فالمؤلف يريد من القارىء ان يخرج بأفكار واضحة .

وهذا بالضبط ، هو ما يستلفت نظرنا بصورة خاصة ، نحن قراءه من العرب . فكتابه بالنسبة الينا مرآة جديدة نريد ان نرى فيه وجهنا عسانا نطلع فيه على جديد . وهذا الجديد لا محالة من اكتشافه ، لان الانسان لا يستطيع ان يستوعب معاني صورته في نظرة ولا حتى في نظرات . ولهذا فانه يحب ، من حين لآخر ، متى سنحت الفرصة ، ان ينظر الى وجهه من جديد .

وبالفعل ، فان مطالعة هذا الكتاب لا تخلو من فائدة ، لان المؤلف لا يقتصر على تلخيص المعلومات والآراء المعروفة ، بل هو يبذل مجهودا جديدا ويحاول ان يقدم نظرات شخصية .

واول ما يظهر ذلك في الطريقة التي يوزع بها الادب العربي وعصوره والتي تنعكس في الابواب التي ينقسم اليها الكتاب . فالمنهاج التقليدي المتداول في عدد من كتب تاريخ الادب يقسم الادب العربي حسب العصور التالية : الجاهلية ، صدر الاسلام ، العصر العباسي الاول ، العصر العباسي الثاني ، العصر العباسي الثالث ، العصر المغولي ، عصر الانحطاط ، عصر الانبعاث . ومثل هذا التقسيم الذي يعتبر قبل كل شيء الاطوار السياسية التي مر منها العرب والاسلام قد لا يتطابق مع المراحل الطبيعية التي اجتاز منها الادب ، في حد ذاته . وهذا ما يجعلنا نجد في عصر الانحطاط ، مثلا ، ادبا لا يدل على انحطاط .

ولذلك ، فليس من الخطأ في شيء اعادة النظـــر في التوزيع الزماني التقليدي للادب العربي .

والمحاولة التي يقدمها لنا أندري ميكيـل ، في هذا الصدد ، جديرة بكل اعتبار . وهي على كل حال ، صالحة لان تكون أساسا للبحث والمناقشة . فهـو يقسم الادب العربي الى رابعة عصور كبرى :

ــ العصر الاول وهو عصر الادب الفاتح وهـو الذي يقترن مع انتشار الاسلام وخروج العـرب من جزيرتهم واستقرارهم بعدد من الاقطار المفتوحـة ، فكانت لغتهم هي لغة المنتصر وادبهم هو أدب المنتصر . وفي هذه الفترة التي تبتدي من الجاهلية الى قيـام العباسيين يمكن القول أن الادب العربي ، في شعـره ونثره ، وفي سائر فنونه ظل محافظـا على سماتـه التقليدية وعلى طابعه العربي البحت .

ــ العصر الثاني وهو عصر ادب الالتقاء ، وفيه تلتقي الثقافة العربية الاصلية مع الثقافات الاخرى من يونانية وفارسية وهندية الخ ... فتتكون من هـذا المزيج ، في ظل الدولة العباسية ، ثقافـة عربيـة اسلامية تمثل طور الحضارة بكل معنى الكلمة .

ــ العصر الثالث وهو عصر أدب الذكرى ، وفيه اصبح معظم النشاط الادبي يقتصر على حفظ التراث وجمعه في موسوعات مختلفة .

ــ العصر الرابع وهو عصر الانبعاث .

هذا هو التقسيم الذي ينتهي اليه المؤلف وهـو لا يعتبر المراحل السياسة في حياة العرب بقدر مـا يعتبر التحولات التي طرات على جوهـر الادب وعلى الدور الذي يلعبه في حياة المجتمع وتاريخه . فهـو بهذا المعنى .. يتتبع بصورة أوضـح ، المفاصـل الحقيقية لتاريخ الادب في حد ذاته . ومع ذلك، فهو في حاجة الى مناقشة .

وهنالك موضوع ثان أثاره المؤلف في لمحـة وجيزة وهو معنى كلمة عرب أو عربي ، حينما نتحدث عن ثقافة العرب أو الادب العربي . فهل هذه الكلمـة لها مدلول سلالي ؟ هل تفيد اننا نفكر في احفاد قحطان وعدنان ، بصورة خاصة ؟ كلا ، لقد اصبح لكلمة عرب مدلول جديد بعد مجيء الاسلام . ويفسـر ذلـك ، انطلاقا من اللغة فيقول :

« ان العربية لغة لدين ذي دعوة عالمية هو الاسلام الذي يمثل تجمعا لأمم مختلفة . وهي أمم تلقت مـع العقيدة لغة اعتبرت من الاول مثالية لانها هي أساس التنزيل : وعلى اي حال، فهي لغة ستصبح هي التعبير المختار ، لعالم ممعن في التنوع ، من دون شـك ، ولكنه ، بسبب اختياره التعبير باللغة العربية ، عالم يعلن انتماءه لثقافة مشتركة شعارها هو تلك اللغـة ذاتهـا » .

واذن ، فالعروبة ، في نظره ، تستند على التراث الثقافي واللغة ولا اثر فيها للعنصرية والقومية الضيقة . هكذا ، على الاقل ، تدرجت اثناء العصر الوسيط حيث كانت تعبيرا عن حضارة مشتركة بين شعوب شرقية وغربية من سلالات مختلفة . وكل هذا يلفت النظر الى الوضع الخاص والفريد من نوعه الذي حظيت به اللغة العربية . ويفسر المؤلف انتشارها ونجاحها الكبيـر بالدور الذي لعبه الاسلام في حياة الامة الاسلاميـة ، اذ لم يكن دينا منحصرا في النطاق الروحي وحـده ، بل ان تأثيره كان متغلغلا في الحياة الاجتماعية ، على اختلاف مستوياتها وتعدد مناحيها ، بحيث كان يعايش الفرد والجماعة باستمرار .

وعند ما يتطرق المؤلف الى الكـلام عن الادب العربي الحديث ، يثير انتباهنـا الى بعض الظواهـر والمشاكل الاساسية التي تهمنا من قريب لما لها من ارتباط بحياتنا الثقافية في الحاضـر وكذلـك في المستقبل . فما نسميه عصر الانبعاث يتلخـص في سلسلة من الخطوات ، لان النهضة الناجمة عنه لـم تحدث دفعة واحدة ولم تستنفذ بعد كل طاقاتها ، فقد وضعت اللبنة الاولى في عهد محمد علي الذي ، بفضل اصلاحاته العميقة ، ربط ما بين مصـر والحضـارة العصرية وكان رفاعة الطهطاوي خير من يمثل هـذا الرعيل الاول في ميدان الفكر والادب . اما اللبنـة الثانية فقد وضعت بلبنان في أواسط القرن التاسـع عشر حيث وقع تنافس في ميـدان التعليـم بيـن الارساليات التبشيرية . كما ان السياسة التي سلكها ابراهيم باشا ابن محمد علي في تلك البلاد كانت مشجعة على النهوض .

وهكذا لمعت في الافق اسماء بعـض الكتـاب البارزين مثل ناصيف اليازجي وبطرس البستـانـي واحمد فارس الشدياق . وبنزوح عدد من رجال الفكر اللبنانيين الى مصر تحت ضغط العثمانيين تدعم تيار النهضة الفكرية ببلاد الكنانة وتنوعت اتجاهاته . فظهر

الاتجاه القومي في الصحافة التي اخذ نطاقها يتسع ، وظهر الاتجاه الادبي البحث بتعريب عدد من روائع الكتب الاوربية ، كما ظهر الاتجاه الديني في الحركة الاصلاحية التي انطلقت على يد جمال الدين الافغاني واستمرت مع محمد عبده ، ثم مع رشيد رضا .

وجاءت المرحلة الثالثة فيما بين الحربين حيث تحررت الاقطار العربية نهائيا من السيطرة العثمانية ، لكنها ظلت ، بكيفية او باخرى ، خاضعة للنفوذ الاوربي، مما جعل رجال الفكر يعيشون أزمة هي ، حسب تعبير المؤلف « ازمة الاستقلالات الشكلية » ، مشيرا بذلك الى معاهدات الاستقلال التي عقدت مع بعض الاقطار العربية قبل الحرب العظمى الاخيرة والتي لم تكن مرضية للوطنيين في الاقطار المعنية .

وتبدأ المرحلة الرابعة في عصر النهضة غداة نهاية الحرب الاخيرة اذ حصلت الاقطار العربية في غالبيتها على الاستقلال وتبين لها بعد التجربة ان الاستقلال لا ينحصر في الاستقلال السياسي ، بل لا بد من تدعيمه بالمقومات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية ولا بد من بذل الجهود المتواصلة في هذا السبيل الذي هو سبيل الاختيار الصالح وانتجاع اقصر الطرق لبلوغ الاهداف المنشودة . وتلك هي المرحلة التي نعيشها الان والتي يحاول ادب اليوم أن يعبر عنها بشتى الوسائل والاساليب .

ويرى المؤلف أن ادب عصر الانبعاث ، بسبب هذه الظروف المختلفة التي احاطت بميلاده ونموه، هو ادب التزامي بكل معنى الكلمة . فقد تجند الكتاب والشعراء للدعوة للنهوض واليقظة والتقدم ، منذ اليوم الاول ، ودافعوا عن الشخصية الوطنية ومقوماتها ومهدوا بكتاباتهم واشعارهم لكل الخطوات الاصلاحية.

وعرفت اللغة العربية ازدهارا جديدا مع توسع الصحافة والنشر وتحررت من قوالب عصر الانحطاط واساليبه . وحاولت ان تكون اداة فنية طيعة في يد ابناء الجيل تعبر عن مشاعرهم ومفاهيمهم. وما كانت هذه العملية لتخلو من مشاكل وصعوبات . فاللغة العربية لها وضع خاص بين سائر اللغات العالمية . فلا هي بلغة الشارع والمحادثة العادية مثل الفرنسية او الانجليزية ، ولا هي باللغة الميتة مثل اللاتينية واليونانية القديمة . بل هي لغة حية بارادة شعوبها وتعلقهم بها ، ولكونها ، بالاضافة الى ذلك ، عامل توحيد بين سائر البلدان العربية ، وهو دور لا تستطيع اي لهجة عامية ان تضطلع به .

ويرى المؤلف أن الجهود الحالية في ميدان التجديد اللغوي تتجه نحو ايجاد « عربية وسطى » لانها تربط بين العصور القديمة والعصور الحديثة ، ولانها تربط ، من جهة اخرى ، بين سائر طبقات المجتمع اذ ستكون كلها استفادت من التعليم وارتقت نحو نوع من التعبير الممتاز ، ولانها ، في الاخير ، ستربط بين سائر الشعوب العربية ، مهما تباعدت ديارها .

ثم يستعرض المؤلف الفنون والاغراض التي خاضها الادب العربي الحديث ، فيرى أنه حقق تقدما ملحوظا في ميدان التمثيلية مع توفيق الحكيم والرواية مع طه حسين ونجيب محفوظ وذو النون أيوب وغيرهم .

ونلاحظ عليه هنا انه لم يعر كبير اهتمام لميدان التفكير ، بصورة خاصة ، سيما وانه ميدان حفل بانتاج ضخم . ولكنها ملاحظة لا تجرد الكتاب من فائدته .

ويختم « اندري ميكيل » كتابه باثارة مشكلتين هامتين لهما مساس بالمستقبل : اولاهما تعني ضرورة تجديد اللغة ، لكن مع المحافظة على بنيتها الاساسية التي بدونها سيفقد الادب شخصيته وهيكله . والثانية تعني الاختيارات الادبية التي قد يندفع اليها الكتاب بعجلة فتجعل منهم اصواتا منعزلة او غير مفهومة في المجتمع . ومهما يكن ، فلا بد للادب من أن يتفاعل مع التاريخ فيكون صدى له كما يمهد لمراحله القادمة .

سلا : د. محمد ازنيبر



كل العلماء والمؤرخين الذين تحدثوا عن الادب العربي جعلوا الادب الجاهلي منه فى الذروة ولم يجدوا بهاكثر من مئة وخمسين عاما قبل الاسلام . وفى هذا المقال رأي جديديكاد يهدم النظرية السابقة ويبرهن على ان هذا الادب ليس الا آثار أدباسبق منه وقد تلقطه العلماء وهو فى طريق انحداره قبيل البعثة .

ان للجزيرة العربية تاريخا قديما، وشعرا قديما وحضارة أقدم من سد مأرب . وفى هذا المقال ضوء على طريق البحث الجديد ، ومعالم نظرية جديدة كما يقول الدكتور حقي صاحب هذه الفكرة ...

كنت دائما اتساءل : كيف اتيح لصحراء العرب القاحلة ان تنتج هذه الكثرة الوافرة من شعر فخم خالد على الزمان ، فى وقت كانت فيه الجهالة فاشية فى العالم اجمع ؟! وكنت استغرب جفاف العقل فى صحراوات العالم الاخرى ، ومحلها الوجداني ، وقحطها الفكري، كصحراء افريقيا الكبرى وكالاهاري، وصحراء امريكا ، وصحراء غوبي الاسيوية ... واقيس صحراءنا عليها ، فلا اجد لها ميزة طبيعية ترفع سكانها الى هذا المستوى السامي من القدرة اللغوية على الوصف الدقيق والتعبير عن ارق خلجات النفس ، مما لا نزال نستجده ونستسيغه ونتحلى به فى منطقتنا نحن ابناء القرن العشرين ، قرن الحضارة الرفيعة والفن الرائع والعلم الواسع.

وكنت الجأ الى الكسل العقلي ، كما لجأ قبلي كثير ، فاعتقد بأن العرب جيل من الناس ، ركبت العبقرية فى سنخهم منذ خلقوا . ونبتت البلاغة فى غريزتهم مع وجودهم ، وسبح الشعر على لسانهم طبيعة ، كما يأكل الانسان السوي ويشرب وينام..! وان الله فضلهم على سائر شعوب الارض بما وهبهم من صفات مميزة منذ أقدم العصور ، وحرم منها سواهم ...!!

على ان هذا النمط من التفكير المستسلم الخامل ، ان صلح للعامة تعيش به وتسعد ، فلن يزيد الباحث المفكر الا قلقا ونزوعا الى استكشاف الحقيقة من مطاوي الغيب مهما طال به الجمود .

وكان الشك يوقظ ضميري العلمي احيانا على هذا القلق النزاع ، فلا اجد من فرق بارز بين العرب وسواهم من شعوب الله المتناثرة على وجه البسيطة امام القوانين الطبيعية وسنن النشوء والتطور والتكامل والتردي . وما تميز به العرب من شاعرية سباقة ، ليس الا تطبيقا لقانون طبيعي خفي عني وعن سواي فى مبدا الامر ، ثم تكشف عن حقيقة علمية

رائعة نتيجة لما وصلت اليه الابحاث فى فروع المعرفة الاخرى ، مع تقدم الزمن ووسائله المعاصرة ، واخصها الجغرافيا والجيولوجيا والاتنولوجيا وعلم الآثار والمستحاثات والبتروليات ...

ولقد ثبت بما يقرب من اليقين ، أن الصحراء العربية لم تكن فى قديم الازمان قاحلة ماحلة كما نراها اليوم، بل كانت عامرة بالغابات سابحة بالمياه الغزيرة، نتيجة للدور الجليدي الكبير الذى مر فى عمر الارض، فهبط بالجمد من القطب حتى حاذى جنوبي اوربا ، وتدفق ينابيع وانهارا ما زالت بقاياها حتى اليوم بحورا من الماء المختزن فى جوف الارض ، رأينا آثارها الخيرة بما انبثق فى نجد والاحساء منذ بضع سنين من بحيرات جوفية دافقة ، حملت الخير الوفير الى الصحراء القاحلة مع الماء الخير . وكان قد عاش على هذه الثروة الطبيعية الجيل العربي الاول المتغلغل فى القدم الذى لا نعرف من تاريخه شيئا ، وارتاح الى نعيمها ، واسترخى على رفاهيتها، فانشأ الآطام يأوي اليها ويسكن ، وانشد الشعر تلبية لسبحات وجدانه الهاني بالعيش الرخي .. وما زال الانسان العربي يتطور بتطور الجو والارض ، وما زال الزمن الوجداني يتحول فى اعماق نفسه مع تحول الجو الطبيعي البطيء ، لا يشعر به ولا يحس ، فاذا البلاد المرعة قد انقلبت الى صحراوات فساح ، يتداول قطانها المستبدون شعر اجدادهم واخبارهم مليئة بالاساطير خلفا عن سلف ، حتى ادركها طور التدوين بعد زمن طويل فحفظت الى اليوم .

وما انباء طسم وجديس وعمليق وثمود وعاد وآطامها واخبار حضارتها الا اثرا من آثار تطور العرب فى قلب الزمان العميق ، مما نتلمسه تلمسا فى الكتب المقدسة واخصها القرآن الكريم . وكأني ألمح فى قصة آدم وخروجه من الجنة رمزا لتحول عدن من جنات ونعيم ، الى صحراء جدباء بعامل طبيعي مفاجيء أو سريع ، يشبه ما احدثه الزلزال الخارق الذى اوجد حفرة الانهدام الكبرى ، التى بدأت من شمالي سوريا وانحطت فى اواسط افريقيا ، وخلقت البحر الاحمر وحولت مجرى النيل .. ربما كانت قصة عدن شبيهة به لكن على نطاق ضيق صغير .

نحن نجهل وصف الحضارة العربية القديمة جهلا تاما ، لكنا نلمحها فيما خلفت من آثار ، ما زال بعضها ماثلا الى اليوم كسد مارب فى اليمن وسد السحلقي قرب الطائف ، والآطام الكبرى فى شمالي حائل مما يحاذي النفود ، وبعض انباء القصور الخالدة فى التاريخ كالخورنق والسدير ، واسماء كبار المهندسين المعماريين كسخار ... الخ . ومن شهد سد مارب على الخصوص ، ولاحظ بناءه المحسوب حسابا دقيقا جدا على قدر ضغط المياه المتجمعة خلفه ، ادرك مستوى العقل الرياضي الرفيع الذى حسبه فوفاه حسابه ، ورأي سعي ان الامة التى انتجت مثل هذا المهندس القدير ، ليست بالامة البدوية الهينة على الحضارة والعلم كما نراها اليوم .

وفيما بقي لنا من انباء ذلك العهد السحيق ، ما يشير الى ذلك ، فامرؤ القيس — وهو من هو شهرة وقدرة وشاعرية — يعوج على الديار يبكيها ، مقلدا شاعرا كبيرا قديما كان معروفا لديه ولدى معاصريه ، لكنا لا نعرف اكثر من ان اسمه « ابن حزام » يقول :

عوجا على الطلل القديم لعلنا
نبكي الديار كما بكى ابن حزام

وزهير على عراقته فى فنه ، لا يجد نفسه ، الا مقلدا السابقين ، منهم يستقي وعلى منوالهم ينسج. يقول :

ما أرانا نقول الا معارا
أو معادا من لفظنا مكرورا

وعنترة العبسي ، شاعر الحماسة الفحل ، لا يجد ما يقول فى وصف المعارك والحروب ، بعد ان استنفد القدامى من الشعراء مجال القول فى وصف كل خالجة . يقول :

هل غادر الشعراء من متردم
أم هل عرفت الدار بعد توهم

فاذا كان ثلاثة من اكبر شعراء الجاهلية ، لا يجدون ما يقولون ، ويقرون بأنهم عاجزون كالاطفال أمام عمالقة الشعر القديم ، افلا يدل هذا على انهم بقية متحدرة من حضارة ارقى لا نعرف حدودها على التحقيق ؟!

وفي اساطير العرب ما يشير الى بقايا خيال مجتمع خلاق لا تتمثل فيه الطفولة البلهاء كما نراهـا في اساطير البداة الآخرين ، بل تمسحه كف لبقـة مبدعة ، تنعم فيها بمتعة فنية حلوة ، وتشير الى رقي روحي وفني كما في اسطورة الشمس والقمر مثـلا .

قالوا : ان امراة الهة بارعة الفتنـة ، لكنها غيور حسود لا تطيق رؤية أنثى تنافسها في الجمال، امرت ففقئت عيون النساء الجميـلات في مملكتهـا تشويها لهن وتقبيحا لجاذبيتهن ، واستراحت الى بضع وصيفات لم تمسحهن كف الجمال بنعمة. وتعرت هذه الالهة الحسود يوما امام الغدير لتتبرد من وهج الحرور بمائه النمير ، فما راعها الا امراة بارعة الجمال مختفية فيه ، تنظر اليها بعينيـن فوارتيـن بالجاذبية والسحر، وتبتسم لها وتحدق اليها صامتة، وكأنها تريد ان تقول لها شيئا . فاغتاظت الملكة لهذا التحدي اشد الغيظ ، وفار حقدها وحسدها ، وتدفق دمها في عروقها ، فثارت ثورة جنونية ، وبصورة لا شعورية غامضة، هجمت عليها بقوة وحقد، واندفعت نحوها ، فانشبت اظفارها في وجهها ، وامتدت اصابعها الى عينيها الجميلتين، فاقتلعتهما بوحشية ، وقذفت بهما الى الجو ، بكل قوتها ، فتعلقتا في السماء تحملقان بها، وتلاحقانها في الليل والنهار ، كأنهما تريدان ان تثبتا عليها جريمتها الشنعاء ، وتمنعاها من الركون الى الراحة ابد الدهر ، واذا هاتان العينان الساحرتان ، هما الشمس والقمر !! واذا الملكة الالهة قد اقتلعت عيني ظلها في الغدير ، فأصبح الظل كفيف البصر اعمى لا يرى طريقة ولا يهتدي في سبيله . مسكينة هذه الملكة الالهة ، لقد ضل عنها ظلها بعد عماه ، فأصبحت حزينة باكية ، تسير وحيدة بلا ظل .

وفي اسطورة طسم وجديس ، تلميح الى نوع من حكم استبدادي لا تعرفه الصحراء، قالوا : استبدت طسم بجديس استبدادا شنيعا، واذلتها اذلالا قبيحا، حتى فرضت على كل فتاة جديسية ان تبيت ليلة عرسها الاولى في قصر الحاكم الطاسمي ، قبل ان يمسها الزوج الخاطب ، ودامت هذه الحال دهرا طويلا ، حتى جاء دور جارية من اكابر بيوتات جديس ، ارسلت الى الحاكم الطسمي ، فباتت ليلتها الاولى عنده .. وخرجت في الصبح الى اهلها باكية نادبة ينزف منها الدم ، ويسيل على قدميها ، فيرسم وراءها خطوطا وردية رقيقة حزينة ووقفت في وسط الحي تلدم وجهها بكفيها وترتجز :

ما احد اذل من جديس
اهكذا يفعل بالعروس ؟!

يرضى بهذا ـ يا لعمري ـ حر
من بعد ما اهدى وسبق المهر؟!

لان يلاقي المرء حتف نفسه
خير له من فعل ذا بعرسه !!

وما زالت ترتجز وتصيح وتعول ، حتى تهيج الجديسيون ، وأثارهم منظر الدم النازف، فتحمسوا ، وانقلبوا الى سيوفهم فجردوها ، وتهافتوا نحو الحي الطسمي مهاجمين ، ووقعت المعركة بين الحيين ، وحمي وطيسها، وكثر القتلى والجرحى من الفريقين، فزادهم الثار ثورة وجنونا وهياجا ، وما زال الحيان في قتال مستمر ، حتى افنيا بعضهما بعضا ، ولم يبق من آثارهم جميعا الا هذا الخبر .

وفي ملحمة قلقميش البابلي العربي ، ان قلقميش كان ينتقي على صوت الطبل اي فتاة يشتهيها ، فيكون لها زوجا قبل زوجها ، وكان شعبه في اوروك يعتقدون ان ذلك من مشيئة الآلهة، فقلقميش ثلثه الواحد بشر ، وثلثاه من جنس الالهة.

ومثل هذه الاساطير كثير ، تلمح في معظمها بقايا وذكرى قصور ودور وشعر وترف ودول ... الخ .. اين العلم يكتشفها ويعرضها للمتعطشين ، كما اكتشفت آثار حضارات غارقة في بحر القدم ؟! وقبل ان تكتشف افاميا واوغاريت ، هل كنا نعرف عنهما اكثر مما نعرف عن حضارة العرب في جزيرتهم ؟! على ان اوغاريت نفسها جزء من الحضارة العربية القديمة ، للتشابه العظيم بين لغتها ولغتنا في الاسماء والافعال والتصريف والترقيم ، وكذلك حمورابي في شريعته المتكاملة ، والكلدان في حدائقها المعلقة ، والكنعانيون والفنيقيون والهكسوس ... الخ . كلهم قبائل عربية ، اما انها هجرت الصحراء بعد جفافها ، واستوطنت الهلال الخصيب ، فبشت عليه هذه الدول ، او انها كانت قارة في مكانها هذا منذ عهد سحيق ، وانشأت دولها تلك على صعيدها، فعاشت دهرا ما ثم بادت ، سنة الله في خلقه ، لكل حي نهاية ، ما دام ان لكل مخلوق بداية .

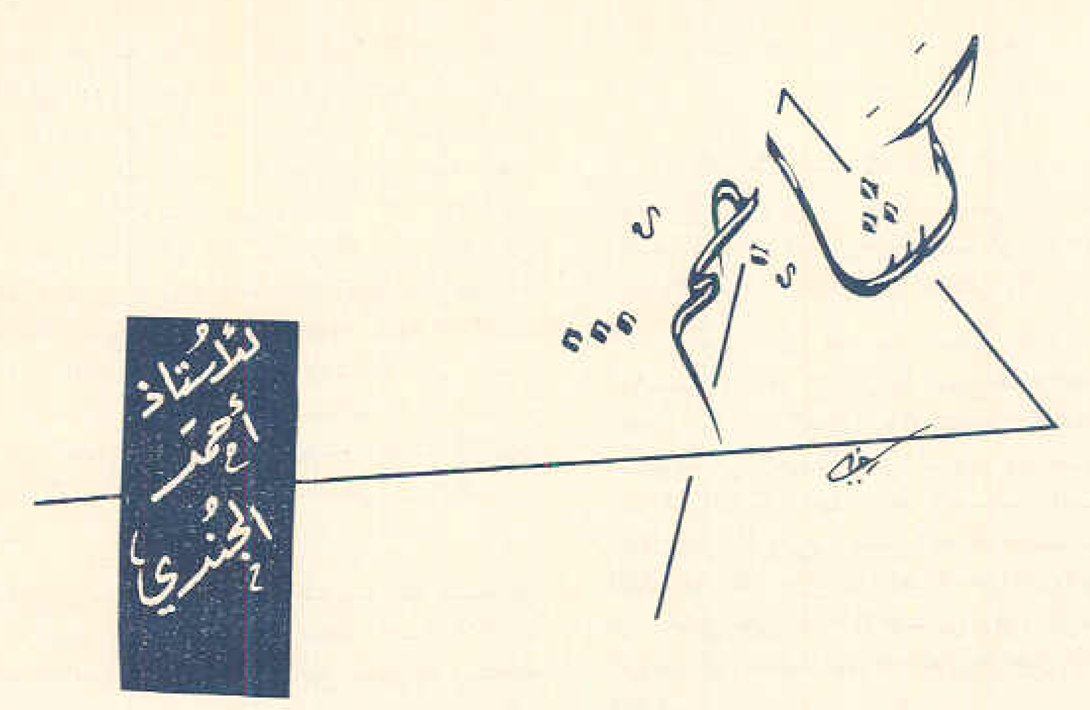
ومن اكبر البراهين على ان هذه الصحراء كانت عامرة آهلة بالشجر والحيوان ، والانسان ... هذا البحر الزاخر من البترول تحت رمالها السافية ، وهل البترول الا بقايا حيوان ونبات ؟! بقايا غابات واحياء على نطاق واسع ؟!

فاذا ثبتت هذه النظرية ، سهل علينا بعدها الايمان بعظمة ما ترك لنا العرب فى جاهليتهم من شعر وادب وعلوم ، اغار عليها الزمن ، ولم يستبق لنا الا هذا الذى نرويه عنهم . وما بقي لنا ليس بالشيء القليل مهما صفيناه مما صنعه الرواة زمن بني امية واوائل بني العباس ، وروقناه وحذقنا منه ما اشتبه علينا ، ففيه الشيء الكثير الكثير ، وحق لنا ان نقول : لم تكن الجاهلية جهلاء الا فى اواخر عهدها وقبيل الاسلام ، وان النهضة الاسلامية وثبة ايقظت العرب من احلام ماضيهم القافي ، وفتحت اعينهم على مستقبل حافل بالمكرمات ، اين نحن من تلك الثورة العارمة والموجة العامرة بالخلق والعلم والحضارة ؟!

الرباط ـ د. ممدوح حقي

مطل

اشترت امراة من رجل ثوبا فى شعبان على ان تسوق اليه الثمن فى رمضان ، فقال الرجل : اخاف ان تمطليني ، قالت : لا أمطلك والذي خاتمه على فمي ، قال : وما الخاتم ، قالت على بقية من رمضان الماضي ! قال : اذهبي قد ماطلتربك سنة فكيف اثق بك .



معنا اليوم شاعر غريب فى نسبه ، غريب فى حياته ، غريب فى اسمه ، لقد دعي كشاجم ، او كشاجم ، وهو أسم مأخوذ من تعدد ميزاته وكثرة ملكاته التى فاق بها اقرانه ، الكاف للكتابة والشين للشعر والالف للانشاء والجيم للجدل او الجمال ، والميم للمنطق او التنجيم .

اما اسمه الحقيقي فهو ابو الفتح محمود ابن الحسين ، ولد فى الرملة من فلسطين وهو فارسي الاصل ، وكان اجداده فى العراق وتنقل هو بين القدس ودمشق وحلب وبغداد .

قيل انه مات عام 360 هـ وقيل سنة 330 هـ او 350 ولم يذكر التاريخ سنة مولده . فهو كما ترى قد اختلف فى اسمه وفى وفاته وولادته وفى محل اقامته ، كما اختلف فى شعره فنسب بعضه الى غيره كما نسب اليه ما ليس له ، واضطرب الراي فى مؤلفاته هل هي من فنه ام انها عزيت اليه عزوا ، فنحن من هذا الشاعر فى شك وحيرة سنضرب عنهما صفحا لان ما يهمنا منه هذا الشعر الجيد الذى تركه لنا والذى راينا منه الوانا معجبة والوانا تدل على الذكاء والثقافة والموهبة الفنية الكبيرة .

كان من شعراء سيف الدولة ، أعني انه كان ندا للمتنبي وابي فراس وامثالهما من النابغين فى مجلس الامير الاديب ، وكان قبل سيف الدولة نديما لوالده عبد الله بن حمدان وقد كان كالمتنبي معجبا بآل حمدان حتى لقد نظم كثيرا من الشعر الخالص الذى يشير الى حبه لهذا البيت حبا مجردا عن النفع والافادة والغاية .

ولكن التاريخ يسكت عن تفصيل حياة هذا الشاعر الكبير ، انه يصمت حينا ثم يعود الى الحديث ولكنه حديث متقطع غير متصل الحلقات وهذا ما يحير المؤرخ ويبلبل الكاتب الذى يريد ان يدرس حياة هذا الاديب .

فقد بدأ حياته فى الرملة ، ثم ذهب الى مصر يطلب فيها العلم والثقافة فتشبع بالعلم العربي والاسلامي والم بعلوم أخرى ، وقد عرف له التاريخ انه من أسرة فارسية كان منها عدد كبير من الذين تولوا الاعمال الادارية المرموقة ولعل هذا من الاسباب التى سهلت للشاعر الاتصال باسرة عريقة مثل آل حمدان حتى قبل ان يتصل بسيف الدولة .

كان كشاجم شاعرا موفقا ، وقد وصفه صاحب شذرات الذهب بانه كان مقدما فى الفصاحة والخطابة وشاعرا مفلقا ، ولعل هذه الصفات هي التي اهلته ليكون بين المنظورين فى مجلس سيف الدولة هذا المجلس الذى لم يكن يضم نكرة ولا شخصا هزيلا ولا انسانا فارغا ، وانما كان يتألف من نخبة الادباء والشعراء والعلماء واصحاب اللغة والنحو والموسيقى .

ومن الغريب حقا ان يكون لهذا الشاعر الفنان مشاركة فى امور كثيرة لا تعلق لها بالشعر او الفن. فقد عرف عنه انه كان طباخا ماهرا ؛ حتى قيل انه عمل طباخا عند سيف الدولة ، ولكن هذا الخبر غير مؤكد الصحة ونستخلص منه انه كان ذواقا فى الطعام يحس لذة الاكل كما كان ابن الرومي وعدد من الشعراء الآخرين ، وانه تبعا لهذا الذوق المرهف قد تعلم صناعة الطبخ فكان سيف الدولة يكلفه احيانا الطبخ فى المناسبات الخاصة . وهذا ما كان يحدث ويحدث دائما ، ولقد عرفنا شخصيات بارزة امتازت بميلها الى العمل فى تحضير الطعام وتهيئة الأكال الجيدة ، لا عن صنعة يتخذونها بل عن هواية يتعاطونها .

وابن الرومي الذى لم يعرف عنه انه طبخ فى حياته له شعر كثير جدا فى وصف حاسة الاكل ، حتى عد الناقدون هذه الحاسة بين مميزاته وصفاته الخاصة ولو تصفحت ديوانه لعجبت من وصف القطائف ، والزلابية والموز والعنب ، بل ان ابن الرومي لم يكن يحفل الموت فى شهر ايلول لولا مفارقته الفواكه الكثيرة التى تكثر فى هذا الشهر من ايام الخريف الباكرة .

لولا فواكه ايلول اذا جمعت
من كل نوع ورق الجو والماء

اذا لما حفلت نفسي متي اشتملت
علي هالة الجالين غبراء

وهكذا كان كشاجم يتذوق الطعام فيقول فى وصف القطائف :

عندي لاضيافي اذا اشتد السغب
قطائف مثل قراطيس الكتب

ويصف دجاجة مطبوخة فيقول :

عظيمة الزور كصدر نهد
اجريت منها فى مجال العقد

ويصف البطيخ :

يا جاني البطيخ من غرزه
جنيت منه ثمر الخلد

لم يأتنا حتى أتتنا له
روائح اغنت عن الند

ولقد يظن بعض المتنطعين ان موضوع الاكل موضوع ينبغي ان لا يمس شاعرية الشاعر وان الشعر وهو موهبة روحية يجب ان تترفع عن مثل هذه الاوصاف التى تتصل بالبطن ولا تتصل بالروح.

ونجيب على هذا بان الشاعر اداة انسانية ذات احاسيس مرهفة فى كل ما يمس هذه الدنيا ، فذوق الطعام وذوق الجمال والاحساس بالدمامة والقبح والخوف من الحياة ومن الموت ودواعي التشاؤم ودوافع التفاؤل كلها منافذ لاحساس الشاعر .. ان رجلا كابن الرومي ليحس الحياة بأعصابه العارية المكشوفة لكل مؤثرات الحياة خيرها وشرها افليس من الدليل على شدة الاحساس وقوة الرغبة عند ابن الرومي أن يصف شهوته العارمة حين يأكل الموز فيقول :

يكاد من منظره المحبوب
يدفعه البلع الى القلوب

وكذلك كان كشاجم ، لقد احب الحياة واحب ما فى هذه الحياة وفى جملتها الطعام الشهي اللذيذ.

وشارك كشاجم فى امر آخر ترك اثرا بالسا فى حياته ، فقد احب الحيوان وعرف خصائصه وصفاته فألف كتابا فى هذا الباب هو كتاب (المصايد والمطارد) وقد عطف على هذا الصنف من المخلوقات عطفا خاصا فبحث الصيد من الناحية الدينية وفضائل الصيد ، واقوال الشعراء فيه ووصف الجوارح الاربعة المعروفة . البازي والشاهين والصقر والعقاب ، ثم درس امراض الجوارح وعلاجها ، ثم انتقل الى المطارد فوصف الكلاب والظباء والارانب والثعالب وحمار الوحش وغيرها من حيوانات كثيرة واعتمد فى دراسته تلك على كتاب الحيوان للجاحظ ومن جاء بعد الجاحظ فكان كتابه فى هذا الموضوع اعلى علما من كتاب الجاحظ الذى اخذ عليه عدم التثبت ورواية الاخبار المصنوعة المخترعة واللجوء الى الاستطرادات الكثيرة التى تخرج عن موضوع الحيوان فى حين ان كتاب كشاجم كان كتابا علميا جيد التبويب حسن التصنيف .

اما شعر كشاجم فكثير الالوان مختلف الابواب ولقد برع فى وصف الصيد والطرد حتى قيل انه

شاعر الصيد الاعظم وكان جميلا كما قيل فكان له راي في الحب يخالف راي الشعراء عامة اذ كان يرى لنفسه الحق بان تعرفه النساء وان تعترف له بجماله فتتقدم اليه وتتقرب منه قال :

لم لا اصر على البطالة والهوى
وعلي برد شبيبة وازارها

واذا تراءت للقيان محاسني
طمحت الي بلحظها ابصارها

ولو ان عيدانا بغير ضوارب
قابلنني لتحركت اوتارها

وهو لا يعتب على الدهر لفقر نزل به او هوان تعرض له بل انه يلومه على ما انزله بلحيته من شيب شان محاسنه فابعد الحسان عنه يقول :

كايدني دهري في طرتي
بشيبة البستني عارها

وفجع البيض المها قبل ان
تقضي المها مني اوطارها

قد فجعت البيض به لانها حرمت جماله اما هو فلم يفجع بشيء ، انه موضع اهتمام الحسان وهو لا يهتم باحد .

هذه الدعوة العريضة ان دلت على شيء فانها تدل على ثقة الشاعر بجماله وقوة اثر هذا الجمال ولعله يشبه ابن ابي ربيعة في بعض شعره الذي كان يدل به على الغيد الحسان ، وهذا لون نادر من الوان الغزل في الشعر العربي .

وقد تناول شاعرنا كل الموضوعات التي تناولها الشعراء في عصره وزاد عليها صفات ابتكرها هو واختص بها فوصف ادوات وآلات يحار القاريء كيف استطاع هذا الفنان وصفها على ما فيها من بساطة في الموضوع ، فقد وصف المراة والسكين والقصوص ، ووصف العود فقال موفقا احسن التوفيق .

ومخفف الاجزاء ليس لجرمه
وزن يميل كفة الميزان

وكان مقبضه جبيرة ساعد
قد فصلت بالدر والمرجان

اما اسلوب كشاجم فطريف موفق وهو يعنى بالنغمة المطربة واللفظة المعجبة كقوله :

ومسلط اللحظات يحسب ظالما
فاذا رنا فكأنه مظلوم

تمت محاسنه وقام لقده
في التيه ان الحسن فيه يقيم

يسعى بما في كفه ونظيرها
في طرفه ورحيقها مختوم

جاءت بنكهته وجاء بلونها
في خده فصبا اليه حليم

ولكن هذا الشاعر كان يستسهل بعض الالفاظ احيانا فلا يتشدد ولا يحاسب نفسه الحساب العسير كما ينبغي ان يصنع الفنان لذلك وردت عنده الفاظ غير واردة في المعاجم كلفظة (منتزه) بدلا من (متنزه) ، كما راينا عنده عجلة ظاهرة في بعض القصائد مما ادى الى اضطراب قوافيه او اختيار الفاظ تبدو غير لازمة للبيت كقوله في تعيين يوم العيد المفضل .

لنعم اليوم يوم السبت حقا
لعيد ان اردت بلا امتراء

فلفظتا (حقا) و (بلا امتراء) لا ضرورة لهما وهما تبدوان زائدتين وهذا ما اسماه القدماء بالحشو المعيب .

ولكن هذه الهنات الهينة لا تحرم الشاعر كشاجم من صفة الشاعرية ولا تؤثر في تقدير العبقرية الفنية الظاهرة التي عرفت عنه ، فان الشعراء المطبوعين من اصحاب البداية المواتية كثيرا ما يقعون في الهفوات والاخطاء .

ان كشاجم شاعر غريب حقا، كما رايت ، وهذه الغرابة قد جعلت له لونا خاصا ومكانا معينا يبرز به بين شعراء اللغة العربية كافة .

سوريا ــ احمد الجندي



انه ليعجبني فى التعبير الفرنسي قولهم : Mon vieil ami اي صديقي القديم ، اذ اجد انه لا يبقى على الصداقة فى مر السنين وتقلب الايام والشهور الا كل خالص السريرة من الشوائب . ومن للمرء بمثل هذا الصديق فى زمن ينفض فيه اقرب الناس اليه .

كنت رايت قصة فى الاشرطة الحديثة تظهر رجلا ساكنا فى حي لا يسلم عليه فيه احد لفقره وانعزاله واذا فى يوم مشرق من ايام حظه الذى كان يرتقبه ، وجد ان البطاقة الاولى الفائزة بالف دينار هي التى معه ، فطار عقله وجعل يصرخ كالمسعور المجنون ، اذ ان هبوط الثروة عليه فجاة كاد يفقده عقله ويذهب بوقاره . فعرف بذلك جيرانه فاقبلوا عليه جماعات ووحدانا واشاعوا فى الحي مكسبه هذا المفاجيء ولم تبق امراة معدة للخطبة والزواج الا برزت فى مقدمة الجمع تحمل اليه التهنئة وتريه كيف تصب شعاع الحب من عينها عليه !..

وفيما كان صاحب البطاقة فى هذا البحران مر الفتى الذى بيده منشور الارقام وهو ينادي :

ـ الذى معه اوراق يانصيب ، فان معي منشور الارقام .

ووجد الجمع فى حفاوة وصخب متحلقين حول جارهم الذى كان بالامس منبوذا فاندس بينهم ولما فهم ما هم فيه من الاجتماع نشر منشوره وقال لصاحب البطاقة هات اتثبت لك من رقمها :

فاخرجها الرجل فرحا وما كاد ينظر فيها صاحب المنشور حتى ردها اليه وهو يقول :

ـ يا اخي هذه ليست رابحة .

فتفرس فيها صاحبها فاذا رقم واحد يحول دون حصوله منها على الجائزة المنشودة وبطل ذلك عملها فاصبحت ورقة لترمى فى الطريق .

وبلمح من البصر رفع راسه عن بطاقته لينظر الى الجمع الذى كان يطوقه فلم يجد احدا . وكان رجلا يمكن ان يعود الى صوابه فعاد وهو يخرج من حفظه ايام الدراسة هذه الاقوال :

حياك حياك من لم تكن ترجو تحيته
لولا الدراهم ما حياك انسان

ويقول :

رايت الناس قد ذهبوا
الى من عنده ذهب

تلك خاطرة مرت بي وانا اتهيا لكتابة هذا المقال من اجل صديقي الاستاذ العظيم عبد الله كنون الذى

عرفته منذ اكثر من ثلاثين عاما لا يحيد عن مودة ولا يتراخى دون رسالة وقلت له قديما :

ـ يا اخي ان خط المقاربة لعسير على فك رموزه وتصعب قراءته ، فصار يكتب لي رسائله على الآلة الكاتبة فصرت استبين خواطره النيرة فى رسائله الادبية التى كانت كل واحدة منها قطعة فائقة فى الفكر والشعر والفن ، تصلح للنشر فى كبرى المجلات . فكانت كتبه التى يؤلفها تترى علي بالبريد الجوي المسجل وكنت احرك القلم ليلبس حلة الشرف فى كتابتي عن كتبه . وظل التراسل بيننا قائما حتى تقلب بالمناصب فى وزارات ورئاسات وجاء معرجا على دمشق ليراني وهو عائد من الحج رئيسا لحجاج قومه ، ولقد بهت اذ رأيته مقبلا علي يسال عن منزلي .

فاين العمامة البيضاء والبرنس الزاهي ؟!..

انه برز الي بلباس اوروبي وبسن لم يتخط اوائل الكهولة فى غير لحية على الوجه وبشاربين حليقين .

فقلت له :

ـ بأبي انت وامي ، انني لافديك لهذه الزورة الحبيبة بعد طول ما بيننا من البعد فلقد سكنت طنجة ومنها كنت تبعث الي بنفائسك وسكنت مدينة «القصبة» .

ولم اضيع سانحة فى لقائه فى دمشق بلدي التى يعرفه ادباؤها ويقدرون آثاره ويمجدون مثلي ذكره ، فناديت عربة بحصانين ولم تكن يومئذ قد ابطلت وقلت للحوذي خذنا الى متنزهات « دمر » الى مقصف « اشبيلية » وقد اخترته لان المقاربة فى بلاده اكثر نبلائهم قد تحدروا من الاندلس وربما كان جدوده هو قد سكنوا اشبيليه.

وهنالك بين مطافر الماء ورفيف الهواء ورواء الجلسة والصفاء اخذنا باطراف الاحاديث بيننا فى لادب والفلسفة والشعر . وما كانت دهشتي قليلة حين اخذ يقرا لي من شعره وينشدني من بدائع مقطوعاته فقلت له :

ـ والله ان لك شعرا رائعا وهذه الموهبة فيك لم اكن عارفا بها قبل الآن فانت قد جمعت عبقرية العرب من قطريها فى النثر والشعر وحل الفكر فيهما محل الفلسفة والتامل والتصوير .

وتجرات فسالته :

ـ كيف حال الاسرة والاولاد ؟..

فاجابني بمرارة تشوبها نظرة عبر الفضاء :

ـ انني لم أرزق أولادا .

فحل بي اسف لما فرط مني من سؤال وجعلت افلسف قضية الاولاد والزواج وحدثته عن كتابي (ابو العلاء ناقد المجتمع) واحسب اني قدمت له نسخة منه وقلت له :

ـ هذا ابو العلاء يفلسف الحياة فى الاولاد والزوجة وقد رزق المولى زوجة تكفيك فى مودتها ورحمتها دون اولاد . وكنت بهذا القول احس بغصة تأخذ حلقي وتجلجل لساني فاخرجت له من محفظة جيبي ثلاث صور لاولادي الثلاثة : ذكوان وذكاء وسماء وكانوا يومئذ صغارا ودفعتها اليه وقلت له :

ـ احسب هؤلاء اولادك .

فاخذ الصور باسما مرتاحا لهذه الخاطرة الجميلة ووضعها فى محفظته . وحين عدنا تحت قطع من الليل الى دمشق كنت احسبني حصلت فى لقائه على لقاء باقمة المغرب ونابغة ادبائها .

ثم ضرب الدهر بشيء من الانقطاع حتى كنت ملحقا ثقافيا فى السفارة السورية فى القاهرة ودعيت لاكون عضوا فى لجنة الاعداد لالفية ابي علي ابن سينا فجاء الاستاذ الحبيب عبد الله كنون الى القاهرة مندوبا عن بلاده للاشتراك فى مهرجان ابن سينا ولجنة الاعداد اليه فى القاهرة فعاد الى البرنس والعمامة البيضاء واللحية الزهيدة التى يخوطها سواد وبياض وابدى من البراعة فى الراي والسداد فى التدبير ما ادهش اللجنة وقد اخذت بآرائه وسجلتها ليجري عليها امر المؤتمر الذى كان معدا ليكون بالقاهرة وطهران .

وظللت فى تراسل دائم اليه لا يترك ، حفظه الرحمن ، بادرة من بوادر ما تعزز الصلات التى نهض بها حتى طلعت علينا مجلة « دعوة الحق » فكانت ممولا للقاء افكارنا واقلامنا ولست ازدلف بهذا القول لاكرم به هيئة تحريرها ورئيسها الصديق الكاتب الكبير محمد بنعبد الله وانما لاكتب كلمة

الحق الذى تدعو اليه ، فلقد أصبحت فـي افـق المجلات العربية والاسلامية المعاصرة فى غزارة الفكر وطيب الموضوع وجدوى البحث آخذة بعناصر الدين الاسلامي الحنيف فى تغذية وترميم ما يمكن ان يكون قد لحق بدراساته من التقصير والتخلف وفيها كـل باقة من المغرب والمشرق بكتب فيهاوا ذا «المحاسني» يجول فى كل عدد من أعدادها ليعيد الى سيرة الدهر ما كان للمشارقة فى حب المغاربة .

هذه رسالة جعلتها كالمقال لكني فى اختتامها أقول للصديق القديم علامة المغرب الذى يتنسم السدة فى آرائه وتواليفه وما ينشره فى (دعوة الحق) .

تحياتي اليك ايها الاخ الحبيب الذى لم تلده امي ، ان روحي من ضفاف « بردى » ترف عليك . وما كتبته لك فى مجلة صديق العمر الاستاذ العظيم البير اديب بمجلة « الاديب » الاغر ببيروت لم يكن كافيا فى تمجيد ادبك وتصوير سجاياك السابقة وعلمك العميم .

لا تقطع عني رسائلك ولا كتبك وتواليفك ، فان مكتبتي اصبحت عامرة بها وارسل من فيض علمك وادبك على العالم العربي والاسلامي ما يحمي التراث ويغني الادب والفكر ويقدس الدين الحنيف

وسلم لي على اخي الكاتب الدبلوماسي السفير الاستاذ عبد المجيد بن جلون وعلى رجل السياسة والفكر والاستاذ الفاسي وعلى العميد الجامعي الذى بهذا الاسم الكريم وعلى ابن تاويت الطنجي ، وقد عرفته بمصر اذ كنت اعد لدكتوراه الدروس منهمكا بالاعداد الماجستير فالدكتوراه .

وابعث بالسلام والتحية والاعتزاز لمعالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الاستاذ الجليل الحاج احمد بركاش ادام الله وجوده فى رعاية الفكر وحراسة الدين واظهار مجلة (دعوة الحق) بهذا المظهر الكريم .

عزيزي الاخ الجليل عبد الله كنون ،

اذاكر انت ونحن بدمر قصيدتي فيك التى اقول بأولها :

غن شعري على شطوط المغارب
ان لي فى جنانها خير صاحب

واسلم على الدوام لصديق العمر

الدكتور زكي المحاسني
دمشـــق

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فيما رواه ابو الدرداء :
لتدخلن الجنة كلكم اجمعون الا من شـرد على الله عـز وجـل شـراد البعيـر .



جاء فى مقال العدد الماضي عن المعاني الروحية فى الشعر الجاهلي ، بان البحث فى هذا الموضوع شائك ، والقول فيه ما يزال ضيقا يحيط به كثير من الغموض . وقلنا : ان من أسباب غموضه ان هذا الشعر ما انتهى منه الينا الا اقله . وقد زعمنا بأن المتواتر منه ، والخبيء ، سوف يظلان قاصرين فى منهج البحث العلمي ، لا يكتملان الا بالاستفادة مما ورد فى القرآن الكريم من آيات بينات تخص هذا الجانب من رؤى العرب قبل الاسلام .

ونحن نميل الى هذا ، دون أن نغفل نصوصا شعرية تؤمنها دواوين الشعر الجاهلي ، ومجاميعه لدى الضبي والاصمعي والقرشي وأبي تمام وابن الشجري ، والمعلقات بأصنافها ، وكتب المحاضرات والأمالي ، وكتب النقد والبلاغة ، ومعاجم اللغة ، وغيرها . ولكن نظرية الانتحال فى الشعر الجاهلي ، التي أثارها النقاد القدامى — ثم أنهجها من المحدثين أستاذنا الدكتور طه حسين — تكاد تمسح من اذهاننا القدرة على كيفية الاستفادة من هذا الشعر الموفور بله الاستشهاد به . ولذلك فان بعض المتذوقين والنقاد للادب لا يتوقعون من مخلفات الشعر الجاهلي أن تنقل الينا بصدق الوجهة الروحية عند العرب قبل الاسلام ، وذلك اما بسبب الشك الوارد عند بعضهم فى نسبة هذا الشعر الى بيئته ، واما لكون الموفور منه نزرا ومبعثرا ، فهو فى هذه الحال لا يكاد يصدق الا على عدد محدود من الناس هم ناظموه ، وربما كان لا يمثلهم — هم انفسهم — الا فى بعض أحوالهم الوجدانية العابرة ، ولذلك كان الحكم بما ينطق به على قائليه — اولهم — غير سليم ، فضلا عن جواز ، قياس الجماعة الجاهلية بأسرها عليه .

اذن — وهذه خطتنا — فان الشعر الجاهلي مقمين بان يرجأ الاعتماد عليه فى الاستشهاد للحياة الروحية — أو عليها — بالادب الجاهلي ، وانما يتقدم فى ذلك كتاب الله . فالقرآن لم يشك ناقد مسلم فى صحة تدوينه على النحو الذي تلقاه به رسول الله من جبريل عن الله . فهو الكتاب الذي « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » . ثم نردف بمعالجة الموضوع ما سجله التاريخ القديم بخصوص الجانب الروحي الذي قد يعكسه الشعر الجاهلي سواء أكان سلبيا أم ايجابيا .

واظننا بهذا المنهج سوف نتمكن من التحقيق فى صحة نظريتين اثنتين . أما اولاهما فقد كانت الهدف من نشأة هذا المبحث ، وتلك هي التحقيق فى مدى ما يعكسه الشعر الجاهلي من مثل روحية . أما الأخرى فقد اعترضتنا مصادفة ، ولكنها الفصل فى مدى صحة نسبة الشعر الجاهلي الى بيئته . فالهدف الأساسي اذن سيمكننا من أن نرتبط بتحليل مضمون الشعر الجاهلي من حيث هو معان . أما الهدف المصادف وهو هام — فى آن واحد — فسوف يتيح لنا — على ضوء ما سوف يتجلى — فرصة التأكد من تركيب الشعر الجاهلي ومدى نسبة شكله الى عصره . وهي نسبة

كان قد تصدى لها كتاب طه حسين منذ ثمانية واربعين عاما . ونهض من اجلها عشرات الاقلام . وما أظن انها قد انتهت الى حال .

وكلا الهدفين ، انما يفضي الى النتيجة الحق منهما معا وسليتنا المقر بضماناتها بالاجماع وهي القرآن ، ثم يلي ذلك كله بهذا المنهج عرض الشعر ، وطبيعة الشعراء الذين يصدرون عن تلك الروحية في الادب الجاهلي .

والانصاف في مثل هذا المبحث المشاع يعين الجهر بان النتيجة المعترف بها حتى اليوم من كلتا النظرتين لا تقنع . ويبدو ان عدم القناعة هذه يتشارك فيه طائفة لا بأس بها من الباحثين ذلك لان الذين يبالغون في تضخيم وثنية الشعر الجاهلي كالذي يبالغون في تهويل انتحاله ، يصرفهم جميعا هدف ، ربما انتهى - فيما يوحى الى طائفة من اولئك بما يشجع على استمرار العبودية للاوثان مستحدثة ولعله يوحي الى طائفة اخرى من اولئك بما يشكك في التراث ، وما دون من القيم . ثم لا بأس في ذلك جملة ان هو خلع عن اللغة اصالة ربطها للحاضر بالماضي ، وان شمل الجميع الشك .

*

وبعد ، فلقد جاء في القرآن الكريم عن معتقدات العرب قبل الاسلام قوله تعالى في سورة الانعام :

وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء (1) ، وقال تعالى : وجعلوا لله شركاء : الجن وخلقهم . وخرقوا له بنين وبنات بغير علم . سبحانه ، وتعالى عما يصفون (2) ومن نفس السورة قال تعالى سيقول الذين اشركوا : لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا ، ولا حرمنا من شيء (3) وقال تعالى في سورة الاعراف : ولله الاسماء الحسنى ، فادعوه بها ، وذروا الذين يلحدون في اسمائه سيجزون ما كانوا يعملون (4) وقال تعالى في سورة يونس : ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ، ويقولون : هؤلاء شفعاؤنا عند الله (5) ومن نفس السورة قال تعالى : قل من يرزقكم من السماء والارض ، امن يملك السمع والابصار ؟ ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ؟ ومن يدبر الأمر ؟ فسيقولون : الله ! فقل : أفلا تتقون ؟ ! (6) وقال تعالى في سورة النحل : وقال الذين اشركوا : لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء ، نحن ، ولا آباؤنا ، ولا حرمنا من دونه من شيء . كذلك فعل الذين من قبلهم . فهل على الرسل الا البلاغ المبين ! ؟ (7)

وقال تعالى في سورة العنكبوت : ولئن سألتهم من خلق السماوات والارض ، وسخر الشمس والقمر ، ليقولن الله ! فانى يوفكون؟ ! (8) ، وقال تعالى في سورة الزمر : الا لله الدين الخالص . والذين اتخذوا من دونه اولياء : ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى (9) وقال تعالى في سورة فصلت ومن آياته : الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر ، واسجدوا لله الذي خلقهن ، ان كنتم اياه تعبدون (10) وقال تعالى في سورة الزخرف : ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ؟ ليقولن: خلقهن العزيز العليم (11) وقال تعالى : وقالوا : لو شاء الرحمن ما عبدناهم ، ما لهم بذلك من علم ، ان هم الا يخرصون (12) وفي نفس السورة قال تعالى : ولئن سألتهم من خلقهم ؟ ليقولن : الله ! فانى يوفكون ؟ ! (13)

---

1) 6 — 94 مكيـة
2) 6 — 100 مكية
3) 6 — 148 مكية
4) 7 — 180 مكية
5) 10 — 18 مكيـة
6) 10 — 31 مكيـة
7) 16 — 35 مكيـة
8) 29 — 61 مكية
9) 29 — 30 مكية
10) 41 — 37 مكيـة
11) 43 — 9 مكيـة
12) 43 — 20 مكيـة
13) 43 — 87 مكيـة

انها آيات بينات من القرآن الكريم « فمن أظلم ممن كذب بآيات الله ، وصدف عنها » تحدد واقع العقيدة التي كان العرب يدينون بها قبل الاسلام ، في سياق تحذير الله لهم مما هم عليه من ضلال ، وفي سياق استنكار ما هم فيه من وهم .

ولعله بعد الانتفاع من كتب "التفسير" يتأتى عرض أصول تلك العقيدة على النحو التالي :

اولا : انهم كانوا يعتقدون بأن الخالق لكل شيء هو الله وحده . لا شريك له في الخلق ، خلق السموات والارض ، وخلق البشر والحيوان وخلق الجن والملائكة وخلق الكواكب وكل شيء . فهو خالق الكون وحده بلا شريك .

ثانيا : انهم كانوا يعتقدون بأن الله يملك السمع والابصار ويخرج الحي من الميت ، ويخرج الميت من الحي ، فهو مدبر الامور جميعا ، ولا شريك له في ذلك ، هو الله ، العزيز ، العليم ، الرحمن ، الذي يرزقهم .

ثالثا : انهم كانوا يبالغون في الشعور بآيتي الشمس والقمر على وجود الله لدرجة عبادتهم لتلك الآيات مع الله .

رابعا : انهم كانوا يصوغون التماثيل فيتخذونها على صور الملائكة المقربين من الله — في زعمهم — ثم يعبدون تلك الاصنام لتشفع لهم الملائكة بذلك عند الله في أمور الدنيا . ثم يعتقدون بأنها بنات الله . سبحانه وتعالى عما يصفون .

خامسا : انهم يدعون تلك الأصنام بأسماء يشتقونها من اسماء الله الحسنى ، فسموا اللات من الله ، والعزى من العزيز (14) .

سادسا : انهم كانوا يعتقدون بأن الله جل جلاله لو شاء بقدرته ورحمته لألهمهم اليه ، ولما عبدوا من دونه من شيء . فهم بحسب زعمهم انما يقصدون الله جل جلاله بما يعبدون .

اذن ، فانهم كانوا يفردون الله بجميع انواع القوى ، ولكنهم كانوا — لشعورهم بتفاهتهم في القدرة على التقرب من الله بلا واسطة — يتوسلون اليه جل جلاله بالواسطة التي وضعوها ، شفيعا . وكانت هذه الواسطة لديهم فيما شخصوا به الله جل جلاله — : في مظاهر الطبيعة التي هي من معجزات الله : في الكواكب والأحجار ، او الملائكة والجن ، مما يرمزون به الى الله . تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

*

وان هذا العرض لمعتقدات العرب من آيات القرآن الكريم لا يعني أن الله جل جلاله قد رضي منهم طريقة عبادتهم له ، وانما أبان الله عنها في كتابه الكريم لحكمة بالغة ارادها لئلا يمحى الحق ، ولئلا تنسب الى سواه جل جلاله العبودية والربوبية. مهما كانت مشوبة بالتحريف .

فان الاسلام يرفض من الانسان العاقل في كل زمان ومكان ، أن يشرك بالله شيئا ، سواء في الغاية من العبادة الحق أم في مظاهرها . وان القرآن الكريم قد توجه من وراء عرض معتقداتهم الى استنكار ذلك فيهم ، والى توجيههم الى السبيل السوي في السلوك الى عبادة الله بالاسلام .

بيد ان هذه المعتقدات التي يثبتها كتاب الله للعرب قبل الاسلام تفيد من جهة أخرى في تقييم الشعر الجاهلي بتقدير مدى صحة نسبته الى شعراء الجاهلية اذ في تسلسل هذا المنهج ما يعني انه اذا كان في الشعر الجاهلي ما يصور معتقدات العرب بما تثبته عنها آيات القرآن الكريم فانه يكون شعرا حريا بنسبته الى ذويه . وذلك حسبنا الان في استذكار ما قاله الله عز وجل عن معتقداتهم فيصحح بالقرآن الكريم ما يشك في وجوده مضمونا وشكلا بالشعر الجاهلي .

وان ما يرفضه القرآن الكريم من تلك المعتقدات ليوجب علينا — رفعا للتضليل — أن نذكر بالمعنى الحق لمفهوم الوحدانية في القرآن الكريم كما أن الغاية من المنهج في هذا المبحث تتطلب استعراض ما التزمنا به في البداية وهو ذكر ما قاله التاريخ عن تلك المعتقدات قبل الاسلام . وذلك لقصد دعم الحجة القرآنية بالشهادة التاريخية ، ثم يلي ذلك وبعده تقديم نصوص الشعر الجاهلي لاستيضاح معانيه بهذا المجال، فالشعراء الذين ابدعوه .

الرباط جعفر الكتاني

تصحيح علم من مقال الاستاذ في العدد السابق صفحة 116 والصواب « النجيرمي » في السطر الثامن .

---

(14) انظر في ذلك بالذات تفسير الطبري

الإحصاءات الحيوية

للأستاذ : العربي الزنايدي

من اهم النواحي الاجتماعية والعلمية التي يبحثها الاحصاء هي الناحية التي تمس حياة الانسان من حيث انه كائن حي يولد ويعيش ويتزوج ويتكاثر ثم ينتهي بالوفاة . والاحصاءات التي تتناول هذه الادوار المهمة من الحياة الانسانية نجمعها تحت اسم « الاحصاءات الحيوية » وهي تشمل تعدادات السكان، واحصاءات المواليد والوفيات ، واحصاءات الزواج والطلاق ، واحصاءات الامراض واصاباتها والوفيات المتسببة عنها .

تعداد السكان :

ان الغرض الاساسي من عمل التعداد هو معرفة عدد سكان الدولة فى تاريخ معين ، ولقد كان هذا هو الغرض الوحيد فى كثير من التعدادات التي انجزت ، ولكن التعدادات فى الازمنة الاخيرة تستخدم لاغراض متعددة ، ففي الوقت الحاضر نجد التعداد يصف سكان الدولة من عدة جوانب اجتماعية وسياسية واقتصادية ، فهو يصف اولا توزيع سكان الدولة فى اجزائها المختلفة ، وتوزيعهم من فئات العمر لكل نوع (ذكور واناث) ، ويصف الحالة المدنية والعلمية والدينية للسكان ، ويبين توزيع السكان فى الحرف والاعمال والصناعات المختلفة ، ويفصح عن الاحوال الصحية ونحو ذلك من النواحي المهمة ، وهكذا يمكننا الوقوف على مقدار رقي الامة ورفاهية أهلها وتقدمها فى النواحي الاجتماعية والصحية والثقافية والاقتصادية

والمقصود **بعدد السكان** لاى بلد معين فى تاريخ ما من الوجهة **الاحصائية هو** عدد الاشخاص الموجودين على قيد الحياة **داخل حدود هذا** البلد فى **ذلك التاريخ** المعين ، وذلك **بصرف النظر** عن كونهم تابعين **لهذا** البلد او ان **وجودهم فيه فى ذلك** التاريخ كان عرضيا وليس دائما .

وهناك **اساسان لعمل التعداد** : التعداد الفعلي ، والتعداد النظري . **والمقصود** بالتعداد الفعلي هو حصر السكان كما هم **فى الواقع** وقت التعداد أى حسب الحالة الراهنة ، **ففي كل** مكان يحصى كل الاشخاص الكائنين ساعة **التعداد** (12 مساء) بصرف النظر عن كونهم سكان **هذا المكان** اصلا أم مجرد زوار ، وهذه الطريقة متبعة **فى انجلترا** . اما الطريقة النظرية فيقصد بها حصر السكان **بحسب** محل اقامتهم العادية ، وهذه الطريقة يجري **بها العمل** فى العديد من الدول وعلى راسها **الولايات المتحدة والمانيا** .

كثافة السكان :

ويتوخى **الاحصاء** الوقوف على كثافة السكان ، واهمها **الكثافة الحسابية** ، وهي قسمة عدد السكان على مساحة **البلد مقدرة بالكيلومتر** المربع او الميل المربع ، **وهذا المقياس يدل** على درجة ازدحام هذا البلد بالسكان ، **ولكنه مقياس** مضلل فى بعض الاحيان، وذلك حين نقابل بين كثافة السكان فى بلدين، احدهما

به جزء عظيم من الارض الصحراوية والجليدية ، والآخر بلد ذو أرض خصبة مزروعة ، ولذلك يجب الاحتراس عند عمل مقارنات فى كل هذه الاحوال حيث يستحسن ان يستبعد الجزء الصحراوي أو الجليدي غير المأهول بالسكان . اما الكثافة الجغرافية فيقصد بها قسمة عدد السكان على المناطق المنتجة سواء كانت زراعية او صناعية او تجارية ... وهي اقرب الى الحقيقة من الكثافة الحسابية . وهناك الكثافة الاحصائية وتعني عدد الاشخاص من الذين يشتركون فى انتاج مبلغ ما ، فكلما زاد عدد الاشخاص الذين يشتركون فى انتاج هذا المبلغ سواء بانتاج سلع او بتأدية خدمات دل ذلك على انخفاض مستوى المعيشة، فمثلا فى الدار البيضاء فيشترك عدد قليل من الافراد فى انتاج سلع قيمتها الف درهم على ان عددا من الافراد اكثر يشترك فى انتاج هذا السلع فى تطوان ، فمعنى ذلك ان مستوى معيشة سكان الدار البيضاء اعلى من مستوى معيشة سكان تطوان .

كثافة المسكن :

المقصود بذلك قياس درجة الازدحام داخل المسكن ، وهذا يقاس بمتوسط عدد الاشخاص فى كل حجرة داخل المسكن ، وهذا المقياس له أهمية من الابحاث الصحية ، وكذلك فى المناقشات الخاصة ببعض المشاكل الاجتماعية كمستوى المعيشة ، والانحرافات الخلقية . ولقياس متوسط كثافة المسكن يقسم عدد السكان على مجموع ما فى مساكنهم من حجرات ، فيبدو متوسط عدد الاشخاص فى كل حجرة ، وذلك هو مقياس الازدحام او كثافة المسكن .

الزيادة الطبيعية للسكان :

والمقصود بها الفرق بين عدد المواليد وعدد الوفيات فى السنة لاى بلد ، فلو عرفنا عدد المواليد والوفيات فى بلد معين سنة بعد اخرى امكننا تقدير عدد سكانها فى اى وقت وهو تقدير لا بأس به ، الا انه لا يأخذ فى الحسبان عامل الهجرة ، وهذا الاثر قد يكون كبيرا خصوصا بالنسبة للمدن كما حصل لكثير من المدن الكبرى اثناء الحرب العالمية الثانية حيث هاجر اليها عدد كثير من سكان البوادي ، ونفس الامر يحدث للدول حين يهاجر السكان الى الخارج او الى الداخل ، فالسكان فى انجلترا او ايطاليا يهاجرون الى الخارج على ان الولايات المتحده يفد اليها مهاجرون من دول أخرى .

ونظرا للقروض والنفقات التي يستلزمها عمل التعداد العام فان الحكومات لا تقوم بهذه التعدادات الا مرة كل عشر سنوات ، ومع ذلك فالحاجة ماسة الى معرفة السكان اولا بأول ، ولذلك نلجأ الى عمل تقديرات سنوية فى السنين بين سنوات التعداد ، ولعمل هده التعدادات نفرض ان مقدار الزيادة ثابت على اساس المتوالية العددية .

تقسيم السكان حسب النوع :

من المهم ان نعرف تقسيم السكان على حسب النوع (ذكورا واناثا) لان هذا ضروري معرفته عند بحث الحالة الاجتماعية للسكان ، كما ان البلاد المختلفة تتفاوت فيها نسبة الاناث للذكور حسب كونها بلادا قديمة او حديثة ، هذا فضلا عن ان الذكور على العموم اقل عددا لانهم معرضون للوفاة اكثر من الاناث ، ففى البلاد القديمة يكون عدد الاناث اكبر من عدد الذكور ، بينما فى البلاد الجديدة تجد عدد الذكور اكثر ، فنلقى عدد الاناث لكل الف من الذكور : 1099 و 1068 و 1037 و 1034 و 1026 فى بلاد النرويج وانجلترا وايطاليا وفرنسا والمانيا على الترتيب وذلك سنة 1951 ، بينما نجد ان عدد الاناث لكل الف من الذكور فى الولايات المتحدة واستراليا وكندا ، 943 و 926 و 886 على التوالي ، والسبب فى ذلك واضح وهو ان بلاد العالم القديم عادة مزدحمة بالسكان قليلة المواد نسبيا فيتركها الرجال الىبلاد اخرى بحثا وراء الرزق، وهؤلاء الرجال يسافرون وهم فى مقتبل العمر قبل ان يتزوجوا ، او يتركون زوجاتهم واطفالهم ريثما يحققون النجاح فى البلاد التي نزحوا اليها ، فتلحق بهم نساؤهم وذريتهم فيما بعد ، ولذلك تزيد نسبة الاناث على نسبة الذكور فى البلاد التي نزحوا فيها ، وبالعكس تزيد نسبة الذكور فى البلاد الحديثة التى نزح اليها هؤلاء الرجال ونزلوا بها دون نسائهم ، والدليل على ذلك اننا نجد فى الولايات المتحدة نسبة الاناث الى الذكور : 774 الى الالف بين الاجانب النازحين و 974 الى الالف بين الوطنيين .

توزيع السكان حسب الاعمار :

من النقط الجديرة بالملاحظة عند دراسة السكان نسبة توزيع الافراد من ذكور واناث طبقا للسن ،

فطبيعي ان المجتمع الذي يكثر فيه الاطفال والاحداث يختلف عن ذلك المجتمع الذي ترتفع فيه نسبة الافراد العاملين ما بين سن 20 و 40 سنة ، كما يختلف عن ذلك الذي تكثر فيه نسبة الشيوخ فوق 65 سنة ، وان هذه النسب لتؤثر على الحاجات الاستهلاكية للافراد او من حيث طبيعتها ، وبالتالي على الاعباء الاجتماعية للدولة وعلى الطاقة الشرائية .

والنموذج الكامل لتوزيع السكان يمكن تمثيله بمثلث متساوي الساقين او بهرم مكون من جانبين احدهما يمثل اعداد الذكور والآخر اعداد الاناث خلال الاعمار المختلفة ، وعند قمة الهرم تجد اكبر المعمرين ضمن مجموعة السكان .

اذا فرضنا ان معدل الوفيات ظل ثابتا بينما ازداد معدل المواليد فمعنى ذلك ازدياد نسبة الاطفال لفترة من الزمن فى المجتمع ويؤدي الامر الى تغيير الشكل الهرمي فى قاعدة فتزداد اتساعا ، وفى مثل هذا المجتمع لا بد من ان تروج حركة انتاج السلع والخدمات اللازمة للاطفال فيزداد الطلب على ملابس ولعب الاطفال وبالتالي انتاجها ، كما يكثر الطلب على خدمات ممرضات واطباء الاطفال ، وتواجه السلطات مشكلة زيادة عدد المستشفيات ورياض الاطفال ومراكز الصحة والامومة الى غير ذلك من الخدمات التي يتطلبها الاعتناء بالجيل الجديد ، وسيواجه المجتمع عموما زيادة مطلقة فى السكان ستكون لها آثارها فى السنين التالية .

اما اذا حدث العكس اى تناقص معدل المواليد مع بقاء معدل الوفيات ثابتا فستؤدي هذه الحالة فى المدة القصيرة الى توزيع جديد للسكان يشخص لنا فى تقلص قاعدة الهرم السكاني ، ومثل هذا المجتمع سيواجه مشكلة تناقص تدريجي من السكان سيظهر اثره فى المدى القصير على شكل كساد فى كل ما يتعلق بانتاج السلع والخدمات اللازمة للاطفال والصغار ، كما سيبدو اثره فى المدى الطويل عندما يشعر المجتمع بانه مهدد بتناقص فى العدد المطلق للسكان ، اذا كان هذا التناقص ينذر فعلا بنقص الطاقة البشرية اللازمة للاستغلال الموارد الموجودة ونقص فى الناتج القومي.

وتختلف الاوضاع اذا بقي معدل المواليد ثابتا بينا يتغير معدل الوفيات ، فازدياد معدل الوفيات معناه تناقص فى العدد المطلق للسكان نتيجة النقص فى عدد المعمرين من الافراد فى المجتمع ، ويطرا تغير فى قمةهرم توزيع السكانفى هذه الحالة وكذا فى الحالة العكسية حين يتناقص معدل الوفيات مع ثبات معدل المواليد فيزداد العدد المطلق للسكان نتيجة لزيادة نسبة الافراد فى سن الشيخوخة ، وسيكون لهذا الوضع نتائجه وبخاصة فيما تتعلق بالاعباء الاجتماعية للسلطة الحاكمة حيث تزداد نسبة اعانات الشيخوخة والمعاشات وتكلفة الخدمات المختلفة التي تقدمها الدولة من ميزانيتها العامة . وسوف يكون لكثرة نسبة المعمرين اثر واضح على الحياة الاقتصادية بوجه عام ؛ فمعظم هؤلاء يعتبرون عبئا على المجتمع وسيخصصهم نصيب من الدخل القومي دون ان يساهموا فى الانتاج، كما ان ازدياد عدد المعمرين فى الاسرة الواحدة من شانه ان يستنزف جزءا كبيرا من دخل العائل ، هذا بالاضافة الى ان الكثير من النواحي الانتاجية سوف يسخر لخدمة المعمرين وما يحتاجونه .

الهجـــرة :

ومن البديهي ان الهجرة من البلاد واليها سيكون لها اثر ظاهر بالاضافة الى التغيرات فى معدل المواليد والوفيات حيث يزداد العدد المطلق للسكان فى حالة الهجرة الى البلاد والعكس فى حالة الهجرة منها ، هذا عدا التغير الذي يطرا على عدد الذكور والاناث ... العاملين ، ويقصد بالعاملين او النشيطين عند ... السكان هؤلاء الافراد من السن ما بين 15 و 55 سنة او ما يقرب من ذلك طبقا للظروف والعادات ، على اعتبارات الفرد فى تلك السن يستطيع كسب عيشه واعالة غيره ، ويعتبر اذ ذاك جزءا من الطاقة البشرية العاملة فى المجتمع ، فالمعروف ان الافراد المبالين للهجرة هم عادة القادرون على تحمل متاعب تغيير البيئة والموطن ، والراغبون فى البحث عن سبل العيش الذي لا يتوفر حيث موطنهم الاصلي والذين يتطلعون الى الاستقرار فى وطن جديد ويأملون مستقبلا افضل فى رحابه .

وقد دلت المشاهدات على ان الغالبية من الافراد الذين يغامرون بالهجرة من بلادهم الى بلاد اخرى يكونون عادة فى سن ما بين 15 و 50 سنة ، كما ان المهاجرين الذكور يكون فى العادة اكثر عددا من النساء، ومع ذلك فقد يهاجر الشاب ومعه زوجته واطفاله وربما اصطحب معه والديه .

وعلى العموم فاننا ان رمنا توضيح توزيع السكان فى بلد من البلدان وطبقا للاحصاءات الواقعة فاننا نجد ان الشكل النهائي اقل انتظاما من النموذج الكامل الذي

يحدده المثلث المتساوي الساقين ، اذ ان معدل الوفيات يختلف في المراحل المختلفة من الاعمار ، كما انه يختلف بالنسبة للذكور عنه بالنسبة للاناث ، فان عدد الذكور فيما بين سن العشرين او الاربعين اقل من عدد الاناث في نفس السن ، وربما كان السبب في هذا ان الكثيرين من الشباب قد قتلوا في الحرب الكونية الاخيرة . ان مثل هذا المجتمع الذي يقل فيه عدد الذكور من سن الاربعين الى العشرين عن عدد الاناث في مثل السن سيواجه في اقتصادياته نقصا نسبيا في الايدي العاملة من الرجال (من سن 20 الى سن 40)، وربما كان هناك عبء كبير على مالية الدولة بسبب تعويض عائلات ضحايا الحرب وكذا المشوهين منهم ، ومعنى ذلك ان الفئة الكاسبة في المجتمع وهي قليلة نسبيا ستتحمل عبء اعالة عدد كبير من الافراد. واذا اراد هذا المجتمع ان يعوض النقص في الايدي العاملة في شتى الميادين فلا بد من ان يعتمد على القادرات من النساء ، وقد تحققت هذه الظاهرة على نطاق واسع بعد الحرب العالمية الاولى . ان دخول المراة شتى ميادين العمل لم يكن فرد ظاهرة تمدين او مرحلة اعتراف بحقوق المراة او مجرد تقدم اجتماعي ، وانما كان السبب الحقيقي هو الضرورة الاقتصادية المتمثلة في نقص عدد الرجال ، والضرورة الاجتماعية القائمة في النقص النسبي في عدد الازواج ، وان النقص النسبي في الايدي العاملة من الرجال تعوضه الايدي العاملة من النساء ، وحصولهن على دخل هو في الواقع تعويض عادل عن عدم الزواج .

معدل الزواج :

الزواج ظاهرة اجتماعية شائعة بين جميع الامم وتعتمد عليها الشعوب في الاحتفاظ بعددها من الافراد وتعويض ما تفقده من سكانها ، فلا بد من دراستها ومراقبتها عند البحث في حركة السكان من حيث الزيادة او النقص في اي بلد ، ونجد في كل البلاد المتمدينة احصاءات وافية عن الزواج ترجع الى زمن بعيد ، ولكن الاحصاءات الخاصة بالزواج في بعض الدول تقتصر على المدن الكبرى لا غير .

ونظرا لاهمية حادث الزواج في حياة الشخص المتزوج وحياة الاسرة المتكونة من الزواج عنيت الحكومات بوضع القوانين التي تحتم تسجيل الزواج رسميا عند حصوله ، وذلك اثباتا للحقائق للرجوع اليها عند اللزوم ، ومن هذا التسجيل تجمع البيانات الاحصائية الخاصة بالزواج وتبوب وتنشر تباعا .

ومن المهم ان نلاحظ ان تاثير نسبة الزواج على نمو السكان يتوقف على متوسط عمر الاناث عند الزواج ، فقد تزداد نسبة الزواج زيادة محسوسة دون ان يؤثر ذلك في زيادة عدد السكان لان خصوبة النساء اكثر ما تكون ما بين سن 15 وسن 45 اي في سن 18 ، فاذا ما تاجل الزواج بعد هذه الفترة الخصبة بكثير فان زيادة معدل الزواج لا تجدي كثيرا لتعويض ما فقد من خصوبة النساء اللائي اجلن زواجهن ، وهذه الظاهرة من العوامل المهمة في انخفاض معدل المواليد في بعض البلدان كانجلترا ، ومعنى ذلك اننا لا بد ان ناخذ الاعتبار متوسط عمر الزوجات وقت الزواج عند دراسة معدل الزواج وتاثيره في نمو السكان .

المواليد :

ان المواليد في مجتمع ما هم ثمرة التوالد في هذا المجتمع ، وعدد المواليد من العناصر الاساسية في معرفة حركة السكان من حيث الزيادة او النقص ولذلك تجد احصاء المواليد من اهم الاحصاءات الحيوية، وهو يستند في كل البلاد على تشريع يحتم تسجيل المواليد رسميا في دفاتر الحكومة في خلال مدة محدودة من وقت الميلاد .

ان اعلى معدل للمواليد في العالم يقرب من الخمسين في الالف بينما ادنى معدل للوفيات يصل الى العشرة في الالف من السكان ، فاذا اجتمعت هاتان النسبتان في بلد فان سكان هذا البلد يزيدون بنسبة 40 في الالف او 4 ٪ في السنة ويعني ذلك تضاعف عدد السكان كل 17ر5 سنة ، وعلى هذا الاساس نستطيع ان نتصور ما يحدث في بلد كالمغرب بعد 100 سنة اذ يقدر ان يصل تعداده الى 500 مليون نسمة ، ولكن هذا شيء غير متوقع حدوثه في المغرب ولا في غيره ، اذ عندما ترتفع نسبة المواليد الى الحد الاقصى لا يمكن ان تنخفض نسبة الوفيات الى الحد الادنى ، فالبلاد التي استطاعت ان تنقص وفياتها الى حد كبير باستخدام الوسائل الصحية الحديثة ورفع مستوى المعيشة بين سكانها هي نفسها التي اخذت تعاني من النقص في مواليدها حتى باتت تخشى في الوقت الحاضر ان يتناقص عدد سكانها المطلق . ويرى بعض الاحصائيين ان النسبة 45 في الالف تقرب كثيرا من قوة الانسال الطبيعية التي تعمل بدون عوائق اختيارية لضبط النسل قد تصل به نسبة المواليد العامة الى هذا المستوى .

ومن المشاهد في كل البلاد ان المواليد الذكور يكونون دائما اكثر عددا من الاناث وهي في الحقيقة ظاهرة طبيعية ذات تفسير بيولوجي محض . ونسبة الذكور الى الاناث تكون في العادة حوالي 106 من الذكور لكل 100 انثى ولكن اجهاض الاجنة ذكورا اكثر حصولا من اجهاض الاجنة الاناث ، والوفاة بين الرضع الذكور اكثر منها بين الرضع الاناث ، ونتيجة ذلك تتعادل نسبة الذكور والاناث حوالي سن الخامسة. وتختلف نسبة الذور من بلد لآخر كما تختلف في نفس البلد من وقت لآخر ، وقد لاحظ بعض الباحثين ان نسبة الذكورة ترتفع وتنخفض مع حركة مستوى الاسعار ، وربما كان معنى هذا التوافق بين مستوى الاسعار ونسبة الذكور ، كما لوحظ في انجلترا من سنة 1869 الى سنة 1911 ان نسبة الذكورة ترتفع كلما زادت الحياة عسرا وضيقا بارتفاع الاسعار وتهبط كلما خفت الضائقة بنزول مستوى الاسعار ، ونجد ما يعزز هذا التفسير في ارتفاع نسبة الذكورة في البوادي حيث الحياة خشنة اذا قيست بحياة الحواضر .

ومعدل المواليد بين الطبقات الفقيرة اعلى منه بين الطبقات الغنية ، ويتوقف معدل المواليد على وجه العموم على مستوى المعيشة والثقافة العامة للسكان ، فهو بين الطبقات الفقيرة اعلى منه في الطبقات المتوسطة والطبقات الغنية من السكان ، وذلك لان افراد الطبقات الفقيرة يتزوجون صغارا حيث الخصوبة اشد ما تكون ، بخلاف افراد الطبقات الموسرة اذ يؤجلون زواجهم الى ما بعد هذه المرحلة ، هذا فضلا عن ان افراد الطبقات المتعلمة والغنية اكثر خبرة بوسائل تحديد النسل واكثر التجاء اليها ولا شك ان هذا ناتج ايضا عن زيادة التبصر وبعد النظر من جانب المثقفين والاغنياء . وما احرى الفقراء ان يتبصروا في امور معاشهم فلا يكلفوا انفسهم مؤونة الانفاق على اسر تضيق مواردهم عن القيام باعبائها ! وكان حريا بذوي اليسار ان ينجبوا اولادا هم اقدر الناس على الانفاق عليهم وتربيتهم ! ونجد في مدينة استوكهلم بالسويد ان معدل المواليد بين الطبقات الفقيرة اقل من عند الاغنياء ، وربما كان هذا البلد الوحيد في العالم بهذا الوصف ، وقد اتضح من احصاء عمل في هولندا عن العلاقة بين عدد المواليد والمراكز الاجتماعية للاسرة مقاسا بالدخل ، ان عدد المواليد يقل مع زيادة دخل الاسرة ، وكذلك زيادة عدد المواليد في الاسر القروية فنرى ان 37٫2 ٪ من الاسر الفقيرة في المدن يولد لها 6 اطفال فأكثر على حين ان النسبة في الاسر الغنية هي 3 اطفال في المتوسط ، وعلى ما نرى ان اسر القرى على اختلاف طبقاتها اكثر مواليد من اسر المدن على اختلاف طبقاتها . ويختلف عدد المواليد ايضا حسب ديانة الوالدين ، فالمشاهد مثلا ان معدل المواليد بين الكاثوليك اعلى من عند البروتستانت ، والوضع السياسي والاجتماعي يؤثر ايضا في معدل المواليد اذ المعروف ان الاقليات مثلا في كل البلاد يكون معدل المواليد في وسطها اعلى من معدل المواليد العام للبلاد التي تعيش فيها هذه الاقليات .

الوفيات :

يعتبر معدل الوفيات من أهم الاحصاءات التي تنشر عن الوفيات ، وهذا المعدل في حد ذاته له معناه ويمكن استخدامه للوقوف على الحالة الصحية للبلد .

والمشاهد ان معدل الوفيات بين الاناث اقل منه بين الذكور وذلك بوجه عام ، وهذه الظاهرة نجدها في كل الاعمار تقريبا وفي كل البلاد ، فهي ظاهرة معروفة ومسلم بها وليست خاصة بدولة معينة ، ومعدل الوفيات يختلف تبعا للاعمار ، فهو اكبر ما يكون في مرحلتي الطفولة والشيخوخة حيث تكون درجة المناعة عند الشخص ومقاومته للامراض اقل ما يمكن سواء في ذلك الذكور او الاناث ، واقل ما يكون هذا المعدل في مرحلة العمر الواقعة بين سن 10 و 15 سنة . ومن اهم المسائل التي تنال كثيرا من العناية والدرس في هذا الصدد مسالة معدل الوفيات بين الاطفال ، وخصوصا الرضيع الذين لم يبلغوا من العمر سنة واحدة وذلك لان الاطفال بطبيعتهم اقل مقاومة للامراض من الكبار واسرع وأشد تأثيرا من غيرهم ، وبالتالي منهم اكثر تعرضا للوفاة من الاشخاص الآخرين . وارتفاع معدل الوفاة بين هؤلاء يدل على حالة صحية غير مرضية ، وقد يكون ضعفهم وعدم تحملهم نتيجة لعوامل ترجع الى عدم العناية بالامهات اثناء الحمل او اثناء الوضع او بعده او قبله ، او ضعف صحة الامهات عموما . ومعدل الوفيات بين الاطفال يتراوح في جهات العالم بين 170 و 25 من الالف . ففي مصر 166 من الالف ، وفي ايطاليا 106 في الالف ، وفي انجلترا 65 في الالف ، وفي استراليا 41 في الالف ، وفي السويد 28 في الالف .

وهنا نتساءل ، هل من مصلحة المجتمع الفقير ان تنخفض نسبة وفيات الاطفال منه ، وينجو من

الموت اطفال صغار يثقلون باعبائهم كاهل هذا المجتمع ؟ الحق ان هذه المسألة تستوجب نقاشا طويلا !

وان هناك علاقة طردية بين معدل الوفيات ومعدل المواليد للاطفال ، فينخفضان معا ويرتفعان معا بوجه عام ، وهذه العلاقة نشاهدها بين طبقة واخرى بين السكان وبين حي وآخر فى نفس المدينة وبين أسر مختلفة فى ذات الحي .

وزيادة عدد المواليد من الاسرة او الحي او البلد تجلب زيادة فى نسب وفيات الاطفال ، فهل هذا قانون لا مفر منه او حالة عارضة يمكن التخلص منها ؟ هل يمكن الحصول على المواليد دون دفع الثمن بفقد نسبة كبيرة من هؤلاء المواليد ؟ ان وفيات الاطفال ينشأ معظمها من ضعفهم وعدم قدرتهم على المقاومة ، وان هذا الضعف ربما يكون نتيجة عوامل ترجع الى عدم العناية بالام اثناء الوضع او الحمل ، وبعض هذه العوامل يمكن ازالتها بتحسين الاحوال الصحية العامة وزيادة العناية بالامهات ، وزيادة على ذلك يمكننا ان نتصور ان ارتفاع مستوى المعيشة بين الاسر وما يتبعه من تحسين التغذية وكفايتها يساعد على تزويد الاطفال بالقوة والحيوية اللازمة لمقاومة المرض اذا حل بهم . وهكذا يمكننا ان نزيد عدد المواليد دون زيادة فى عدد الوفيات وذلك بأن نتعهدهم وأمهاتهم بالعناية والتغذية الكافية. وبذلك نستطيع الفصل بين هاتين الرابطتين، غير ان هناك عاملا آخر وهو انه كلما تعددت مرات الحمل لدى الام ضعف وليدها .

فمن الممكن اذن ان نحتفظ بعدد كبير من المواليد وهذا العدد هو الفرق بين عدد المواليد وعدد وفيات الاطفال ، والزيادة الفعلية فى السكان تتوقف على هذا الفرق أكثر مما تعتمد على المواليد ، وهذا الفرق اذن هو الذي يقيس مقدار نمو السكان اى انه يعبر عن ما فى الخصوبة للسكان . والذي يلاحظ ان العامل الاساسي لارتفاع نسبة الزيادة الطبيعية للسكان فى البلاد الشرقية هو ارتفاع نسبة المواليد ، بينما العامل الاساسي فى انخفاضها فى البلاد الغربية هو انخفاض نسبة المواليد .

الرباط : العربي محمد الزنايدي

قال علي رضي الله عنه : قال النبي صلى الله عليه وسلم :

من عامل الناس فلم يظلمهم ، وحدثهم فلم يكذبهم ووعدهم فلم يخلفهم ، فهو ممن كملت مروءته ، وظهرت عدالته ، ووجبت اخوته ، وحرمت غيبته .

من ماثر

دولة المماليك بالهند

للدكتور محمد يوسف
جامعة كراتشي - الباكستان

(أ)

من المصادفات ذات الاهمية الكبرى ان يكون اول مؤسس للدولة الاسلامية المستقلة بدهلي عبدا مماوكا ، اعني قطب الدين ايبك الذى سعى بجد واخلاص وكفاءة ممتازة لنشر نور الاسلام وتقوية دعائمه من الناحية السياسية والعسكرية والاخلاقية داخل الهند فى القرن السابع الهجري — حقا ليس الامر بدعا فى التاريخ الاسلامي ، فان المماليك حكموا مصر والبلاد الاسلامية الاخرى احقابا طويلة ، الا ان اخص ما يمتاز به المجتمع الهندوكي ، هو نظام الطبقات المبني على اساس التمييز بين الناس من حيث السلالة والمولد ، بحيث يكون البراهمة فى الطبقة العليا والمنبوذون فى الطبقة السفلى ، وقد كتب للمنبوذين الاستسلام للرق والانخراط فى المهن الوضيعة مؤبدا وحظر عليهم الاحتكاك بالطبقات العليا باي شكل من الاشكال، ولا يسمح لهم بالمؤاكلة او المجالسة او الاشتراك مع غيرهم حتى فى الاستقاء من الآبار وعبادة الاوثان والاصنام ، فشاءت حكمة الله ان يرتقي عرش دهلي مملوك من المماليك ايذانا بمجيء الحق وزهوق الباطل والغاء للفروق بين الناس حتى يرجعوا احرارا كما ولدتهم امهاتهم ، والحقيقة ان حياة قطب الدين منذ الصغر وفى مختلف ادوارها تمثل المبادىء الاسلامية باسمى معانيها من البر بالمماليك وتربية الصغار منهم وتعليمهم اسوة بالاولاد واهل البيت ، ثم تقليدهم المناصب الكبرى فى الجيش والادارة حسب مقدرتهم وكفاءتهم .

لقد كان قطب الدين سعيد الحظ اذ التحق مملوكا صغيرا بخدمة القاضي فخر الدين عبد العزيز الكوفي ، الذى كان من احفاد ابى حنيفة وكان يعرف بامام عصره مع توليه الحكم بنيسابور وما حواليها ، فبدا قطب الدين يدرس القرآن بعناية فائقة ويختلف الى الكتاب والمدرسة مع أولاد القاضي فخر الدين حتى عرف بنقب « القاريء » من بين المماليك الاتراك الذين كان ديدنهم الالعاب الرياضية والنرد والشطرنج فحسب ، ومهر قطب الدين ايضا فى اعمال الرمي والفروسية ، حتى اذا شب وكمل ساعدته الاقدار مرة اخرى فانتقل بعد وفاة القاضي فخر الدين الى ملك السلطان معز الدين سام المعروف بشهاب الدين الغوري ، فتوسم فيه السلطان بنظره الثاقب مخايل العظمة والنباهة مع انه كان قبيح المنظر وكانت اصابعه غير سليمة ، مما جعله يلقب بـ « ايبك » — الكلمة التركية التى تشير الى تلك العاهة بالذات ، وكلما منحه السلطان منحة بادر الى توزيعها على المماليك الآخرين بدون ان يستاثر هو بها ، والى جانب مظهر الجود والسخاء هذا كانت له مواقف مشهودة فى الحرب ايضا ، الى ان هاجم السلطان شهاب الدين وسط الهند ففتح (اجمير) وتغلب على دهلي ثم عزم على الرجوع الى غزنة ، فخلف وراءه قطب الدين كنائبه العام والقائد الاعلى للقوات المسلحة فى الهند ، فاحكم قطب الدين امر البلاد المفتوحة واغتنم كل فرصة لتوسيع نطاق الفتوح وبنى قاعدة حكمه فى دهلي ، ومما يذكر انه بقي دائما مخلصا فى ولائه

اولى نعمه يأتمر بأمره ويبغي رضاه في جميع تصرفاته ، يصحبه في غزواته اذا حضر ويفتح الثغور باسمه ويسوس الامور برسمه حتى قويت شوكته ووطئت خيوله ارض جزرات الى اقليم بنغاله — ولما استشهد السلطان شهاب الدين لم يفكر قطب الدين لحظة واحدة في الاستبداد بالامر والاستقلال بالمملكة الهندية ، بل ما زال مواليا للاسرة المالكة الى ان تقدم السلطان محمود ، ابن اخي السلطان شهاب الدين وملك غزنة الجديد ، تقدم من تلقاء نفسه الى خلع لقب السلطان على قطب الدين وتقليده الامارة المستقلة في الهند ، فكانت المعاملة بينه وبين الاسرة الغورية آية في الوفاء ونبل النفس والمجازاة على حسن العمل من الجانبين — كان قطب الدين ورعا تقيا حازما في السياسة الشرعية ، لم يتوان في اقامة الحدود فرفع المكوس غير الشرعية عن اموال الناس وبسط العدل حتى قضى على جميع نزعات التعصب للجنس والوطن فتفانى التركي والخراساني والافغاني والهندي كلهم في خدمة الاسلام واعلاء كلمة الله وضبط الامور بحزم حتى استتب الامن ونشطت حركة التجارة والصناعة فتوفر الرخاء ، كما انه شجع الآداب والعلوم الاسلامية حتى تكفل العلماء ضرورات التشريع والوعظ والارشاد ، فخلاصة القول أن عهد قطب الدين المملوك التركي الملك ، كان خير تعريف بالاسلام في ارض الهند المنكوبة باهدار كرامة الانسان وسيادة نظام الطبقات .

(ب)

شاءت حكمة الله أن يتم بناء قاعدة الحكم الاسلامي بدهلي على يد عبد مملوك ، أعني قطب الدين ايبك الذى خدم الاسرة الغورية بولاء واخلاص وتقلد الامارة المستقلة بالهند بجدارة وكفاءة ، ثم اراد الله ان يؤكد العدل الاجتماعي والمساواة بين الناس في الاسلام للهنود المنكوبين بنظام الطبقات فقضى أن يخلف قطب الدين ايبك مملوك آخر يفوق اقرانه بأدبه في الحرب والسياسة فيملك برضا الخاصة والعامة ، الا وهو شمس الدين ايلتتمش الذى تولى زمام الحكم بدهلي في أوائل القرن السابع للهجرة — لقد ابتلى ايلتتمش منذ الصغر بوقائع غريبة ذات عبر ، فانه ولد في بيت سؤدد وامارة ، كان أبوه ايلم خان شيخا من شيوخ القبائل بتركستان ، مشهورا بكثرة خدمه واعوانه ، وكان ايلتتمش أعز ابنائه لديه لحسن صورته واعتدال سيرته ، مما أثار الغيرة والحسد في سائر اولاده ، فلم يكن منهم الا أن كادوا له كما كاد أبناء يعقوب لاخيهم يوسف — نعم! تآمر اخوة ايلتتمش عليه فاستدرجوه يوما للهو والصيد وباعوه لنخاس جلبه الى بخارى حيث ملكت ايلتتمش اسرة ممتازة بالعلم والفضل ، فتربى ايلتتمش باحسن حال وانعم بال اسوة بأولاد مواليه الاحرار ، فتحلى بالعلوم والاداب والفضائل النفسية ، ولاسيما الصدق في القول والاخلاص في العمل ، ثم كان من حظه ان انتقل من بيت العلم والفضل الى بيت الفقر والرياضة الصوفية ، أي أنه بيع مرة أخرى فملكه الحاج جمال الدين ، احد المتصوفة ببغداد التى كانت تعج اذ ذاك بأقطاب الصوفية ، فاتيح لايلتتمش الالتقاء بامثال الشيخ شهاب الدين عمر السهروردي والشيخ أوحد الدين الكرماني ، كان ايلتتمش غلاما في الثانية عشرة من عمره ، يتعهد اسراج الشمع وخدمة الشيوخ بينما هم يسهرون الليالي في الاذكار والاوراد ، الا انه كان دائما يلفت انظار الشيوخ اليه فكانوا يخصونه بالعطف والتوجيه والارشاد ، وربما رأوا فيه مخايل العظمة والنباهة فبشروه بالامرة والحكم واخذوا منه عهدا ان ينيب الى الله في جميع اعماله ولا يتوانى في اعلاء كلمة الله ونشر الفضائل الاسلامية ، ثم قدر له ان يتدرج من بيتي العلم والتصوف الى بيت الامرة والجهاد في الحرب ، فباعه الحاج جمال الدين من قطب الدين ايبك ، فرعاه قطب الدين ايبك حق رعايته على قدم المساواة مع اولاده ، واعجب به أي اعجاب لما ابداه من استعداد تام لاعمال الفتوة والحرب مع البراعة في تدبير الامور وسياسة البلاد ، وقد ابلى ايلتتمش بلاء حسنا في عدة حروب ولاسيما في منطقتي (جوليار) و (بدايون) بشمال الهند ، كما انه امتاز بالحزم واللباقة في ادارة المنطقتين حتى قمع الاعداء والمشاغبين واقام العدل والنظام ، ولم يعجب به قطب الدين ايبك فحسب ، بل اعجب به مولاه السلطان شهاب الدين الغوري الى حد انه أوصى ايبك بتحرير رقبة ايلتتمش ، فاعتقه ايبك وزوجه ابنته ، وهكذا سجل التاريخ كيف يكون الرق وسيلة للعلم وتزكية النفس وممارسة آداب الحرب والسياسة والحصول على الامرة والحكم والالتحاق ببيت الرئاسة بالزواج — واخيرا لم يوجد احد احق منه بالخلافة واجدر منه بالرئاسة بعد وفاة قطب الدين ايبك فاختاره اهل الحل والعقد ورضي به الخاصة والعامة — ويشهد التاريخ بأنهم كانوا موفقين في

اختيارهم له ، اذ لم يكن بدعا منه بعد تدرجه فى مراحل التربية السالفة الذكر أن يكون ملكا تقيا ورعا حتى انه بلغ مرتبة الزهاد والصوفية ، الا انه لم يبلغ به الزهد الى أن يهمل امور الدنيا ويغفل عن سياسة المملكة . كذلك لم يمل كل الميل لا الى العلماء والفقهاء ولا الى الزهاد والصوفية . فان الفئتين مع الاسف كانتا تتناحران وتكيلان التهم كل واحدة ضد الاخرى. لكن ايلتتمش ابى ان يقدم احداهما على الاخرى . فالى جانب اكرامه للصوفية لم يقصر فى تنفيذ احكام الشريعة والاخذ براي الفقهاء فى القضاء والحكم بين الناس ، وكان يستمع الى توجيهات الصوفية ونصائح الفقهاء على السواء وربما كان العلماء والفقهاء اشد وابلغ فى تذكيره بواجبات الملك من الصوفية، ومن مآثره الخالدة انه اشرف بنفسه على تأسيس مدارس حكومية للآداب العربية والعلوم الاسلامية ، اسس المدرسة المعزية بدهلي و (بدايلون) تخليدا لذكرى مولى مولاه ، معز الدين الملقب بشهاب الدين الغوري ، ولم يكن اهتمامه بمرافق الحياة العامة اقل من اهتمامه بالعلوم والآداب. فقد بنى خزانا للماء عرف بالحوض الشمسي وقد اطنب فى وصفه ابن بطوطة لدى زيارته للبلاد فى زمن متأخر ، فخلاصة القول أن ايلتتمش كان عديم النظير فى الجمع بين الدين والدنيا والاهتمام بالظاهر والباطن على حد سواء ، رحمه الله وجزاه عن المسلمين وعن الاسلام خير الجزاء .

(ج)

لقد كانت دولة المماليك بدهلي آية من آيات الله ، فانها مثلت مبادىء الاسلام السمحة خير تمثيل واقامت مجتمعا يسوده العدل والمساواة ورفعت منار العلم والتقوى فى بلد كان البراهمة يستأثرون فيه لا بالسؤدد والحكم فقط ، بل بالعلم والعرفان ايضا ، فانهم كانوا قد حظروا على المستعبدين من عامة الناس حتى الاطلاع على الكتب المقدسة او الاستماع لها ، فشاءت حكمة الله ان يكون المجتمع الاسلامي تحت رعاية دولة المماليك انموذجا للديموقراطية المبنية على الشريعة الغراء — لم تكن امرة المماليك فلتة ، بل أصبحت سنة وعادة متبعة بحيث اصبح يرتقي عرش المملكة امراء من طبقة المماليك الذين تربوا فى حجر المماليك أمثالهم بعد ان كانوا من المماليك الموالين للاحرار ، ففى أواخر القرن السابع للهجرة خلف على عرش دهلي السلطان غياث الدين (بلبن) الذى اشتهر برعايته للعلم والعلماء وحرصه على طلب النصح من المشايخ والاتقياء — كان بلبن اصله من تركستان التى انتمى اليها ايلتتمش من قبله ، اتفق له وهو غلام صغير ان وقع أسيرا فى يد بعض الجنود من المغول الذين اعتادوا شن الغارات على تركستان فى ذلك الزمن ، فجلبه الجندي الى بغداد وباعه لجمال الدين البصري الذى كان يتقي الله فى جميع اعماله ، فامتثل امر النبي صلى الله عليه وسلم فى الشفقة والرأفة على مملوكه وحنا عليه حنوه على ولده ، ولم يقصر فى حق تعليمه وتثقيفه وتربيته فى اعمال الفتوة ، حتى اذا ترعرع وشب وكمل رأى جمال الدين البصري ان يقدمه الى ايلتتمش ملك دهلي لعله يتذكر القربى ويقدر مواهب بلبن فيوسع امامه المجال للخدمة فى المراتب العالية ، وفعلا اغتبط ايلتتمش بضم بلبن وجمع من المماليك التركستانيين معه الى قصره وكافأ جمال الدين أحسن المكافأة عن هؤلاء ، وهناك فى قصر ايلتتمش فوجىء بلبن مفاجأة سارة بالالتقاء مع اخيه الذى كان سبقه فى الاسر والالتحاق بخدمة ايلتتمش فى الحجابة ، وهناك فى بلاط ايلتتمش القيا معدبلين بالتصرف الى العلماء والصالحين الذين ربما دعاهم ايلتتمش الى الاجتماع به للوعظ والارشاد الى سبل الخير فتأثر بهم بلبن وجاهد فى ابتغاء الخير فى مزاولة سلطته الملوكية فيما بعد ، لقد توارث اولاد ايلتتمش الامارة بعده ، يليق بالذكر منهم السلطانة رضية ، ابنته المهذبة التى اثبتت كفاءتها ومقدرتها على سياسة الرعية على الرغم من تورع عامة الناس من الانقياد للمرأة ، كذلك السلطان ناصر الدين محمود بن ايلتتمش الذى تزوج من ابنة بلبن واتخذه وزيرا ونائبا له ، فلما مات السلطان ناصر الدين محمود أتت الخلافة منقادة الى بلبن — نعم ! اصبح بلبن ملكا مملكا من قبل جميع الامراء واصحاب الحل والعقد — الا ان الامرة والخلافة زادته زهدا وتورعا مع الاقبال على امور الملك والسياسة — يقول المؤرخون انه كان قبل أن يرتقي العرش يشغل بعض اوقاته بمجالس الشراب واللهو والعزف مع عدم التقصير فى اداء واجباته الدينية والرسمية ، ولكن بعدما تقلد منصب الامارة ترك جميع ملذات العيش ولم يبق له هم الا فى صحبة العلماء والفقهاء والاتقياء من الصوفية ، ومن المصادفات ان اضطر كثير من الامراء ، ومعهم العلماء والادباء والشعراء والفنانون ، الى الهجرة من تركستان لاشتداد ضغط المغول عليهم ، فلجأوا الى

دهلي حيث آواهم بلبن وهيأ لهم جميعا اسباب الحياة مع الاكرام وحسن التقدير ، فاصبحت لدار مملكته مرتبة عالية في العلم والفن ، فمن اشهر هؤلاء العلماء برهان الدين محمود البلخي الذى اخذ الفقه عن الشيخ برهان الدين المرغيناني صاحب الهداية الذى كان تنبأ بنباهة شان تلميذه الى درجة ان الملوك سيزورونه في بيته ، وقد صدق قوله فان السلطان بلبن اعتاد ان يعرج على بيته كلما قفل راجعا من المسجد الجامع بعد اداء صلاة الجمعة ، وقد كان لبرهان الدين محمود ايضا شرف التخرج على الامام الصاغاني صاحب مشارق الانوار في الحديث ــ كذلك افتخرت دهلي في تلك الايام بوجود تلميذ للامام فخر الدين الرازي في الفلسفة ، الا وهو العلامة نجم الدين عبد العزيز الدمشقي ــ هذا وقد زار دهلي في ايام بلبن ابن بطوطة الذى يشهد بعلم بلبن وفضله وحسن سيرته ورقي العلوم ونفوذ العلوم وكثرة المدارس في ايامه ــ واخيرا لا ننسى انه لم يمنعه شغفه بالعلم وتزكية الباطن من الاقبال بجد واهتمام على سياسة الامور الدنيوية ، اذن كان بلبن ملكا مثاليا من حيث الجمع بين العلم النافع والعمل الجدي في الدنيا الآخرة .

الباكستان ــ د. محمد يوسف

المال ...

قال عمرو بن العاص لمعاوية: ماأشد حبك المال ، قال : ولم لا احبه وأنا استعبد به مثلك ، وابتاع به مروءتك ودينك .

وقال بعض الفرس : من زعم انه لا يحب المال فهو عندي كاذب حتى يثبت صدقه ، واذا ثبت صدقه فهو عندي احمق .

وقال يونس : لو ان الدنيا مملوءة دراهم على كل درهم مكتوب من اخذه دخل النار لأمست وما على ظهرها درهم يوجد .

وقيل لما ضربت الدراهم والدنانير صرخ ابليس صرخة وجمع اصحابه فقال : قد وجدت ما استغنيت به عنكم في تضليل الناس ، فالاب يقتل ابنه والابن يقتل اباه بسببه .



للأستاذ : عبد القادر زمامه

353 ـ والطائر طاووس ..!

وجدت في كتاب نبذ تاريخية في اخبار البربر في القرون الوسطى المطبوع بالرباط سنة 1934 م في ص 1

« ولقد جرى ذكر المغرب بحضرة امير المومنين ابن عبد العزيز العبيدي فقال بعض الحاضرين: بلغنا أن الدنيا شبهت بطائر .. فالمشرق راسها ، واليمن جناحها ، والشام جناحها الآخر ، والعراق صدرها .. والمغرب ذنبها ...! وكان في المجلس رجل مغربي يقال له الدقا . فقال لهم : صدقتم ..! والطائر طاووس ..! فضحك السلطان واجزل صلته. يريد ان احسن ما في الطاووس ذيله ..!

354 ـ ملك الصيد المبادر ..!

وجدت هذه الابيات منسوبة للشيخ حمدون ابن الحاج :

بادرتني بلحاظ
ـ صادت القلب ـ سواجر

ملكته فهو عبد
طائع للامر صاغر

صادق قول « خليل »
ملك الصيد المبادر

355 ـ عند ختمة الصبيان ..!

وجدت في السلوة ج 3 ص 305 عند ترجمة عبد المجيد التريكي المتوفى سنة 1141 هـ

« ... ويسوق الصبيان عند الختمة ..! يكون الذي ختم راكبا على فرس . والصبيان امامه . يسوقهم سيدي عبد المجيد وهو يقول : يا مولانا يا الرسول . بك نصلي بك نصوم . بك تقضي حاجتي ..! والصبيان يردون عليه ..! ونوبة الطبالين من وراء الخاتم . الى ان يصلوا الى الضريح الادريسي . ثم يرجعوا على تلك الحال الى الدار..!»

356 ـ قد تصابى للتصابي ..!

وجدت في كناشة احمد بن العربي حسون هذه الابيات من شعره :

املأ لي الكاسات صرفا
وامزجنها بالرضاب

واسقنيها خندريسا
قد تحلت بالحباب

تحت اغصان سكارى
او في أزهار الروابي

بين عود ونديم
قد تغنى بالرباب

هذه منية صب
قد تصابى للتصابي

357 ـ القطب واقف يتبسم ..!

وجدت في كتاب : مجموع رسائل بن عربي . في رسالة بعنوان « كتاب منزل القطب » ص 13 . ط . الهند سنة 1948 م

« في حضرة عينية ، كنت ببلاد المغرب بمدينة فاس وقد انست من نفسي بعض ايناس ، بما استمرنت عليه من العوائد . وذهلت في ذلك الحين عن مشاهدة المشاهدة ..! فتهت فاذا بالكون قد اخذ بخناقي ، وشد اسري ووثاقي .. ! واحاطت بي ذنوب الحجاب ..! فقمت قائما خلف الباب ، طورا اقرع ..! وطورا اتسمع .. فاذا بالباب قد فتح ..! ففرح صدري وشرح .. واذا بالقطب واقف فتبسم ..!!! »

358 ـ ابهذا البخل تعرفينني ..!

وجدت في جذوة الاقتباس ، في ترجمة محمد بن قاسم القرشي المالقي ص 190 .

« حكي ان جدته صنعت له طعاما فلم يستطبه. وكان بين يديه قط يصدعه بصياحه ..! فقال له : خمسمائة سوط ..! فقالت له جدته : لم تعن هذا السياط للقط وانما تعنيني بها واعطيتها لي على اسم القط ..!

فقال لها : حاش الله يا مولاتي ..! ابهذا البخل تعرفينني ..؟ بل ذلك للقط حلالا طيبا ..! ولك الف ...! من طيب نفسي ..! »

359 ـ قبر واكفان ..!

وجدت في كتاب (النفحة المسكية في السفارة التركية) لابي الحسن التمكرتي هذين البيتين منسوبين للشاعر الاندلسي ابن دراج القسطلي .. ص 24 .

اقول وموج البحر والهول والدجا
تمور بنا فيها عيون وآذان

الا هل الى الدنيا معاد وهل لنا
سوى البحر قبر او سوى الماء اكفان

360 ـ حلف الا يسكن ... !

ووجدت فيها ايضا ص 154

« ومما يحكى في بلادنا ، ان رجلا امتحن في البحر .. ! وابتلي ببلائه .. حلف الا يسكن الا بلدا لا يعرفون البحر ..! ولا آلاته .. فرفع مقذافا . وجعل يسير به من بلد الى بلد .. ويعرفه الناس ..! الى ان اتى به درعة . فقال لاهلها : ما هذا ..؟ فقالوا: ـ هذه آلة يدخل بها الخبز في الفرن .. ويستخرج بها .. !! فسكن بها .. ! »

361 ـ بنت ابليس ..!

وجدت في مخطوطة كتاب (نزهة الاعيان) وهو من تاليف الشاعر ادريس السناني الحنش ... وقد الفه يصف فيه احوال متفرقة زمانه ..!!

« قال ابو الحسن الشاذلي رحمه الله : الدنيا بنت ابليس ..! فمن خطبها كثر تردد ابيها اليه ..! فان دخل بها اقام عنده بالكلية ..!! »

362 ـ الست تمضغها بأسنانك ..؟

ووجدت ايضا في مخطوطة (نزهة الاعيان)

« وحضرت يوما عقيقة لبعض الاحبة من الادباء، وكان بالدار على عادة فاس حجام يدني ويبعد، ويقيم ويقعد ..! ولما وضع بين ايدينا آنية الطعام مالت ..! فاسندها بخبزة ..! فقلت له : أزلها فانه حرام ..! فقال لي وقد نظر الي شزرا : على اي شيء يكون حراما ..؟ فقلت : لما فيه من التهاون بنعمة الله ..! فقال : الست تمضغها باسنانك ..؟ أي اهانة للنعمة كالمضغ بالاسنان ..!

فضحك الحاضرون منه ..! وانتهروه ..! قائلين له : ـ اسكت يا جهول .. الرجل يتكلم معك بالعلم.. وانت تجيب بالجهل ..! فخجل وانصرف » .

363 ـ دفعه يسطع ..!

ووجدت ايضا في مخطوطة نزهة الاعيان عندما نقل كلام الخروبي في انتقاد اهل البدع الذين :

« جعلوا الاكل والشراب راس مالهم ..! والبطالة واللهو ربحهم ..! والغفلة حالهم ..!

« واغرب شيء سمعته من الفاظهم في هذا المعنى قولهم : الفقير كيف المدفع ..! دقه (1) يسطع ..!! »

364 ـ طفا ... ورسب ..!

وجدت هذين البيتين منسوبين لصالح بن شريف الرندي .. في وصف هلال له خيال في نهر ..

وهلال صور الحسن به
لي شبيهين سوارا من ذهب
فبصفح الافق نصف قد طفا
وبصفح الماء نصف قد رسب

365 ـ اختصار الاحاطة ..!

وجدت في النص الذي نشر بحولية الجامعة التونسية من كتاب المهاجر الاندلسي محمد بن عبد الرفيع المتوفى سنة 1052 هـ المتعلق بهجرة الاندلسيين الاخيرة الى تونس . وقد كتب هذا النص سنة 1044 هـ من العدد الرابع الصادر سنة 1967 م ..

« وقد صنف بعض الاكابر وهو الامام الهمام ذو الوزارتين وتاج الرياستين لسان الاسلام ابو عبد الله محمد بن الخطيب السلماني الاندلسي القائم بالدولة السعدية النصرية باقليم الاندلس كتابا سماه الاحاطة في تاريخ غرناطة في ثمان مجلدات ضخمة ..!

وبلغني ان الشيخ الامام المفتي احمد المقري الفاسي الدار رحمه الله تعالى . قد اختصرها بفاس ...!!! ثم مرة ثانية بمصر المحروسة (2) .. في مجلدات عزب عني الآن عددها ..!! »

366 ـ ابن يونس ، واللخمي ، والحرث ..!

وجدت في ترجمة راشد بن أبي راشد من السلوة ج 3 ص 262 :

« وفي المنح البادية انه كان يقريء بفاس ..! واذا رجع الى بني وليد يحرث بيده .. فيضع ابن يونس على رأس المرجع ..! واللخمي على الطرف الآخر ويقرا مسألة من كل واحد .. اذا وصل يتاملها وقت الحراثة ..! »

367 ـ من شعر الشيخ أبي مدين ..

وجدت في كناشة الحائك التطواني التي جمع فيها موشحات الموسيقى المعروفة عندنا في المغرب باسم (الالة) هذين البيتين ونسبهما لابي مدين :

فيا حادي العشاق قم واحد قائما
وزمزم لنا باسم الحبيب وروحنا
فانا اذا طبنا وطابت نفوسنا
وخامرنا خمر الغرام تهتكنا

368 ـ يفتي من البردة

وجدت في مخطوطة رحلة ابن عثمان المكناسي الى مالطة المسماة « البدر السافر الى فكاك الاسارى من يد العدو الكافر »

« ... احد الطلبة كان بالبادية . فابتاع رجل من آخر فرسا ، فأراد البائع اخذ لجام الفرس . فابى المشتري .. فترافعا الى ذلك الطالب ، فعرضا عليه النازلة فقال لهما : اصبرا حتى اطالع ...! فاخرج نسخة من البردة ، وتصفح اوراقها والتفت الى المشتري وقال له : اثبت ان الفرس جموح ..! وخذ اللجام ...! فلج البائع في الخصام . فانتهره وقال له : يقول الامام البصيري :

« كما ترد جماح الخيل باللجم »

فبأي شيء يرد هذا المشتري الفرس ان جمح ..!! »

فاس ـ عبد القادر زمامة

---

(1) دقه : بمعنى املأ بطنه طعاما وشرابا .. !
يسطع : بمعنى يظهر ما عنده من انوار ..!!
(2) كتب عليه ناشر النص : لعله يعني نفح الطيب ...!!!

ديوان المجلة



شفيق جبري اديب العرب الخالد وشاعرهم الكبير وعضو المجمع العلمي العربي في دمشق ، وعميد كلية الآداب الاسبق في جامعة سورية ، الذى حجب شعره ونثره ، أو حجبتهما الظروف ، في السنوات الاخيرة عن مسرح الشعر والادب ، ولعل الاوساط العربية في عالمنا العربي المعاصر قد عطشت لجدول من شعره الانساني الحكيم الذى ينساب من منهله العذب يروي ظمأها ، ويترجم الاحاسيس من أمانيها …

هذا وانه ليسرني ويسعدني ان اقول انى سمعت أخيرا القصيدة الجديدة التالية من شعر الاستاذ جبري فالتقطتها من افواه بعض الزوار السوريين الذين اصبحوا بفضل العهد الجديد يزورونا ، فدونتها بعد ن استظهرتها حفظا لها . ككنز من اثمن الاعلاق الثمينة من شعرنا العربي الرفيع ، الذى جفت مواسمه ، بعد عزلة استاذنا شفيق جبري ، الى ان أوحت قريحته بهذه الاغرودة العصماء التى طاول بها شعرنا الانساني كواكب العالم العلوي معنى ونظما وبيانا وسحرا :

ـ مقدمة بقلم صديقه الاستاذ محمد علي الطاهر ـ

ما للغزاة على الافلاك تزدحم اجرهم امل ام غرهم حلم
اضاقت الارض من آثام آتمهم الم يروا كم جنوا فيها وكم اثموا

— ※ —

يا راكب الريح تطويه وتنشره كأنه كرة تلهو بها قدم
ما انت والقبة الزرقاء تقحمها اما على جنبات الارض مقتحم
اتعبت فكرك ما في جوها نسم تعدو عليهم اذا طابت لك النسم

لا العشب ينضر فى آفاق تربتهـا … ولا البحار عليها المـوج يلتطـم
ما تسمع الاذن حسا فى مسارحها … ولا ترى العين ما يجري به القلـ
لا الجن فى جوفها يعنـو عزيفهـم … اذا سجا الليل او ماجت به الظلـم
ولا على الانس خوف من مصارعهم … اذا تلهبت الهيجـاء واصطدمـوا
فما يجول بهـا وحـش يروعهـا … ولا يعـيـش بها ذئـب ولا غنـم
فلا الاسود تـدوي فى مقاوزهـا … ولا العنادل يبدي شجوها النغـم

— ❊ —

كنا نعيش على وهـم يخامرنـا … والناس فى غبطة الايام ما وهمـوا
لو قلت للقبح انت الحسن اجمعـه … لراح من قولك الخـلاب يبتسـم
دنيا الحقائق ما تنفـك مؤلمـة … فكم تمـادى على افيائهـا الالـم
لا تحسبن كمال الحسن فى قمـر … غنى به الشعر وازدانت به الكلـم
فما على وهـده غير التراب ولا … على الاهاضيب غير الصخر ينحطم
خابت ظنونك ايـن الحسن تطلبـه … فليس يفصح عن بدر التمـام فـم

— ❊ —

ما اعظم الكون ، من يدري مجاهلـه … ضاعت على وجهه الاحقاب والامـم
هب ادركت همـة من سره طرفـا … اليس تفنى على اطرافـه الهمـم
امنتهى الكون شمس نستضيء بهـا … اما شموس وراء الشمس تضطـرم
فهـل لعالمنـا حد نحيـط بـه … أما ترامت به الاحداث والقـدم
غصن الشباب فلم تذبل نضارتـه … ولا الـم به شيـب ولا هـرم
غابت عن العين افـلاك مبعثـرة … تظنها العين فوضى ليس تنتظـم
اكنها ان نأت عنـا وان شمخـت … فما تضل على اجوازهـا النجـم

— ❊ —

بئس العلوم اذا الاهـلاك مطمحهـا … فليت من علموا فى الخلق ما علمـوا
متى نرى الخلق فى سلطان دولتهـا … تمضي الليالي وقد لذوا وقد نعموا
أغاية العلـم ان نفنـى بمختـرع … من الصواريخ فى نيرانهـا العـدم
فكم ازاحوا رجـالا عن ديارهـم … فهل حوتهم على جنح الدجى الخيم
وكم أبادوا شعوبـا فى مرابعهـم … فسل جهنم فى العلم هل رحمـو
برد وجوع فكل العمـر فى سقـم … فما الحياة اذا اودى بهـا السقـم

أينفق المال في الافلاك عن سعة ... والناس في البؤس لا نعمى ولا نعم
ضاقت قلاعهم في الارض فالتمسوا ... لهم قلاعا عن الانظار تنكتم
كي يصبحوا بامان في فضائهم ... فلا يبالون ما هدوا وما هدموا
ايزعمون سبيل العلم وجهتهم ... اما لهم وجهة غير التي زعموا
غزو الكواكب كشف العلم ظاهره ... والله يعلم ما اخفوا وما كتموا !

دمشق ـ شفيق جبري

أكلت أبي ...

قعد رجل في سفينة وركب معه يهودي قد احتضن سلة قديد فاستولى عليها الرجل واخذ ياكلها ، فلما اراد الخروج الى البر راى اليهودي السلة فارغة ، فسأل عنها فقيل ان هذا الرجل اكل ما فيها فولول وقال : اكلت ابي ، فسئل عن ذلك ، فقال كان ابي اوصى ان يدفن ببيت المقدس ، فلما مات قددناه ليسهل حمله فاكله هذا !

وسر بكتاب ربك مستضيئاً ...

للشاعر مفدي زكرياء

جلال العيد الهمني بياني   وفجر ما يجيش به جناني
وهاجت روعة الذكرى شجوني   وما توحيه من شرف المعاني
فعاودني الحنين الى رهان   مع الدنيا ، على كسب الرهان
وكنت ، ولا ازال فتى نضال   تروع عزيمتي روع الزمان
ومن الف الصراع مع الليالي   يعش امجاده فى المهرجان
وقفت بموكب الذكرى اعتزازا   تواكبني الاماني ، والاغاني
فهام بها الزمان ، فسار يشدو   أغاريدي ، ويهزج بالمثاني
يقدس سحرها ، ملك وشعب   فيشرق من قداستها كياني
ولولا ثورة طفحت سموا   لما نطق الخلود على لساني
ولو لم ينعش الحسن المفدى   رغاب الشعب ، لاستعصى بياني
وناجيت ابن يوسف فى علاه   فناجاني ابنه لما اجتباني
وذكر لي ، مواقف خالدات   ولولا صدقها ما كان (ثاني)
فتى ، صدق النصيحة، وابتغاها   مصارعة على دنيا الهوان
وثار على (مساومة) وفاء   لعهد الشعب ، والشرف المصان
وراوده الفداء لمجد شعب   فخاض - وابن يوسف - فى التفاني
وقال الله : نلت المجد لما   تنادي الشعب، تضحيتي ضماني
ومن طلب الكرامة وافتداها   يقدم مهرها المهج القواني
وفى (العشرين) موعظة وذكرى   اذا صفت الضمائر والبيان

وفى (العشرين) السنة فصاح ... لو الاذان تنصت للاذان
بطولات ، واخلاق ، وطهر ... وتبيان لمفهوم الامان
ثورة رحمة ، وهدى وعدل ... بواهرها ، شواهد للعيان
كتاب الله ، منهلها المصفى ... ودستور الحياة مدى الزمان
لعمرك ، ما استقام بناء حكم ... اذا ما الدين لم يرس المباني
وشعب خاس اهدافا ونهجا ... بماضيه ، فمنهار وفاني

— * —

امير المؤمنين ،، لانت ادرى ... بما فى الدين من عمق المعاني
فكم وافتك منه معجزات ... على قدر ، تسابقها الاماني
وكم بادلته نصرا بنصر ... فلم يكسفك يوم الامتحان
وانطلقت الاله . فقلت حقا ... ولم تك عند (نقدك) بالاناني
تهدت الى العلاج ، وانت تدري ... بأن الجرح يعفن بالتواني
وناشدت الضمائر فاستجابت ... وصفقت الجوانح للتداني
وناجيت القلوب ، وانت تدري ... بان صلاحها سر الضمان
وهل يرعى الصلاح، سوى امين؟ ... اليس الماء من لون الاواني ؟ !
وهل يعلو البناء ، تناوشته ... معاول ، قاصمات كل باني
ولم تكن الرجولة غدر خب ... فان الغدر من طبع الجبان
امير المؤمنين ،،، نظمت شعرا ... خطابك ، مذ غمرت به جناني
خطابك – سيدي – للشعب هدي ... تفيض به الصرامة بالحنان
وقصدك ، حكمة ، وسداد راي ... تفور به الحماسة فى اتزان
فعش للشعب ، فى يسر ونصر ... فليس سواه يدرك ما تعاني
وسر بكتاب ربك مستضيئا ... لتحرسك العناية ، والمثاني

الرباط – مفدي زكرياء

أين صلاح الدين..؟

للشاعر محمد محمد العلمي

قصيدة بمناسبة ذكرى الجريمة النكراء التي ارتكبتها العصابة الصهيونية الغاشمة باحراق المسجد الاقصى ، اولى القبلتين ، وثالث الحرمين ، تلك الجريمة الشنعاء التي اهتز لها الضمير العالمي بصفة عامة ، وتلك المأساة الاليمة التي طعنت في الصميم جميع المسلمين ، في مشارق الارض ومغاربها ، بصفة خاصة .

ايا لوعتي زيدي على (المسجد الاقصى) … فياواه ما هانت على (المغرب الاقصى)!!

وفي كل قلب بالالهيب تصدع … وفيه جراح لا تعد ولا تحصى

أيهدم هذا الاخطبوط كياننا … فيستنزف الخيرات منا ويمتصا ؟!

اتتركه يختال فينا توسعا … ويفرس كالصياد في خلقنا شصا ؟

فصهيون في كل المجامع سبة … وايغالها في البغي ما كان يستقصى

لقد جمعت من كل لؤم اخسه … ولم تحترم في الكون شرعا ولا نصا

طبيعتها في الغدر والمكر اصبحت … سموما بها قلب العروبة قد غصا

اتصبح اولى القبلتين كما نرى ؟ … فقد بلغت مأساتنا حدها الاقصى !

وهذا ضمير العالمين جميعهم … يندد بالعدوان ، يستنكر اللصا

وهذي شعوب المسلمين تحركت … لتنزع عنها الخلف والذل والنقصا

اترضى بما يجري هنالك ؟ اننا … لنحرص في الدنيا على ديننا حرصا

انحيا على ضيم يصيب صميمنا ؟ … وهلا فحصنا الداء من أصله فحصا ؟

فتبا لصهيون اللعينة ، انها … على جثث الاحرار قد رقصت رقصا !

تبيت تخريبا لتبني (هيكلا) … وتمتاز بالحلم القديم وتختصا

فهيا الى توحيد صف وهمة ... لنغسل عار الاشقياء ونقتصا

فاين (صلاح الدين) ؟ بل اين نسله ؟ ... واين الذى نحياه مما به اوصى ؟!

فملتنا الاسلام عز وقوة ، ... فكم قد حكى عنا الزمان ، وكم قصا !

وملتنا الاسلام فيها توحدت ... مطامحنا ، اعظم بذاك الذى وصى !

وملتنا الاسلام جوهر حكمة ، ... فهيا الى القرآن نزدد به غوصا

وهذا امير المؤمنين بغيرة ... مثالية يابى لملتنا نقصا

تلالا بالانوار من نور جده ... فاخجل من كل الشموس به قرصا

ويدعو الى نهج السلام بوحدة ، ... فمرحى لما ابدى ، وبشرى بما اوصى !

اذا صح عزم الحر لاح خلاصه ... فما دام صعب بالثبات ولا استعصى

وفى ملة الاسلام شمس مضيئة ... على اجمع الاكوان ، مانسيت شخصا

وفيها مساواة وعدل ونخوة ، ... فمرحى لهذا الدين بالخير قد خصا !

ايا لوعتي زيدي على (المسجد الاقصى) ... فواواه ما هانت على (المغرب الاقصى)!!

الرباط ـ محمد بن محمد العلمي

ذو المـــال ..

كان العباس يقول : الناس لصاحب المال الزم من الشعاع للشمس ، ومن الذنب للمصر ، ومن الجلم للمصر ، وهو عندهم ارفع من السماء ، واعذب من الماء ، واحلا من الشهد وازكى من الورد ، خطاه صواب وسيئته حسنة وقوله مقبول ، يغشى مجلسه ولا يمل حديثه .

رسالة إلى ولدي ..!

شعر

للشاعر خليل الهنداوي

« مهداة الى كل ولد يقذف بولده الى المهاجر التي تبتلع اولادنا ، وتنهش اكبادنا »

ادعوك يا ولدي — في القرب والبعد
تمضي وتتركني — وحدي ، بلا مدد
انسيت تربيتي — والجهد من جهدي ؟
ايام تقفز من — عضد الى عضد
قد كنت متكئي — بل كنت معتمدي
حدا اموت .. فيا — عجبا من الحسد !

— ✻ —

لو رحت تبصرني — والداء في جسدي
والنور شح على — عيني من السهد
اسعى الى هدفي — هونا على قصد
وانا هنا وهنا — في يأسي الابدي
القاك في حلمي — واراك ملء يدي
لو رحت تبصرني — لرثيت يا سندي !

— ✻ —

قد كان في قفصي — كالطائر المفرد
اطلقته سقفها — مني ، ولم يعد
ورفعته ، فاذا — سقف بلا عمد
حتى فقدت به — « روحي » الى الابد

قبلتـــه بفـمـــــي طوقتـــه بيــــدي
والدمـــع منحـبـــس والنـــار فـي كبـدي
وقلـوبنـــا خـفـقـت بـــــان مرتعـــد
مـــا لـســـت اذكـــره بالرغـــم مـــن جلـــدي
« هل نلتقـــي بغـــد ؟ » اوه ! مــات غـــدى !

— * —

انـــي جنيـــت علـــى نفسي ، علـــى ولـــدي
لمـــا قـذفـــت بـــه فـــى ذلـــك البلـــد
لا ينحـنـــي احـــد فيـــه عـنـــى احـــد
الكـــل منـفـــرد او شـبـــه منـفـــرد
لا حـــب عـنـــد اخ لا عطف فـــى ولـــدي
والنـــاس قـــد غرقـــوا فـــى رغـــوة الـزبـــد
يتصـــارعـــون علـــى دنيـــا مـــن النكـــد

— * —

عـش انـــت مغتبطـــا بالعيشـــة الـرغـــد
واسحـــب بـــرودك فى زهـــو علـــى بـــرد
ان كنـــت تمكـــر بـــي فاللـــه فـــى الرصـــد
يـــا رب مضطهـــد اودى بمضطهـــد
مـــن يســـق والـــده كـــاس الجفـــا يـــرد !

— * —

ادعـــوك يا ولـــدي ! يـــا عـــدة العـــدد !
كـــم ذا تعللـــنـــي بجنـــائـــن الخـلـــد !
خيبـــت لـــي املـــي وسلبتنـــي رشـــدي
وتركتنـــي غـرضـــا للـهـــم والكمـــد
عدنـــي ولـــو كذبـــا زرنـــي ، ولا تـــزد
مـــا زلـــت منتـظـــرا يا ليـــت لـــم تعـــد !!

حلب : خليل الهنداوي

بين جبال آرسني



اي سحر هنا ، واي بهاء ... تتملاه اعين السعداء
هل رايت الجمال يوما بارض ... يتحدى قرائح الشعراء ؟
هل رايت الربى تصور خلدا ... وفراديس من جنان وماء ؟
ومروجا تمازج الروح سحرا ... نابعات بمتعة النعماء
وجبالا كانها المسك نشرا ... خضلات باعبق الانداء
نسج الزهر فوقها حبرات ... زاهيات ، وحاك خير ملاء
اي وشي زها بالوان صبغ ... تتحدى مهارة الوشاء
وبساط مرصع يتراءى ... فى شعاع من حلية العظماء
فالدنانير والدراهم تهر ... جامد المتن من حلى وثراء
واليواقيت فيه حراس كنز ... قد تحلوا بخفة الرقباء
ومرايا من لامع النور تبدي ... وجنات الحسان فى استحياء
واديم الثرى حرير بهيج ... يتحلى بالصبغة الخضراء
يخلب القلب رقة وبريقا ... ويناجي بالفرحة الحسناء
سرح الطرف فى خمائل غاب ... تتمتع بالجنة الشجراء
فترى الايك واقفا كالعذارى ... تتناجى باللهجة الخرساء
ومروجا كانها طنفسات ... وقف الايك فوقها بازدهاء
وتغني له الطيور نشيدا ... يتلقى لحونه بانتشاء
وترى النهر نائما فى فراش ... لؤلؤي الرمال والحصباء
غارقا فى احلام دهر طويل ... زاخرات باغرب الاجواء
والرواسي تحفه من يمين ... وشمال ، وتحتفي بالوطاء
والشجيرات قد دنت منه شوقا ... وتهيان فوقه لارتماء

يتطلعن فيه مثل الصبايا ... قد تطلعن في زجاج المراء
ويشاهدن حلية من لجين ... ويداعبن فضلة من رداء
فتهامسن معجبات بحسن ... وتمايلن من لذيذ انتشاء
فصحا النهر من تتابع همس ... وانتفاض القدود والاعضاء
ورأى الغيد حوله حانيات ... مغرمات بحسن ذاك الرواء
فازدهاه الاعجاب حتى تصدى ... لخرير منغم الاصداء
كاغاريد رددتها نساء ... من بعيد ترن في الانحاء
وجرى النهر يملأ الارض يمنا ... وحياة تدب في الغبراء
يتلوى بين الرواسي رقيقا ... او عريضا كصفحة من ضياء
عكست حلية الاصيل ظلالا ... فوقه من غدائر السيراء
وتلاقت عليه اذيال طيف ... تتراءى من رقصة الافياء
فكأني بها ملائك نور ... سربلتهم ستائر من خفاء
فاذا ما مضوا عشيا تجلت ... حسرة الشمس في دموع الدماء
سفحتها غريرة فتراءت ... ارجوانا معلقا في الفضاء
سفكت مهجة لها ببكاء ... فتوارت عن الدنا بالفناء
وارتدى الافق رفرفا حار فيه ... كل فكر وتاه كل ذكاء
من لهيب تراه ، او من عقيق ... او نضار ، او سائل الصهباء ؟
او نسيج من قانيء يتدلى ... راية ركزت باعلى العلاء
لبس النهر منه بردا بهيجا ... ساحر اللون ، من طراز السماء
يسرح الفكر منه فوق جناح ... في رحاب غريبة الارجاء

— * —

ودع الكون شمس يوم جميل ... ثم القى تحية للمساء
وتلقاه بالذراعين شوقا ... واحتفاء بالطلعة السمراء
واطلت على الحياة عيون ... من شفوف الستائر الزرقاء
ترمق الارض في فضول وتبدي ... غمزات لمقلتي كل رائي
وسرت في خمائل الغاب انـ ... ـسام رقاق معطرات الهواء
ينشق الانف من شذاها سرورا ... له بين الضلوع فعل الدواء
يتسلى به الشجي وتلقى ... مهجة الصب فيه روح الرضاء
وسجا الغاب في سكون عميق ... فكأني به انتشى من طلاء

سكر الارز من سلافة عطر ... فتولته غشيه الاغفاء
وانقضى موسم الطيور فامسى ... حرم الغاب كالقرار الخلاء
ودهى امة الضفادع خوف ... فاستغاثت بالضجة النكراء
بنقيق كانه صرخات ... من جيوش تفر من اعداء
ثم اعيت من النقيق فقرت ... فى ذهول من وحشة الظلماء
اي ليل هناك لقع « اسني » ... من جلال وروعة — بكاء !
خشعت كل ذرة من جليل ... وحقير لخالق الاحياء
فرايت الجمال فى كل شيء ... مستفيضا هناك بالسراء
وقرات الجمال فى كل شبر ... حكما من معلم الحكماء
وسمعت الجمال لحنا وصوتا ... فتعالى مدبر الاشياء !

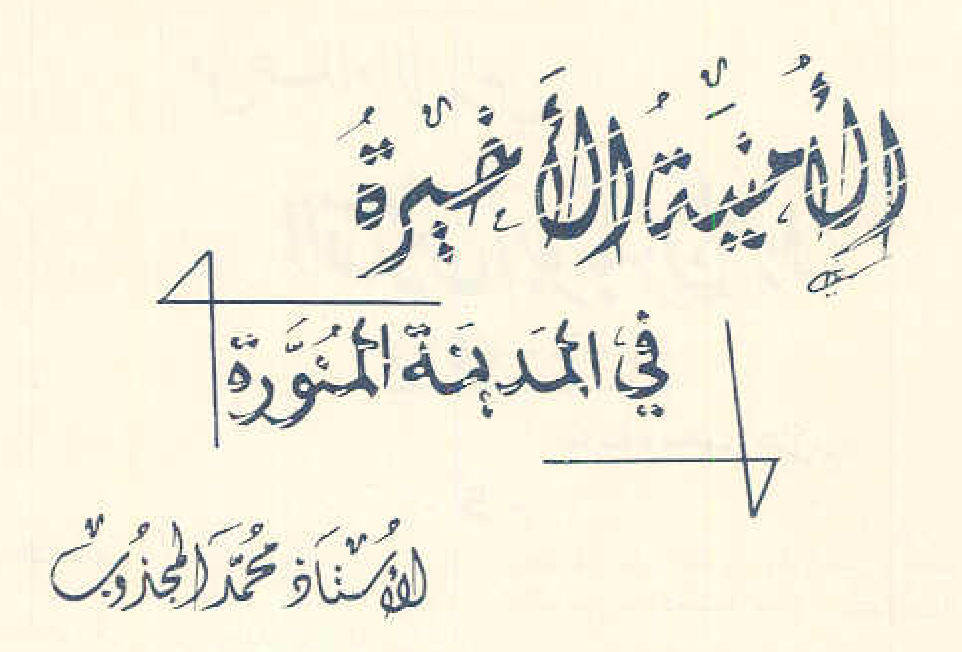
— ※ —

يا لها وقفة باسني تسنى ... لفؤادي بها ارتشاف الصفاء !
قد تلقنت فيه آية فن ... وتدبرت حكمة الايحاء
وتعلمت من نبات وطير ... وجماد فصاحة الايماء
وتيقنت انني فى مغان ... ضل عن حرزها ذباب الشقاء
بورك النور والجمال لديها ... بوركت بقعة المنى والسناء
صور الله كيف شاء جمال ... يجد القلب فيه خير عزاء
ابدع الله كيف شاء بهاء ... تجد الروح فيه خير غذاء
فتعالى ابداعه ، وتسامت ... ريشة صورت بكل جلاء
خاطبتني هناك رمزا ولونا ... وبصوت وفى حروف الهجاء
فتضاءلت ذلة وخشوعا ... وتبرات من هوى كبريائي
ثم سبحت خالق الكون حتى ... سبح الماء والنبات ازائي
وطيور مغردات بلحن ... غامض السر باهر الالقاء
فتفانيت فى جلال جميل ... وتوسلت — ضارعا — بالدعاء
وتاسيت بالطيور انادي ... مدد الله ان يجيب ندائي

— ※ —

يا سنا الحسن فى مسارح «اسني» ... قد تنسمت منك روح الشفاء
وتلقيت فيك منية نفسي ... فتنفست هيئة السعداء
وتضلعت من حياة ونور ... حرس الله ملتقى السعداء

أسني — المدني الحمراوي



حبيبة انت يا دار الحبيب فما   لي بعد لقياك فى الاوطان من ارب

وهل يلام محب فيك ليس يرى   نظير معناك فى الدنيا ولا الكتب !

فى كل ذرة رمل منك معلمة   من ذكريات ملأن الكون بالعجب

تحكي لنا قصة الفجر الذى انقشعت   عن البصائر فيه ظلمة الريب

تروي الاعاجيب من انباء مدرسة   فيها الاميتان جبريل وخير نبي

ربى بها الوحي جيلا لا كفاء له   على البسيطة من عجم ومن عرب

بهم تسنمت عرش الارض قاطبة   وبت سيدة الدنيا على الحقب

حتى ترابك يأبى المكث منخفضا   فيركب الريح مزهوا الى الشهب

وقد درى انه برء لكل ضنى   فانساب منتشرا فى كل منسرب

فحبذا هو كحلا للعيون ، وطبـ   ـبا للقلوب ، وبردا فى لظى الكرب

وكيف لا يحتوي سر الشفاء وقد   مرت به قدم المختار عن كثب !

يامهبط الوحي .. كم لي فى رحابك من   نجوى أضاءت بنور الوحي مقتربي

قد كان قربك حلما لا يرى فغدا   بنعمة الله مجلوا بلا حجب

لم يبق فى القلب الا طيف أمنية   وددت لو تشترى بالنفس والنشب

مثوى يضم رفاتي فى «البقيع» اذا   وافاني الاجل المقدور يهتف بي

المدينة المنورة ــ الاستاذ محمد المجذوب

من أعلام الأندلس

القاضي أبو بكر بن العربي

(543 - 468)

للأستاذ سعيد أعراب

- 5 -

الجانب السياسي :

اما الجانب السياسي من رحلة ابن العربي ، فيكتنفه غموض ، ويحيط به كثير من التساؤلات ، والسياسة من طبيعتها ذلك !

واول سؤال يتبادر الى الاذهان ، : هل كانت رحلة ابن العربي ووالده ، تهدف الى غرض سياسي ؟ وبعبارة اوضح ، هل خرجا موفدين ، من يوسف بن تاشفين ، الى عاصمة الخلافة ، او انما تبرعا بذلك اعجابا به ، او تزلفا اليه ؟ ...

ويجيبنا ابن خلدون ، جوابا صريحا في الموضوع فيقول : « .. ولما محي رسم الخلافة ، وتعطل دستها ، وقام بالمغرب من قبائل البربر ، يوسف بن تاشفين ملك لمتونة ، فملك العدوتين ، وكان من اهل الخير والاقتداء ، نزعت همته الى الدخول في طاعة الخليفة ، تكميلا لمراسم دينه ، فخاطب المستظهر العباسي ، واوفد عليه ببيعته عبد الله بن العربي ، وابنه القاضي من مشيخة اشبيلية (1) ... فتلطفا في القول ، واحسنا في الابلاغ ، وطلبا من الخليفة ، ان يعقد له على المغرب والاندلس ، فعقد له ، وتضمن ذلك مكتوب الخليفة بذلك ، منقولا في أيدي الناس»(2)

ويؤيد راي ابن خلدون ، ما ذهب اليه ابن تغري في النجوم الزاهرة : « بعث يوسف بن تاشفين ، الى المستظهر بالله ، يخبره انه خطب له على منابر ممالكه، وارسل اليه يطلب منه الخلع والتقليد فبعث اليه بما طلب .. » (3) .

لكن سياق الرحلة ، لا يدل على شيء مما ذكر ابن خلدون ومن معه ، والظروف التي خرج فيها الشيخ وولده ، لا تساعد على ذلك :

« فدعت الضرورة الى الرحلة ، فخرجنا ، والاعداء يشمتون بنا .. » (4) — كما اشرت الى ذلك في صدر هذا البحث (5) .

على ان ابن العربي (الابن) — طالما راودته هذه الرغبة ، والعمر في عنفوان صباه ، « .. وكان الباعث على هذا — مع هول الامر — همة لزمت ، وعزيمة نجمت» (6) .. أما الشيخ (الاب) — فربما كانت ضالته المنشودة — الى جانب لا يرغب فيه لولده من

1) انظر المقدمة ، ص 411 طبع بيروت
2) انظر التاريخ : « العبر » 6 — 386 — نفس الطبعة
3) انظر النجوم الزاهرة ، في تاريخ ملوك مصر والقاهرة 191/5 ، طبع دار الكتب بمصر .
4) انظر قانون التاويل (138 ب) .
5) انظر العدد الاول والثاني (مزدوج) ص 96 .
6) انظر نفس المصدر .

علم ومعرفة — ان يزور البقاع المقدسة ، ويـؤدي فريضة الحج (7) ، ويستمطر الرحمات ، في أن يكفر الله عنه ما عسى ان يكون وقع فيه أيام سلطانه — من زلات ، وقد ولت زهرات العمر، واقبلت الشيخوخة والهرم بأعبائها الثقال ؟.

وتتصارع الرغبات ، وتصطدم العزمات، ويتلاحا الابن والاب ؟ ويتجلى ذلك واضحا فيما يذكره ابـن العربي أثناء اقامته ببيت المقدس ، وقد اقبل على علوم عصره يلتهمها ، وقد نسي كل شيء : « .. وقلت لاب ان كانت لك نية في الحج ، فامض لعزمك ، فانـي لست برائح عن هذه البلدة ، حتى اعلم من فيهـا .. فساعدني حين رأى جدي .. » (8) .

ولما دخل العراق ، واختص بابي بكر الشاشي ، وطلعت عليه شمس المعارف، قال: « .. الله اكبر ، هذا هو المطلوب الذي كنت اصمد ، والوقت الذي كنت ارقب وارصد » (9) .

وعند ما ورد ذا تشمند ابو حامد الغزالي علـى بغداد ، مشى اليه ، وعرض امنيته عليه ، قائـلا : « .. انت ضالتنا التي كنا ننشد ، واملنا الذي نسترشد.. فلما طلع ذلك النور ، وتجلى ما كان تغشاني من ذلك الديجور ، قلت : هذا مطلوبي حقا .. (10) !

هذه شذرات من الرحلة ، قد نستشف منها ، ان الغرض الذي كان يرمي اليه ابن العربي ، من وراء هذه الاسفار النائية ، والمغامرات المتوالية ، — هو المعرفة، والتعرف على علماء الملة ، وقد يلمح الى ذلك هـذا العنوان : « ترتيب الرحلة ، للترغيب في الملـة » او « شواهد الجلة والاعيان، في مشاهد الاسلام والبلدان» وحتى اتصالاته برجال الدولة في بغداد ، انما كانت تعني ذلك . « .. ونعم العون على العلم الرياسة » (11) فالغرض السياسي ، انما جاء تبعا لذلك ، وقد توجا به عملهما خدمة للدين ، وتحقيقا لوحدة المسلمين .

نعم ، هناك بعض فقرات ، جاءت في « شواهد الجلة » ، مثل قوله : « .. ثم قفلنا ، وقد قضينا مـن الهجرة الى الخلافة المفترض ، وحصلنـا من العلـوم على بعض الفرض » (12) .. — ربما تعكس القضية ، وتجعل الهدف الاساسي من الرحلة ، هو القيام بمهمة سياسية لدى الخليفة .

وكذلك بعض عبارات ، وردت في الخطاب الذي رفعاه الى مقام الخلافة .. « ويظهر (اي الاميـر ابن تاشفين) — مزية وفادتهما ، ورعاية هجرتهما .. وكان امله « ابن تاشفين » مواصلة الخدمة ، والتشـرف بانهاء اعماله ، والاعلام بمناقب احواله وأفعاله .. ان الا الحائل المانع دون ذلك .. » (13) — تدل على انهما كلفا بالمهمة ، وابلاغ الخليفة عذر الامير في التخلف عن ذلك ، وانهما موفدان من قبله ، غير متبرعـين بذلـك .

على ان ابن خلدون ، — وهو من هو — لا يطلق الكلام على عواهنه ، ولابد ان له سلفا في ذلك ، وحجة اعتمدها في كلام ابن العربي نفسـه ، وكثير من القضايا التي تتصل بحياته ، لم يشر اليها فيما وقفنا عليه من فصول هذه الرحلة ، مثل ارتحاله الى الحجـاز ، وادائه لفريضة الحج ، حتى أن بعضهم نفى ذلك ، كما اشرت الى ذلك سابقا (14) ، ولا نستطيع ان نقول الكلمة النهائية في الموضوع ، حتى نطلع على ما خلـف مترجمنا من آثار ، وهو انتاج ضخم ، وتراث هائل، واكثره لا يزال في ذمة التاريخ . ومهما يكن ، فابـن العربي — وهو الشاب الطموح — لابد أن يشتغـل بالسياسة ، ويرنوا الى الجاه والرياسة ، فقد كـان جده من الام ابو حفص الهوزني ، الوزير الاكبـر

---

7) ويذكر ابن فرحون في الديباج ان خروج ابن العربي وابنه الى المشرق ، انما كان لهذا الغرض . انظر ص 281 .

8) انظر قانون التاويل (140 — أ)

9) قانون التاويل (142 — أ)

10) نفس المصدر (143 — ب)

11) نفس المصدر (144 — أ)

12) مجموع الخزانة العامة بالرباط (31 — ب)

13) حسبما سنرى في الرسائل التي سنوردها بعد

14) انظر « دعوة الحق » العدد الخامس ، ص 165

للمعتضد (15) ، ووالده ابو محمد بن العربي وزير المعتمد ومستشاره الخاص (16) ، وكان الفتى — وهو بعد حدث — يسمع الكثير عن مأساة جده أبي حفص ، الذي ذهب ضحية التعسف والاستبداد (17) ، وشاهد بأم عينه ، نكبة والده ، وانحداره من قمة مجده وشماتة الاعداء به ، وربما حدثه هذا الاب الذي أفل نجمه ، وانتكس حظه — طويلا عن شؤون السياسة، كما كان يحدثه عن شؤون العلم والمعرفة . وسنرى ان ابن العربي ، حقق كثيرا من آماله ، فكان قاضيا، ومستشارا ووزيرا .

الظروف السياسية :

كانت الفترة التي عاشها ابن العربي ببغداد ، وفي اقطار الشام عامة ، — وهي ما بين (485 — 492 هـ) — تختلف في بعض ظروفها السياسية والاجتماعية ، وقد تولى الخلافة في سنواتها الاولى، المقتدي (18) بالله عبد الله بن محمد بن القائم العباسي عهد اليه بالخلافة جده القائم بأمر الله ، فوليها بعد وفاته سنة (467 هـ — 1074 م) — وكان عالي الهمة ، له علم بالادب ، وايامه ايام خير وسعادة ، لم تر فيها الامة الاسلامية ، ما يكدر صفو حياتها ، فتفرغ الى عمران بغداد ، وشيد المدارس والمعاهد ، فازدهرت العلوم والمعارف — على عهده ، ومن حسناته انه نفى المغنيات والخواطيء ، وامر بالمحافظة على حرم الناس وصيانتها ، وكانت قواعد الخلافة باهرة ، وافرة الحرمة (19) ، مات فجأة سنة (487 هـ — 1094 م) — فولي بعده ولده أبو العباس المستظهر(20) بالله ، وكان محمود السيرة ، لين الجانب ، كريم الاخلاق ، محبا للعلماء واهل الفضل ، له معرفة بالادب ، قوي الكتابة له توقيعات تدل على فضل غزير ، وعلم جم ، ومن اخلاقه السياسية ، انه كان كثير الوثوب بمن يوليه ، غير مصغ الى سعاية ساع، او قول واش ، لم يعرف عنه التلون او انحلال العزم بأقوال أصحاب الاغراض ، وباسمه الف الغزالي كتابه « المستظهري » — في فضائح الباطنية ، وفضائل المستظهرية (21) ، ولكنه — كما يقول ابن تغري — لم تصف له الخلافة ، بل كانت ايامه مضطربة كثيرة الحروب (22) .

وفي ايامه — سنة (492 هـ — 1098 م) — استولى الصليبيون على بيت المقدس (23) ، والامراء السلجوقيون في حرب دائم ، للسيطرة على الحكم ، وعلى المستظهر ان يوقع لكل غالب ، مرسوما بالخطبة له على منابر بغداد (24) ، وكان ذلك من بوادر ضعف الخلافة الاسلامية لهذا العهد ، على ما سنرى بعد .

اتصالات ابن العربي

مهد ابن العربي للمعركة السياسية ، التي خاضها مع رجال دولة بغداد ، بما يلي :

1 — لم يغادر دمشق الى بغداد ، حتى أخذ عدة توصيات من المسؤولين هناك الى البلاط العباسي ، « .. وكنا قد حملنا من دمشق كتاب واليها ، وجماعة من رؤسائها ، الى الوزير عميد الدولة ، وكتاب القاضي نجم القضاة الشهرستاني ، بالتقريظ لنا ، والتنبيه على مكاننا .. » (25)

---

15) انظر نفس المصدر العدد الاول والثاني (مزدوج) ص 94 .
16) نفس المصدر والصفحة .
17) نفس المصدر ايضا
18) انظر الوفيات 233/1 ، والنجوم الزاهرة 139/5 ، وابن الاثير 33/10 — 79 .
19) انظر السيوطي ، تاريخ الخلفاء ص 390 .
20) ولد سنة (470 هـ / ، وتوفي سنة (512 هـ) وكانت مدة خلافته خمسا وعشرين سنة وأياما . انظر ابن الاثير 80/10 و 188 . والنجوم الزاهرة 215/5 . وتاريخ الخلفاء ص 393 .
21) انظر ترجمة الغزالي في طبقات السبكي 101/4
22) انظر النجوم الزاهرة 216/5
23) انظر ابن الاثير 188/10 ، والنجوم الزاهرة 148/5 — 150 ، وتاريخ ابي الفداء 126/4 — 127 وتاريخ الخلفاء ص 394 .
24) انظر النجوم الزاهرة 165/5 .
25) انظر قانون التاويل (143 — ب)

2 ــ كان للدعاية التي قام بها في الحجـاز ، في سبيل وحدة الخلافة الاسلامية ، صداها البعيـد في الاوساط السياسية ، وفي دار السلام بصفة خاصة ، حسبما أشرنا الى ذلك سابقا (26) .

3 ــ كان لوساطة ابن الخشاب ، دورها الفعال لدى الوزير ابن جهير (27) فاستقبل الوزير العالمين الوافدين في مكتبه ، واطلع الخليفة على أمرهمـا ، فأمر باكرامهما ، والاحتفاء بهما ، واجرى عليهما مرتبا ضخما مدة اقامتهما . « .. وكان ابو الحسن المبارك بن سعيد البغدادي ، قد ورد علينا تاجرا سنة (483 هـ) فأنزله المعتمد بن عباد عندنا ، فاكرمه ابي غايـة الاكرام ، وعقد عليه مجلسا في السماع ، وتخلى لـه عن مناظرته في مسجده ، وصدر الرجل عنا راضيا ، فبينا نحن نمشي ، بعد ورودنا مدينة السلام بأيـام ثلاثل ، في سوق الريحانين بها ، اذ لقينا ابو الحسن ابن الخشاب (28) المذكور ، فتعانقنا ، ودعا لنـا .. فمشى الى الوزير بن جهير ، فأعلمه بنا ، فدخلنـا الديوان الى الوزير ، ورفع الى الامير أمرنا ، فأمـر بتكرمتنا وادنائنا .. » (29)

الرسائل المتبادلة بين الجانبين :

1 ــ رفع ابن العربي ووالده ، الى الخليفـة المستظهر بالله ، خطابا مطولا ، يذكرون فيه ما يقوم به الامير يوسف بن تاشفين ، من دعوة للخلافـة الاسلامية ، واشاعة العدل بين الرعية ، وجهاد في اعداد الاسلام وهو في معرض طلب التقليد له بذلك ، « .. ولما وصلنا مدينة السلام ، ولقينا فيها كبـراء الاسلام ، ــ كتب ابي ــ برد الله مثواه ــ الى الخليفة كتابا في درج طويل ، على صفة ادراجهـم (30) في مخاطباتهم (31) .. »

وقد افتتحه ــ على عادتهم ــ بالدعاء والتمجيد لمقام الخلافة ، ويذكر في هذا الصدد ، الظروف التي جعلته يتجسم الصعاب هو وابنه ، في سبيل واجـب البيعة لامير المومنين ، وهو امر محتم على كل مسلم.

2 ــ ومن هنا يتخلص الى الاشادة بأعمال الامير يوسف بن تاشفين وما يقوم به في الغرب الاسلامي ، من دعوة للخلافة العباسية ، وقد حارب من توقف عنها منذ ولايته ، ــ الى ان صار كل من تحته ــ على سمتها ــ في طاعة الخليفة ، وهو يخطب له علـى اكثر من الفين وخمسمائة منبر ، ووقائعه وحروبـه اشهر من ان تذكر ، وقد استرجع كثير من معاقـل الاسلام ، وعادت الى المسلمين حرمتهم ، وعـز سلطانهم ، وجيوشه ــ الى ذلك العهد ــ ستـون الف فارس وهي على اتم استعداد ، تصول وتجول ، ولا يعرف انه انتكست له راية !

وقد خص الله هذا الامير بمحاسن ، منهـا : الدين المتين ، والعدل المستبين ، والارتباط بحماية ثغور المسلمين ، وهو ممن يقسم بالسوية ، ويعدل في الرعية ، لا يعرف على احد من المسلمين رسم مكس ، والسبل آمنة ، ونقوده من الزيف سليمة ، مطـرزة باسم الخلافة الاسلامية . « .. وكان امله مواصلـة الخدمة ، والتشرف بانهاء أعماله ، والاعلام بمناقـب احواله وافعاله ، الا ان الحائل المانع دون ذلك » (32) وهو اعتذار عن الامير ، فيما عسى أن يكون وقع فيه من تقصير ، وايؤكد أن الامير لا زال على حالـه ، مستمرا في أعماله ، دائبا في جهاده ، ذكر ان أحـد قضاة مملكته ، ــ ويعرف بابي القاسم ــ حضر الى هذه الديار عامه ، (لعله 490 هـ) ــ وأكد ما ذكرنا ، وأشاع بمكة ، فضائل هذا الامير ، وجهاده المستمر ، وان الروم اصبحوا على شفا جرف من تضييقه عليهم ، وحصاره لهم ...

---

26) انظر دعوة الحق ، العدد الخامس ، ص 165
27) انظر في ترجمته ــ النجوم الزاهرة 166/5
28) انظر حياته : الصلة ض 599
29) قانون التاويل (144 ــ أ)
30) يعني بهذا ان المكاتبات الرسمية في المشرق ، تختلف في كثير من صورها عن مكاتبات اهل المغرب ، وقد توسع القلقشندي في هذا الموضـــوع ، واوضح أساليب كل ، وقال ان أول من كتب في هذا من امراء المغرب يوسف بن تاشفين انظر صبح الاعشى 87/8 .
31) انظر مجوع الخزانة العامة بالرباط (1020)
32) انظر مجموع الخزانة العامة بالرباط (1020)

ج — وفى نهاية الخطاب ، يستأذن الخليفـــة فى صدوره هو وابنه الى الوطن ، بعد أن ظلا فى كنف الخلافة — مدة عامين — مشمولين بالبر والاحسان ، والرعاية والاكرام .

د — ويستصدر امر الخليفة الى الامير ، فى أن يرعى جانبهما ، « ... ويظهر مزية وفادتهما .. ويقربهما اليه ، ويثبت رسميهما فى ديوانه ، .. ويبقى ذلك لهما ولعقبهما مؤبدا ، وعلى مر الايام مؤكدا ومخلدا » (33)

2 — مرسوم الخليفـــة :

وصدر جواب الخليفة على ظهر نفس المـــدرج بتاريخ رجب سنة (491 هـ) ، وسطوره — كما يقول ابن العربي سبعة وثلاثون سطرا . يتضمن :

أ — التقليد الرسمي للامير ابـــن تاشفـــين : « .. فخرجت المراسيم الشريفة ، الى ذلك الوالي الذي أضحى بحبل الاخلاص معتصما ، ولشرطه ملتزما ، والى اداء فروضه مسابقا ، وظل فعله فيما هو بصدده للتوفيق مساوقا ، لا ريبة فى اعتقاده ، ولا شـــك فى تقلده فى الولاء طويل نجاده ، اذ كان وهو من غـــذا بالدين تمسكه ، وفى الديانة عنه مسلكه — حقيقا بأن يستتب صلاح النظام على يده ، ويستنشق من يومه ، حسن العقبي فى غده ، وافضل ما نحاه ، وعليـــه فى الاجتهاد دار رحاه ، — جهاد من يليه من الكفـــار ، واتيان ما يقضي عليهم من الاجتياح والبوار ، اتباعا لقوله تعالى « قاتلوا الذين يلونكم من الكفار » . فهذا هو الواجب اعتماده ، الذي يقوم به من الشرع عماده، ويؤلف شمل من فى جملته من الاجناد ، على الطاعـــة الامامية ، التي هي العروة الوثقى ، والذخر الاوفى

ب — اصدار الامر السامي الى الامير ، بأن يختص حاملي الخطاب — ابن العربي وولده — بالانعـــام ، « .. الذي يضفو عليهما برده ، ويصفو لهما ورده ، ليظهر عليهما من المهاجرة جميل الاثر .. فليقابل الامر الاسنى فى ذلك — بالاستقبال — ان شاء الله .. » (34)

3 — مرســوم آخـر :

وأصدر الوزير الاول مرسوما آخر باسم الخليفة، وهو مطول يعرض بالتفصيل ، لكل النقاط التي جاءت فى الخطاب المرفوع الى مقام الخلافة الآنف الذكر .

وينتهي بالعبارات التالية :

« .. فليعتمد الامير — أطال الله بقاءه — مصالح امورهما ، وليتوخ ما تعود باستقامة شؤونهمـــا ، وليبوئهما حسن موقع النيابة عنه ، وليبدلهما صفحة الاقبال منه .. وليطالع باخباره ، وما يحتاج الى علم من جهته — ان شاء الله . وكتب فى ثان عشر رجـــب عام (491 هـ) (35) .

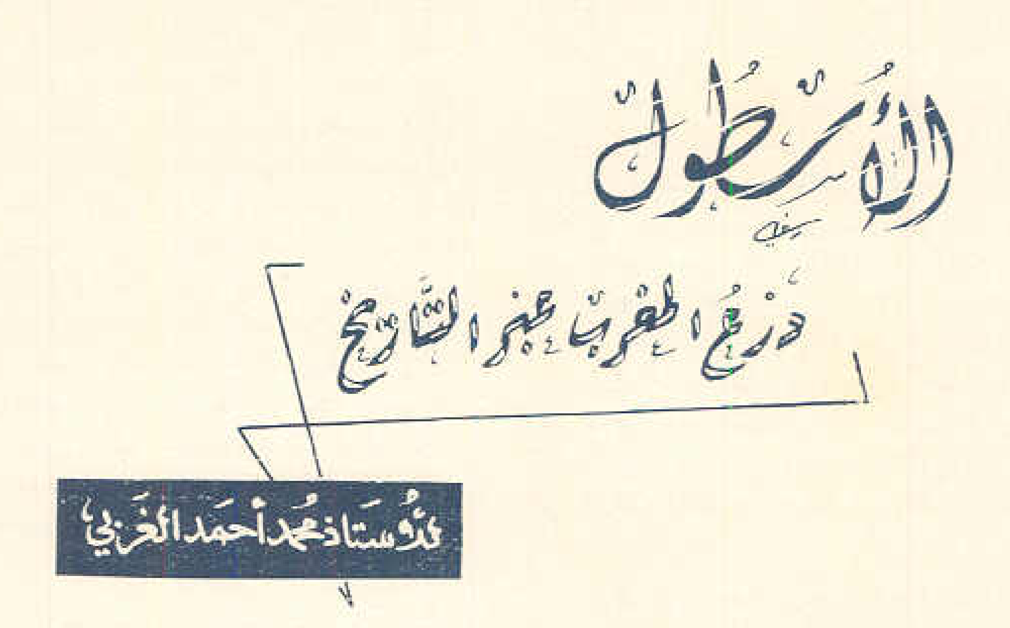
ومع كل هذا ، فلا يوحى راي علماء الاسلام فى ذلك ، وهم اولو الامر ، ولا يستقيم امر فى دولـــة المرابطين ، بدونهم ، فكلف على العالمين الوافدين ، ان يتصلا بشيوخ الاسلام ، ويلتمســا منهم ، اصدار فتاوي فى ذلك .

فالى ان نلتقي مع هؤلاء الشيوخ ، وقد قـــال اخوانهم فى الغرب الاسلامي كلمتهم (36) .

تطوان : سعيد أعراب

---

33) المصدر السابق .
34) المصدر السابق .
35) المصدر السابق
36) انظر المعيار للونشريســي — الجامـــع ،والنوازل الكبرى — للوزاني 11 \ 271 — 277 .



تلقي الدراسات التاريخية الحديثة ، وخاصة ما كتبه الهلنديون والانجليز او دونه بعض القادة السياسيين كرئيس حكومة بريطانيا المتوفى ونستون تشرشل ، اضواء كاشفة عن انتقال السيطرة على البحار عبر التاريخ من دولة لاخرى ، وتوزع القوة البحرية وانتشارها او انحصارها . ومن هذه الدراسات مجتمعة نستطيع ان ندرك القيمة التى كان يتمتع بها اسطول بلادنا خلال اربعة قرون تبتديء من القرن الحادي عشر وتنتهي فى القرن الرابع عشر .

وحسب الجداول واللوائح الموضوعة للمقارنة بين الاساطيل من حيث العدد والكفاءة الحربية وقوة التسلح ونطاق بناء القطع البحرية وتعميرها وتجهيزها بالمحاربين البحريين وترميمها نجد التصنيف الآتي الذى يحتفظ للمغرب بحيز مرموق فى مجال العظمة البحرية .

ان اول دولة بحرية تستحق هذه التسمية وتنطبق عليها الشروط التى حددها الباحثون هي دولة الفنيقيين التى قامت فى سواحل لبنان الجنوبية . واذا كانت تعتمد على غابات الارز اللبنانية والصيادين الذين تحولوا الى بحارة اشداء ، فانها كانت مضايقة اشد الضيق من الدول التى كانت آنذاك فيما بين النهرين وبلاد الشام ، الامر الذى ادى اخيرا الى هجرة الفنيقيين الى المغرب حيث اسسوا دولة عظمى وصلت بفتوحاتها البرية والبحرية الى فرنسا وايطاليا وهي دولة القرطاجيين .

والدولة البحرية الثانية هي الامبراطورية الرومانية التى قامت كالسابقة فى حوض البحر الابيض المتوسط ، وكانت تتحرك باتجاه معاكس للفنيقيين اي من الغرب الى الشرق . ولعل من ابرز الجوانب التى ساهمت فى عظمة هذه الدولة توفرها على بلاد الشمال الافريقي الغنية بالاخشاب والمراسي الطبيعية الصالحة للرسو والصيانة وعلى المحاربين الذين فضلوا العمل تحت الراية الرومانية مقابل تجنيب بلادهم شرور الحكم المباشر القائم على السخرة والاسترقاق .

وفى هذا العهد كما فى العهد السابق لم يخل المغرب من وجود قوة بحرية خاصة به ، ففى عهد النوميديين حيث كان المغرب ينعم بالقوة والهدوء والمستوى الحضاري الرفيع ، امتدت عناية الملك جوبا الثاني عاهل المغرب والجزائر ، وسيد ليبيا وبطلها ورمز عظمتها الى الموانيء المغربية ، وكنت ترى الحدادين والبنائين يختلطون مع الجنود والضباط فى مد الحواجز وازالة الرمال والصخور وتعميق مجاري الانهار والمداخل الطبيعية ، وبناء السفن الشراعية الحربية والتجارية التى كانت تحمل فى مقدمتها صورة العقاب ، وتزهو بالشراع الملون بلون راية المغرب النوميدية .

والدولة البحرية الثالثة هي الامبراطورية البزنطية التي خلفت الرومان ، واخذت منهم ممتلكاتهم في مصر والشمال الافريقي والساحل السوري وبلاد البلقان . ولم يكن البزنطيون سادة البحار دون منازع ففي عهدهم ظهرت الامبراطورية الاسلامية . وهذه الاخيرة وان كانت تعتمد الاعتماد المطلق على جيوشها البرية وتحصيناتها وفرسانها الخفيفي الحركة فانها منذ وقت مبكر (اي في عهد الخليفة الاموي الاول معاوية) ادركت فوائد العمليات البحرية لا في حماية الامبراطورية العربية ، بل في كسر شوكة اعدائها الروم البزنطيين سادة البحر في ذلك الحين . واول عملية بحرية قام بها العرب كانت ضد عاصمة البزنطيين نفسها ولم يكتب لها النجاح لموقع القسطنطينية الذى لا يضاهيه موقع اية مدينة اخرى .

وفي هذه الاثناء ، وبعد نصف قرن من هذه الحادثة ظهرت قوة بحرية منافسة جديدة ، تلك هي القوة البحرية المروانية بالاندلس . ومن الطبيعي - بالنظر للدور التاريخي المعروف الذى لعبه المغرب في فتح الاندلس - ان تكون مساهمة بلادنا في هذه القوة مساهمة لا يمكن تجاهلها . ذلك ان اغلب سكان السواحل الاندلسية في العهد الاموي كانوا من البربر القادمين من المغرب ، ولهذا فانهم لم يكونوا في عداد البحارة الى جانب المتطوعين الاجانب بل كانوا في طليعة بناة السفن الحربية ، وكانوا المدافعين بدون منازع عن ثغور هذه الدولة العربية التي قامت جنوب الممالك المسيحية مهددة اياها في كل وقت وحين .

واذا كان مجال كهذا لا يسمح لنا الا باعطاء الخطوط العريضة والمعلومات العامة والمركزة ، فان الحرص على ابراز مكانة المغرب والمغاربة في ميدان العمليات البحرية يجعلنا لا نغفل دور المجاهدين البربر في فتح جزر ميورقة ، والاغارة على جنوب فرنسا . وقد ساهم ظهور العبديين بتونس في قلب التوازن البحري بحوض البحر الابيض المتوسط . وفيما بين تلاشي القوة البحرية البزنطية وظهور الدول الاوروبية شمال اسبانيا ، كانت الاساطيل المغربية والاندلسية تحتل المقام الاول في عالم ذلك العصر . فمن ناحية العدد كانت تجوب البحار 200 قطعة بحرية مزودة بعدة الحرب وآلات الحصار والمحاربين والاقوات . وبلغ عدد البحارة نحو 2500 رجل عدا الصناع واصحاب الصيانة والاطار الاداري والقيادة.

واغلب قطع الاسطول كانت تتخذ مراسيها في شبه جزيرة ايبريا وجزر البليار وجنوب صقلية وسبتة .

والقوة البحرية الرابعة التي صنفت بشكل واضح في لوائح التفوق البحري خلال احقاب التاريخ تمثلت في دولتي المرابطين والموحدين والفترة الاولى للدولة المرينية بالمغرب . وقد امتد هذا التفوق من سنة 1060 الى 1350 للميلاد اي مدة 400 عام تقريبا . واذا كنا سنخصص شرحا ضافيا لهذه الفترة المرموقة من تاريخنا العسكري فيجب ان نشير هنا الى ان توفر المغرب على قوة بحرية على هذا المستوى كان حاسما في مواجهة الصليبيين ، وكبح جماح الدول الاوروبية التي طمحت الى تقويض المظهرين السياسي والديني للمسلمين في المشرق والمغرب .

وقد قال احد المؤرخين : « ان بلاد البربر كانت الصخرة التي تحطمت عليها آمال الصليبيين في القضاء على الاسلام » .

ومنذ القرن الخامس عشر تبرز دول اوربية باساطيلها الحديثة ومدافعها المتحركة وقلاعها الحصينة لتحتل بها قصب السبق ، وتاخذ المكان الاول في التقييمات البحرية .

فهناك اسبانيا التي تحولت فجاة الى سيدة مطلقة للمحيط الاطلسي والبحر الابيض المتوسط بما ورثته من قطع بحرية عربية وحصون بحرية قوية ومدافع تركها بنو الاحمر وبنو النصر ، وعلى ظهر تلك الاساطيل حمل المستكشفون طلائع المغامرين والمجرمين الى العالم الجديد ، وقصدوا الى بيت المقدس حيث انشأوا الدويلات المسيحية في فلسطين وضفاف نهر اليرموك .

وتبرز القوة البحرية لدولة البرتغال البحرية ، وتتبعها فرنسا باسطول بدا متواضعا وما عتمت الظروف السياسية في اوربا ان قفزت به الى المقدمة ، وتاتي بعد ذلك انجلترا في القرن الثامن عشر لتصبح اسد البحر وسيدة المحيطات ، بعد انتصارها على الاسطول الاسباني في « الطرف الاغر » ومضايقتها للبحرية الاسبانية والفرنسية على امتداد السواحل الاوربية ولمدة قرن ونصف . وبعد الحرب العالمية الثانية تاخذ الولايات المتحدة الامريكية زمام السيادة البحرية لتلحق بها الجمهوريات السوفياتية بقواتها الصاروخية والنووية الحديثة في الاعوام المتاخرة .

ان هذا التقييم الهام والطريف فى نفس الوقت يسمح لنا بان نقرر امرا على جانب من الاهمية على المستوى التاريخي ، ذلك انه بقطع النظر عن التطور التقني والاختراعات التى عرفتها القرون المتاخرة ، فان مما يبعث على الفخر والاعتزاز كون السيادة البحرية اختصت بها بلادنا لاطول فترة فى تاريخ البحرية ، ولا نجد منافسا فى هذا المجال سوى الامبراطورية الرومانية التى يجب الا ننسى انها كانت مطوقة بدول قوية تمتلك أساطيل معادية ، وفى المقدمة كانت مصر الفرعونية . هذا بينما كان الاسطول المرابطي لا يجد عمليا أية منافسة تذكر . ورغم ظهور قوة الصليبيين فان البرتغال والاسبان والفرنسيين كانوا لا يقامرون بمجابهة القوة الوحدية التى استنجد بها المصريون فى ذلك الحين .

الرباط ـ محمد احمد الغربي

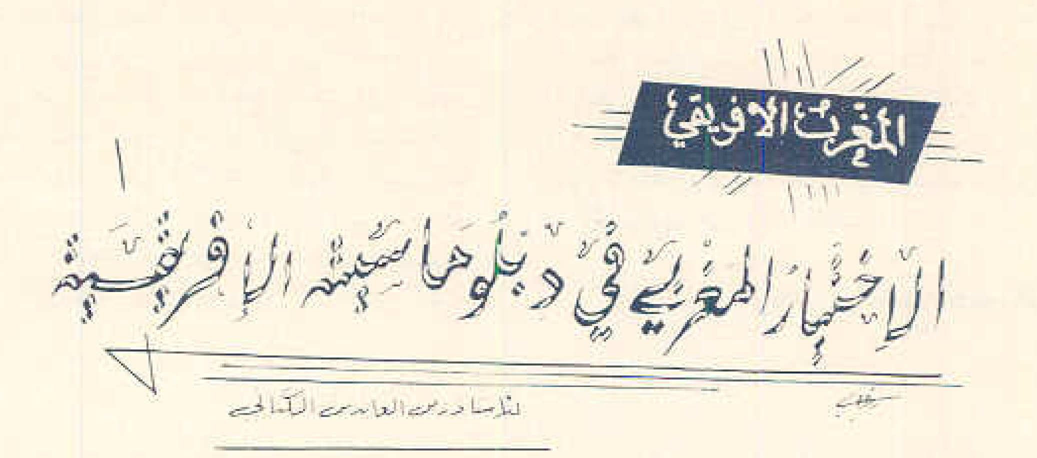
خلتان

قال عثمان بن عفان رضي الله عنه :
خلتان ليس معهما غربة : حسن الادب وتجنب الريب .

— ❋ —

يقين ... وشك ...

قال علي كرم الله وجهه لرجل حروري :
نوم على يقين خير من صلاة على شك .



- 4 -

قد يلمس البعض بان العلاقات الافريقية لدول القارة قد اصابها نوع من الفتور ، ولكن السبب الحقيقي ان منظمة الوحدة الافريقية او دول هذه المنظمة بأدق تعبير قد استفادوا كثيرا .. فانطلقوا الآن يعملون فى المجال الافريقي تحت عاملين اساسيين هما :

اولا : استمرار منظمة الوحدة الافريقية والمحافظة على وحدة دولها ايمانا منهم بان الاستعمار الجديد بكل صوره واشكاله يعمل على عزل الشعوب الافريقية وبث التفرقة بينها للعودة الى سياسته الاستعمارية ، وتنفيذ مخططاته الاستغلالية الاحتكارية .

ثانيا : عملت كل الدول داخل منظمة الوحدة الافريقية على ابعاد اثارة المشاكل السياسية بين الدول الاعضاء ، وتشجيع التعاون الاقتصادي والثقافي والاجتماعي والفني ، وبذلك تمكنت المنظمة الافريقية من الاستمرار على كيانها والمحافظة وجودها ، وتحقيق امل شعوبها نحو الوحدة والتقدم والرفاهية.

ولو ان الظروف الدقيقة والعنيفة المحيطة بافريقية سواء بالنسبة للحياة التى تعيشها القارة السمراء نتيجة لظروف الانتقال التى تقطعها ، او بالنسبة للمشاكل المعلقة التى لا زالت تقف فى وجه الانطلاق الافريقي كمشاكل الاستعمار ، ومشكلة التمييز العنصري ، ومشكلة الحدود ، ومشكلة جنوب افريقية بالخصوص ، يضاف اليها الغزو الجديد الذى عرفته غينية بعد انتهاء مهزلة الانفصال فى نيجيرية .. وما يعانيه المسلمون بعدد من جهاتها وجزرها . مما سنعود اليه من بعد .

واذا كانت هذه المشاكل كلها تقف فى وجه افريقية فى كثير من الخطوات التى تخطوها منطلقة فانها ايضا تكون مدعاة للقاءات التى تعقدها افريقية بين الحين والحين ..

وابرز منبر تظهر فيه هذه المواقف داخل منظمة الوحدة الافريقية ..

واذا كانت كل المواقف التى اتخذها المغرب داخل منظمة الوحدة الافريقية تتميز بالتبصر والحكمة وبعد النظر ، مما اضفى عليه تقديرا من سائر الاعضاء ، تحدوه فى هذه المواقف الرغبة فى انجاز هذه المنظمة وتحقيق مراميها القريبة والبعيدة وبلورة اهدافها فى الاسلوب المغربي سواء على صعيد العلائق الثنائية ، او على الصعيد الدولي ..

وهكذا نجد ان المغرب عند اول اجتماع لرؤساء الدول والحكومات الافريقية في اثيوبيا (اديس ابابا) في مايو 1963 الذي اسفر عنه ميلاد « منظمة الوحدة الافريقية » كان للمغرب ايضا دور فعال في تحضير الميثاق وفي بلورة اهداف هذه المنظمة الفتية .

وهكذا نجد ان المغرب ايمانا منه بضرورة بلورة اهداف المنظمة الجديدة ، وتركيز وجودها في العمل الافريقي ساهم منذ ميلاد هذه المنظمة في عدد من الاجتماعات والمؤتمرات المتعلقة بي افريقية مشاركة تميزت باسلوبه الخاص وبنهجه المستقيم ، وهكذا نجد ان المغرب ايمانا منه بضرورة بلورة اهداف المنظمة الجديدة ، وتركيز وجودها في العمل الافريقي ساهم منذ ميلاد هذه المنظمة في عدد من المنظمات والاجتماعات المتعلقة بافريقية . ساهم :

ـ الاجتماع الاول لمجلس وزراء خارجية المنظمة في دكار ما بين 2 و 11 غشت 1963 .

ـ الاجتماع الاستثنائي لمجلس الوزراء في اديس ابابا ما بين 15 ـ 18 نوفمبر 1963 ، بناء على قرار مؤتمر باماكو الخاص بدراسة النزاع المغربي الجزائري ـ 29 ـ 30 اكتوبر 1963 ، وقد اسفر هذا الاجتماع عن تكوين لجنة خاصة للتحكيم في هذا النزاع عهد اليها :

ا ـ بتحديد مسؤولية المعتدي

ب ـ ودراسة مشكل الحدود ، ووضع اقتراحات تقدم للطرفين المتنازعين للوصول الى تسوية نهائية لنزاعهما .

ـ الاجتماع الاول للجنة الاقتصادية والاجتماعية التابعة لمنظمة الوحدة الافريقية ، الذي عقد في نيامي عاصمة النيجر 9 ـ 13 ديسمبر 1963 .

ـ الاجتماع الاستثنائي لمجلس الوزراء في دار السلام من 12 ـ 15 فبراير 1964 .

ـ الاجتماع العادي لمجلس الوزراء في ليجوس عاصمة نيجيرية 24 ـ 29 فبراير 1964 .

ـ الاجتماع العادي لمجلس الوزراء في اديس ابابا يولية 1964 .

ـ الاجتماع العادي لمجلس الوزراء في القاهرة يوليه 1964 (1)

ـ مؤتمر القمة الافريقي الاول في القاهرة في يوليه سنة 1964 .

ـ الاجتماع الثاني للجنة الاقتصادية والاجتماعية في القاهرة ما بين 16 ـ 22 يناير 1965 .

ـ الاجتماع العادي لمجلس الوزراء في نيروبي عاصمة كينيا 26 فبراير 1965 .

ـ اجتماع تمهيدي لرؤساء مصالح امن دول المنظمة في اكرا 12 ابريل 1965

ـ الاجتماع الاستثنائي لمجلس الوزراء في ليجوس 10 ـ 30 يونيه 1965 بناء على دعوة من حكومة نيجيريا الفيدرالية لتسوية النزاع القائم بين بعض الدول الافريقية الاعضاء في « المنظمة المشتركة الافريقية الملغاشية » وبين رئيس جمهورية غانا املا في الاتفاق على المشاركة في مؤتمر القمة الثاني في اكرا .

ـ الاجتماع العادي لمجلس الوزراء في اكرا ـ 12 اكتوبر 1965 تمهيدا لاجتماع القمة الثاني مؤتمر القمة الافريقي الثاني في اكرا 21 ـ 25 اكتوبر 1965.

وقد دلت الكلمة التي القاها ممثل جلالة الملك المعظم السيد احمد الطيب بنهيمة على العناية التي يوليها جلالته لهذه المنظمة وكانت المواقف التي عبر عنها الوفد المغربي برئاسة السيد وزير الخارجية منسجمة تمام الانسجام مع السياسة المغربية الخارجية مما اضفى عليها احتراما وتقديرا ، فاختير المغرب عضوا في عدة لجان ، وانتخب عضوا في لجنة التحكيم .

ـ الاجتماع غير العادي لمجلس الوزراء في 3 دسمبر 1965 في اديس ابابا (2) عقد على اثر اعلان حكومة سلسبوري المتمردة استقلال روديسيا عن طرف واحد يوم 11 ـ 12 ـ 1965 دون ان يعبا بالاغلبية الساحقة من سكانها الافريقيين .. واتخذت في هذا

(1) انظر كتاب « الديبلوماسية المغربية في عشر سنوات » صفحة 72 .
(2) المصدر السابق ص 73

الاجتماع عدة قرارات تتعلق بالجوانب المختلفة لمشكلة السياسية ، والاقتصادية ، والتجارية والعسكرية ، وكان الوفد المغربي — برئاسة معالي الوزير — يعمل على ان يكون لقرارات هذا الاجتماع مفعولها واثرها في حل المشكلة فلم يكن — من رايه اتخاذ شعارات للاستهلاك فقط ، بل يجب تناول المشكلة من جوانبها المختلفة بموضوعية حتى يتسنى للمنظمة ان تنقذ شعب روديسيا الجنوبية وتهزم المتمردين البيض فيها .

وابانت الايام القليلة ، التي اعقبت هذا المؤتمر ، عن صدق وبعد نظر المغرب حينما ظهرت ردود مختلفة لقرار قطع العلاقات الديبلوماسية مع بريطانيا . فلم ينفذ هذا القرار الا تسع دول من 36 دولة الاعضاء في المنظمة ، بينما سعى بعضها الى عقد اجتماع استثنائي من جديد على مستوى مجلس المنظمة ، او على مستوى القمة ، وسعى البعض الآخر في البحث عن وسيلة اخرى لحل هذه المشكلة خارج المنظمة ، مثل الدعوة التي وجهتها نيجيريا الى عقد مؤتمر استثنائي لدول منظمة الكومنويلث لهذه الغاية نفسها .

وقد نفذ المغرب كل القرارات التي اتخذها المؤتمر الاستثنائي لمجلس الوزراء باستثناء قرار قطع العلاقة الديبلوماسية الذي اتخذ بالاجماع ، ويرى المغرب ان يكون تنفيذه ايضا بالاجماع .

بالاضافة الى هذه القائمة للاجتماعات العادية وغير العادية التي عقدتها المنظمة شارك المغرب في اجتماعات اخرى للجان الآتية :

1 — لجنة الصحة والوقاية والتغذية .
2 — مجلس الدفاع
3 — اللجنة العلمية والتقنية والبحث
4 — لجنة المصالحة و التحكيم
5 — لجنة التربية و الثقافة
6 — لجنة تنسيق تحرير افريقيا
7 — لجنة القانونيين الافريقيين
8 — لجنة الميزانية .

ثم ان المغرب ينظر الى (منظمة الوحدة الافريقية) كمحط آمال للشعوب الافريقية ولذا فهو يرى انها المرجع الوحيد لحل مشاكلها ، ولذلك آثر ان يعرض (مثلا) مشكلة النزاع بينه وبين الجزائر عليها وحدها تقديرا لها ، وثقة في فعاليتها وصلاحيتها (3) .

وهنا نتوقف قليلا لنقلب عمق الاعمال التي سارت فيها دول المنظمة الافريقية .. خصوصا وان ميثاقها يستهدف صيانة السلام والامن لافريقيا ، لتاكيد التضامن بين امميها ضد كل تحرك معاكس ، وللوصول بالمكتسبات التحررية الى حقيقة مستهدفة فنجد :

1) ان اعلان منظمة الوحدة الافريقية كان نقطة تحول كبرى في التاريخ الافريقي .

2) جاء ميثاق اديس ابابا انطلاقة مدروسة للكفاح التحرري لطريق الاستقلال الكامل لكل شعوب القارة فنال عدد كبير من الدول الافريقية الاستقلال ، واصبح عددها (41) دولة افريقية مستقلة عضوا في هذه المنظمة ، وما يحدث الآن في الدول التي لا زالت تعاني من الظلم الاستعماري ما هو الا رد فعل لقيام منظمة الوحدة الافريقية ومساندتها لكفاح تلك الشعوب ، يضاف الى ذلك زيادة نمو روح التضامن الافريقي على مختلف المستويات لمواجهة العديد من التحديات التي صادفت افريقية وهي اكبر مثال على نجاح منظمة الوحدة الافريقية ووقوفها في وجه تحديات الاستعمار ، وان رد فعل المنظمة السريع تجاه العدوان الاستعماري على غينية ، وعقدها لمؤتمر استثنائي عاجل في لاجوس خرجت منه قرارات ايجابية لخير مثل على هذا النجاح .

كما ان قيام التعاون البناء بين جميع دول المنظمة في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعلمية في نطاق المنظمة ليثبت لنا ان المنظمة قد سارت في طريق تحقيق اهدافها ولكن ورغم هذا التفاؤل فاننا نرى انه بالرغم من التقدم الهائل الذي احرزته حركة التحرير الوطني التي خاضتها الشعوب الافريقية ضد الاستعمار بكل اشكاله القديمة والجديدة في منتصف هذا القرن ، ورغم الانتصارات الهائلة التي حققها النضال الافريقي في هذه المدة فان افريقيا في الحقيقة لا زالت لم تتخلص تماما من ذلك الداء الخبيث الذي استقر في جسدها زهاء قرنين من الزمان يستحوذ على خيراتها

---

(3) نفس المصدر السابق ص : 74 و 75 باختصار .

ويقطع اوصالها ، فنجد ان الاستعمار لا زال قائما في ثلاثة صور .

اولا : لا زالت هناك جيوب ومراكز مستعمرة بكل ما في الكلمة من معنى في :

- انجــولا
- موزمبيــق
- غينيــا بيســاو
- زمبــابــوي
- وجنوب غرب افريقية
- وجنوب افريقية

ثانيـا : لا زال حكم الاقلية العنصريـة قائمـا بالرغم من الاستنكار الاسمي له في :

- روديسيـا
- جنوب غرب افريقية
- الجنوب الافريقي .

ثالثـا : حركات الاستعمار الجديد وهذا مـا يجعلنا نتأكد ونؤمن في « ان الاقاليم التي لا تــزال خاضعة للاستعمار في القارة خطرا يهدد استقــلال شعوبنا ومستقبلها لان الاستعمار ينتهج استراتيجية ترتكز على الاحتفاظ بقواعد عسكرية في مناطق مختلفة من العالم يستخدمها كنقط يثب منها للاعتداء علـى حريات الشعوب ويمارس منها ضغوطـه السياسيـة والعسكرية مهددا سيادة الدول الصغرى ويفرض عليها السياسات التي تتفق مع اهدافه ومراميه » .

وهذا التدخل يخفي وراءه ايضا عاملين آخريـن همـا :

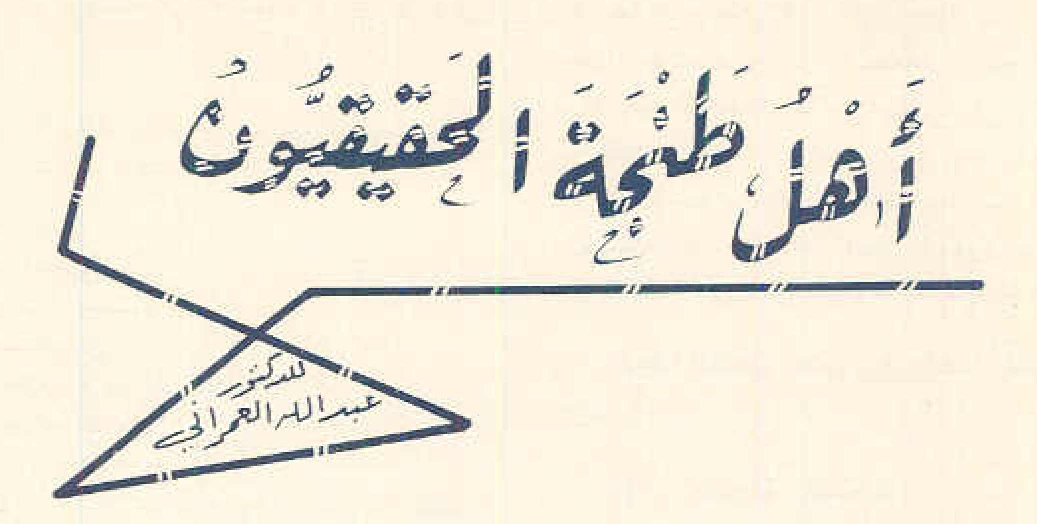
1) حمايـة الكنيســة .

2) محاولة تفتيت الوحـدة الاسلاميـة فـي مراكزها القوية . وهذه العوامل لا تثار بهذه الصـورة لاعتبارات ديبلوماسية ولو انها تكون في بعض الاحيان هي السبب المبـاشر في الانقضـاض الاستعمـاري القائم .

الرباط ـ زين العابدين الكتاني

الايمــان ...

سأل رجل الحسن البصري أمؤمن أنت ؟ فقال : ان كنت تريـد قول الله تعالى (ءامنا بالله وما انزل الينا) فنعم ، به نتناكح ، ونتوارث ونحقن الدماء ، وان كنت تريد قول الله عز وجل : (انما المؤمنــون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) ، فنسأل الله ان تكون منهم .



منذ بضع سنوات ، رافقت طلبتي في زيارة لمدينة طنجة ، واثناء جولتنا باحدى قاعات المتحف الاثري بالقصبة ، سمعت دليلا يقول : ان طنجة تعاقبت عليها الغزاة الفاتحون منذ القديم ، ولم تصر مدينة مغربية الا بعد الاستقلال سنة 1956 .

وكان هذا الكلام صدمة قوية لي ولكل من يعلم شيئا من تاريخ المغرب ، بل كان انفجارا عنيفا تطايرت شظاياه لتصيب أهم حقيقة تاريخية يعتز بها المغرب . وهي ان سكانه « امازيغ » اي احرار يابون الضيم ، ويانفون الخضوع والاستسلام . وقلت في نفسي : اهكذا يعلمون هؤلاء « الادلاء » القول ليشوهوا وجه الحقيقة ، وليروجوا بعض ما كان يسعى الاستعمار لترويجه بمختلف الوسائل ، حتى وسيلة البحث التاريخي المزعوم ؟ !

ويكفي أن تتصفح ـ مثالا على ذلك ـ كتابي شارل اندري جوليان ، وهنري تيراس ، لتتراقص امام عينيك وبين السطور ، مثل هذه الادعاءات المغرضة : ان بلاد شمال افريقية تبدو وكأنها قاصرة قصورا وراثيا عن التمتع باستقلالها ... ان الفروق كبيرة والاختلافات كثيرة جدا بين عنصري سكان المغرب : العرب والبربر ... ان تاريخ المغرب كله ازمات ... ان المغاربة لم يكونوا يوما ما أمة بمعنى الكلمة ... الخ .

وبالطبع لم أشا ان اترك «الدليل» على «نياته»، فتدخلت مشيرا الى أن معلوماته عن شخصية طنجة وعن تاريخها مغلوطة ، وان هذه المدينة كانت على الدوام وما زالت الى اليوم تكون جزءا لا يتجزأ من المغرب ، وان سكانها كانوا وما يزالون هم المغاربة اصحابها الشرعيين ، وان فترات اغتصابها من يد الشعب المغربي مالكها الحقيقي ، ليست الا فترات محدودة جدا لا تسوغ ـ البتة ـ نسبتها لغير اهلها ، وادعاءها للدخيل الاجنبي .

دعاني الى تذكر هذه الحادثة ما قرأته في جريدة España الصادرة بطنجة (عدد يوم الاثنين 14 يونيه 1971) في المقابلة التي اجراها مندوب الجريدة مع مفتش الآثار التاريخية بمدينة طنجة . ففي جواب هذا الاخير عن سؤال للصحفي يتعلق بالعناصر التي ثبت يقينا انها سكنت طنجة ، قال ما ترجمته : « الفينيقيون الذين ظهروا في طنجة حوالي سنة 1450 قبل الميلاد ، تقريبا في نفس الوقت مع الليبيين ، ثم بالتتابع : القرطاجنيون الرومان ، الوندال ، العرب ، البرتغال ، الانكليز ، والاسبان الخ » .

ولئلا ندخل في تفاصيل كثيرة قد لا يتسع لها صدر الزمان والمكان ، اريد فقط ان أؤكد على هذه الحقائق التالية :

1 ـ ان طنجة قطعة من تراب المغرب الاقصى، او بلاد البربر القديمة ، وان سكانها قبل الاسلام هم البربر ـ او جزء من البربر ان شئتم الدقة ـ .

2 ـ بعد الفتح العربي واقتناع البربر بمبادىء الاسلام ، واقبالهم على اعتناقها والعمل على نشرها ، امتزج العرب الوافدون بأهل البلاد الاصليين ، وكونوا معا العنصر الاساسي للسكان ، وهو العنصر المغربي .

3 ـ نظرا لموقع طنجة الجغرافي والاستراتيجي المتاز ، ولقيامها بدور مهم في فتح شبه جزيرة ايبريا سنة 92 هـ (711 م) ، تعرضت في بداية العصور الحديثة لرد فعل عنيف ، فاحتلها البرتقال سنة 875 هـ (1471 م) .

4 ـ ولما تزوج ملك الانجليز شارل الثاني سنة 1662 م بالاميرة البرتقالية كاترين براغنشا منحت طنجة للانجليز ، ضمن شوار العروس ! ولكن مضايقات الجيش المغربي للمحلتين الجدد بقيادة علي بن عبد الله الحمامي الريفي امير جيوش مولاي اسماعيل بالشمال، اقضت مضاجع الانجليز ، فانسحبوا منها سنة 1095 هـ (1684 م) .

5 ـ ظلت طنجة مغربية لحما وعظما ودما الى ان فرضت الحماية على المغرب سنة 1331 هـ (1912)، واثر ذلك ، اى سنة 1342 هـ (1923) ، ورغبة في ترضية بعض الدول الاوربية الاخرى التي كادت « تخرج من المولد بلا حمص » ـ كما يقول المثل المصري ـ فرض على طنجة نظام دولي لم يلبث أن تبخر بعيد الاستقلال بقليل ، وذلك بعد اتفاقية دولية تم ابرامها في ربيع الاول 1376 هـ (اكتوبر 1956) ، حينئذ آلت المدينة الى ملكية اصحابها الشرعيين لتكون مع مجموع التراب الوطني المغربي مملكة المغرب المستقلة الحديثة ، التي خلفت مملكة المغرب التي حافظت على استقلالها قرونا متتابعة متطاولة ، وظلت صامدة في وجه التكالب الاوربي ، حتى كانت آخر معقل من معاقل العروبة يضطر لالقاء السلاح مؤقتا ، ولكنه لم يلبث ـ بعد أن اعيته كل الوسائل السليمة ـ ان شهره مرة اخرى ليرد استقلاله الوطني وسيادته الكاملة . وقد تم له ما اراد بحول الله وقوته ، وبفضل كفاح ابنائه المخلصين .

الدكتور عبد الله العمراني

عليك بذوي الاحساب ..

كتب عمر بن عبد العزيز الى الحسن البصري : اعنـي بأصحابك ، فأجابه الحسن : من كان من اصحابي يريد الدنيا فلا حاجة لك فيه ، ومن كان منهم يريد الآخرة، فلا حاجة له فيك ، ولكن عليك بذوي الاحساب ، فانهم ان لم يتقوا استحيوا وان لم يستحيوا تكرموا .

معرض الكتب :



الثقافة والتنمية في سورية وفي البلاد المتأخرة *

بقلم الدكتور رزق الله هيلان
تلخيص وتحليل الأستاذ قاسم الزهيري

اثرت المكتبة العربية بصدور هذه الرسالة التي نال بها صاحبها الدكتورة في العلوم الاقتصادية من جامعة جنيف . وهي تعالج — كما يشير اليه عنوانها — موضوعا يعتبر في طليعة اهتمامات رجال الفكر والسياسة والمنظمات الدولية منذ نهاية الحرب العظمى الثانية وبروز العالم الثالث على مسرح السياسة الدولية . وسيظل هذا الموضوع مستأثرا بالاهتمام ما دامت الفجوة متباعدة بين الدول المتصنعة والاقطار المتخلفة تلك الفجوة التي تزيد اتساعا مع مرور الايام .

وطرافة هذه الرسالة لا تاتيها وحسب من معالجة هذا الموضوع — فما اكثر ما كتب عنه الباحثون — بل بالاخص من المنهاج الذي اتبعه المؤلف في بحثه . فلقد درس قضية التنمية مسلطا عليها اضواء كاشفة من خلال ما وصلت اليه العلوم الانسانية والاجتماعية من احدث النظريات . ولم يكتف — شان اصحاب المذاهب — باخضاع الحقيقة لمسلمات عقائدية ، بل عرضها على مجهر البحث العلمي الصرف . فاثبت وحلل وانتقد واستبعد من تلك النظريات ما وصل اليه مجهوده في بحث قضية تنمية البلاد المتاخرة مبديا في جل الاحيان آراء طريفة . على هذا المنهاج سار في معالجة اسباب تخلف البلاد المتاخرة وتحليل القوى التي لعبت الدور الاساسي في أجهزتها من الداخل والخارج فخلقت المناخ الذي عشش فيه التخلف . وعنده ان التخلف ليس رهنا بزمان أو مكان ، بل هو سلسلة متصلة الحلقات عبر اجيال ، تفاعلت على ايجاده قوى داخلية واخرى خارجية . وبعد ذلك يشير المؤلف الى الطرق الكفيلة بمحو هذا التخلف ، مقترحا اجرا الحلول واكثرها فاعلية .

لقد جعل المؤلفسوريا محورا تدور عليها رسالته في معالجة قضية التخلف عند عرض هذه القضية ومناقشتها بصفة موضوعية . فجاءت رسالته من جهة ، تحليلا شاملا للاسباب التي ادت الى الوضع القائم الآن في سوريا ، بحيث تقربه الى الافهام ، ومن جهة اخرى، عبرة للدول المتخلفة التي هي في وضع شبيه بوضع الشام .

يضاف الى هذا وذاك معلومات غزيرة عن غابر سوريا وحاضرها في شتى المجالات وعن المحيط الاقليمي والدولي الذي اكتنفها عبر القرون فادى بها الى ما هي عليه ، وعرض شامل لاحدث النظريات في العلوم الاجتماعية المستخلصة من مراجع وافرة تولاها الكاتب بالبحث والنقاش .

* الرسالة صدرت باللغة الفرنسية بعنوان: Culture et développement en Syrie et dans les pays retardés في دار النشر بباريس Editions Anthropos وقد قدم الرسالة الاستاذ الشهير ماكسيم رودنسون . وتقع الرسالة في 387 صفحة .

لقد حبب الينا ان نلخص هذه الرسالة القيمة في الصفحات الآتية للفت النظر اليها مؤملين ان تكون موضوع تأمل الباحثين من المواطنين . ووفاء للتسلسل الفكري الذي أراده الباحث ، سنلخص رسالته كما ساقها هو ؛ منتقلين من الحديث عن سوريا الى الافكار العامة عن التخلف والاقطار المتخلفة او العكس ، متوخين الدقة في الاداء جهد المستطاع ، ومعربين احيانا بعض الفقرات الاساسية . وبديهي ان دورنا ينحصر في هذا النطاق : نطاق تقريب هذا الاثر الى القراء تعميما للفائدة . تاركين للنابهين منهم تأمله وتناوله بالبحث .

ولا يفوتنا ان ننبه الى ان هذا التلخيص لا يعطي سوى ضوء باهت عن هذه الرسالة القيمة مهيبين بالقراء ان يطلعوا عليها برمتها .

— * —

ان التخلف ناتج عن ظروف تاريخية يجب على التحليل العلمي ان يوضحها .

والبلاد التي تعاني منه يجب أن تكسر الدائرة المفرغة ، دائرة التأخر التي تطوقها ، وتشرع في نهج تنمية حثيثة تتيح لها تدارك تأخرها للاسهام فعلا في صنع حضارة العصر .

والتنمية الحثيثة يمكن تحديد معناها بأنها سلسلة منجزات شاملة طويلة المدى ، تقوم بأعبائها ستراتيجية واعية ترمي الى تغيير متواز لمختلف أجهزة المجتمع ، وتتيح لهذا المجتمع ان يستعمل موارده البشرية والمادية على احسن الوجوه ، غايته الأساسية دائما ارضاء الحاجات المتزايدة للمجموعة الوطنية ولكل السكان الذين تتألف منهم .

تنمية المجتمع في شموله وتنمية الأشخاص على انفراد ، بمعنى تنمية حاجاتهم وقدراتهم الحقيقية على العمل والابداع ، مرتبطتان ارتباطا وثيقا .

ان تعميم التنمية واتساعها تدريجيا حتى تشمل جميع الشعوب وجميع الناس لهو السبيل الوحيد المفتوح امام تقدم المجتمع البشري المعاصر . ان هذا المجتمع الذي يتوفر على طاقة لا حصر لها من العلم والتقنية الحديثين والذي اصبح أدق شعورا بمشاكله وضرورة حلها بطريقة بناءة ، سيصبح لزاما عليه أن يسلك طريق التنمية بالتدريج وبصفة منظمة اكثر فأكثر .

كل مجتمع يشكل مجموعة متناسقة من الأجهزة تحركها قوى داخلية وخارجية . فالاولى تنشأ عن التغييرات الطارئة على الأجهزة الداخلية بينما الثانية تقع على هذه الأجهزة من الخارج بواسطة مجتمعات اخرى او قوى طبيعية .

كل اجهزة المجتمع مرتبطة ببعضها بحيث أي تغيير في احداها يثير تغييرات على الباقي ، وهكذا دواليك . وتختلف حساسية شتى الروابط التي تربط الاجهزة ببعضها بين نوع وآخر من المجتمعات حسب درجتها من النماء . وناتج مفعول القوى الداخلية والخارجية هو الذي يشير الى مدى تقدم أي مجتمع أو تأخره او جموده .

لفهم الحركية الملموسة للقوى المتفاعلة سنلجأ قبل كل شيء الى التحليل التاريخي . فالاطوار المتعاقبة لتاريخ سوريا تقدم لنا عددا وافرا من التجارب . ولكننا سنعنى بالاخص ببحث الفترة الحاضرة وذلك بدراسة التغييرات الطارئة على اجهزة التنمية المعاصرة دراسة دقيقة قدر الامكان محاولين تطبيق ما نقدمه من آراء على مجموع البلاد المتأخرة مع الرجوع الى سوريا التي تشكل حقلا أساسيا لبحثنا .

سنستفيد من ثمار مختلف العلوم الانسانية ، محاولين الافلات من قبضة شتى المدارس الفكرية للقيام بعملنا بطريقة مستقلة .

— * —

لم يكن لسوريا عبر التاريخ حدود قارة . كانت الى نشوب الحرب العظمى الأولى تشتمل على الرقعة الممتدة من مصر والجزيرة العربية جنوبا ومن العراق شرقا ومن تركيا شمالا ومن البحر المتوسط غربا ، فتضم على وجه التقريب فلسطين وسيناء وشرق الاردن ولبنان وسوريا الحالية الى جبال طوروس . داخل هذه الحدود الطبيعية كانت تعرف بسوريا الكبرى .

وبعد تفكك الامبراطورية العثمانية التي كانت سوريا جزءا منها ، تم احتلالها فوضعت عصبة الامم فلسطين وشرق الاردن تحت الانتداب البريطاني بينما اصبح باقي اجزاء البلاد من نصيب الانتداب الفرنسي . ومن ذلك الحين رسمت الحدود بكيفية تحكيمية حسب توازن القوى والمصالح الاستعمارية . وفي سنة 1939 نزعت مقاطعة من أخصب اراضي سوريا في الشمال وسلمت لتركيا وهي لواء الاسكندرونة .

اينعت حضارات على الارض السورية امتــــدت طوال اربعة آلاف سنة منها الحضـــارة اليونانيــــة والحضارة العربية التي كان لها ابلغ الأثر على تاريخ سوريا المعاصرة . لم تسر هذه الحضارات في خـــط مستقيم ، بل عرفت خلال مسيرتها ازدهارا أحيانـــا وتوقفا وتأخرا أحيانا اخرى . لكن الخاصة التي تميزت بها سوريا أنها سرعان ما كانت تنهض من النكسـات التي تتعرض لها لتتابع سيرها . والملاحظ ان مصــدر قوتها كان يأتيها من البحر الابيض المتوسط بحيث كانت التجارة والمواصلات الركيزتين الاساسيتين لنمائهـــا الاقتصادي والاجتماعي والثقافي . فلما فقدت نفوذها في هذا البحر ، فقدت كثيرا من عظمتها وحيويتها .

ان المعلومات القليلة التي انتهت الينا عن الحضارات السورية الغابرة تشير الى أن شعوب هذه الرقعـة بلغت درجة عالية من التطور الحضاري بسبب التقـدم الفلاحي والتقدم التجاري اللذين اكسبها رصيدا اعانها على هذا التطور . فامكنها في نهاية الالف الثانيـــة ان تستنبط الكتابة وتستعمل الحديد وتنشيء اسطـــولا جبارا وتبني امبراطورية تجارية شاسعة الاطـــراف ، وتسك النقود المعدنية وتستغل المعادن في الاصقـاع البعيدة . كل ذلك انما تيسر لها بما وصلت اليه مـــن رقي تقني .

وفي أوائل الالف الثالثة واواسطها كانت شعوب سوريا متألفة من الكنعانيين والآراميين والعبريين الذين استطاعوا أن يدمجوا العناصر الانسانية الاخرى التـي تسكن البلاد .

وامتاز اقتصاد هذه الفترة بصناعة الحديد . فكان الفينقيون اول من استفادوا منه ، حيث كانوا يرحلون الى البلاد النائية في أوروبا الشرقية وغيرها لاستغلال هذا المعدن . وكانوا حاذقين في صناعة السفـــن فاستطاعوا بقوة اسطولهم البحري ان ينشئـــوا امبراطورية ومستودعات تجارية عبر الثغور وتثبت اقوال بعض الكتاب اليونانيين واللاتينيين انهم اول من لفوا حول القارة الافريقية . وكانوا بدون ادنى شك أول شعب نمى التجارة البحرية . وقد بذوا غيرهـــم في الصناعات وخاصة صناعة الحلي والزجاج والخشـب المطعم بالمعدن والعاج وغيرها .

ان النشاط التجاري والصناعي الذي امتازت به سوريا حينذاك قد جر عدة آثار حضارية فمكن من خلق مناخ مفتوح للأفكار ملائم للاختراع . وحوالي القـــرن الثالث عشر قبل الميلاد عرفت الكتابة الفنيقية والكتابة الآرامية . وقد عممها التجار بين الشعوب الاخـــرى وخاصة بين اليونانيين في القرن العاشر وبين الرومان بعد ذلك . وبواسطة الكتابة أمكن التوسـع في جميـــع فروع المعرفة . وكانت الديانة منتشرة بفضل تسلسل عدد كبير من الانبياء العبريين في المنطقة .

ان المدنية اليونانية التي تمت وازدهرت تدريجيا عبر القرون بفضل اتصالها بالشرق وبالحضــــارة الفينيقية بوجه خاص بلغت أوجها في القرن الخامـس قبل الميلاد ، وقد فرضتها جيوش الاسكندر المقدوني على الشرق وخاصة على سوريا . وينبغي عدم المبالغة في ترداد « المعجزة اليونانية » اذ ان الحضارة اليونانية لم تكن في الواقع سوى امتداد لحضارة الشرق .

فاذا كانت الثقافة العربية بعد ذلك قد أخذت عن الثقافة اليونانية والهيلينية ، واذا كانت أوروبـــا في العصر الوسيط قد أخذت عن العرب ، واذا كان هؤلاء يأخذون اليوم من جديد عن الغرب ، فلا ينبغي ان نرى في ذلك سوى امتداد تاريخي ومساهمة كبـــرى في الحضارة . فرفض الاخذ عن الآخر دليل على التحجـــر الفكـــري .

— * —

في القرن الخامس قبل الميلاد غزا الاسكندر الكبير سوريا بعد ما سبقه اليها التجار اليونانيون . ولـــم يستطع خلفاؤه من بعده الحفاظ على « أول مملكة » أنشأوها بهذه البلاد لاسباب منها سوء تصرفهم والحروب التي كانت تشنها عليهم الممالك المجاورة ، والصراع بين الفرس والروم . ولم تستطع دولة الانباط ان تثبت أمام الزحف الروماني ، فتم احتلال سوريا سنة 64 ق.م وتركز الحكم الروماني في انطاكية أولا ثم في روما وبعدها في القسطنطينية عاصمة بيزنطيا . وما بين القـــرن الخامس والسادس بعد الميلاد أخذ الشعور القومـي بسوريا يتكون وكانت الحروب بين فارس وبيزنطيا من عوامل انهاكها ، فتجلى في مقاومة السلطة الرومانيـة وانتهى بعد ذلك بالفتح العربي .

وبالرغم عن هذه الزحوف ، حقق الاقتصـــاد السوري نموا متواصلا بفضل ما كان يتوفر عليه من صناعة وتجارة واسطول ملاحي . لقد كان السوريون يرتادون البحار ، وكانت قوافلهم تخترق الآفاق ممـا جعل المدن السورية مراكز للتوزيع والتبادل التجاري ، وجعل من السوريين مصرفيين لايضاهون .

اصبحت سوريا آنذاك مقر فئات مهمة من اليونانيين والرومانيين الذين كانوا يشكلون طبقة عليا تعيش في البذخ والترف ، بينما كانت جمهرة الشعب بائسة مضطهدة ، وطبقة الفلاحين محل استغلال وسوء معاملة . ومع ذلك فقد استطاعت الطبقة الوسطى ان تنمو وتحتل مكانة لائقة فأخذت تتطلع الى الحكم . وازدهرت حضارة هيلينية في سوريا ما بين القرن الرابع والقرن الثامن فكان لها مفكروها ومدارسها واشعاع تعدى الاقليم الى ما سواه .

— ✻ —

امتاز القرن الاخير من الاحتلال البيزنطي بحروب مستمرة بين فارس وبيزنطيا وكانت سوريا مسرحا لتلك الحروب مما انهك قواها واشاع فيها الخراب والعسف بسبب انتقاض شعبها مرارا على الحاكمين البيزنطيين وما لقيه من القمع على يدهم ، واستمرت الحال على ما هي عليه الى الغزو العربي .

لقد كانت سوريا قبل ذلك العهد بقرون متصلة بالعرب فقد رأينا كيف استنجدت بالانباط لازاحة كابوس خلفاء الاسكندر المقدوني الى ان اخرجهم الرومان . وكان لسوريا اتصال كذلك بمملكة تدمر واتفق لملكتها الزباء ان الحقت سوريا ومصر وجزءا كبير من الجزيرة قبل ان يدمر الامبراطور الروماني اورليانوس مملكتها سنة 271 م. كما كانت لسوريا اتصالات تجارية بمملكة الحيرة بالعراق ، واستقرت مملكة غسان في جزء من اراضيها ، وكانت للسوريين علاقات تجارية وثيقة بالجزيرة العربية واليمن .

وكان للاحداث التي جرت في المنطقة آنذاك وخاصة الحروب التي كانت تدور رحاها بين بيزنطيا وفارس اثرها في يقظة العرب وظهورهم على مسرح الاحداث . واتمت الرسالة الاسلامية نهوضهم . فتقدموا في الفتوحات . وكان فتح سوريا سنة 640 م ، فنصب الخليفة عمر معاوية واليا عليها ، وانصرف هذا الاخير الى تنظيم شؤونها بما عرف عنه من حنكة سياسية ، كما استمر في الفتح ، وانشا قوة بحرية هائلة . اصبح الحكم ملكا عضدا ونشأت دولة الامويين متخذة من دمشق عاصمة لها . لكن الدولة الناشئة اصطدمت بثورات داخلية وحروب مع بيزنطيا انهكت قواها مما كان سببا في نشوء الدولة العباسية التي اتخذت من بغداد قاعدة لها . ولقيت هذه الدولة كذلك حربا عوانا من الداخل على يد الشيعة وجناحها المتطرف الاسماعيلية ، وعلى يد القرامطة والفاطميين . ثم اسرع اليها الانحلال واصبحت سوريا مسرحا للفوضى في القرنين العاشر والحادي عشر ، مما مهد السبيل لاستيلاء الصليبيين عليها ، بعد ما عاد اليها البيزنطيون لبرهة من الزمان ، ثم انزاحوا عنها بعدما هدموا مدنها واخذوا مائة الف اسير معهم .

— ✻ —

لقد وضع الفتح الاسلامي حدا للخراب الذي احدثته الفتن في سوريا خلال القرن الاخير من الاحتلال البيزنطي . وازدهر الاقتصاد من جديد بسبب توافد السكان ورؤوس الاموال والصناعات الجديدة اليها وكذلك بسبب تفتحها على الخارج . ونشطت الفلاحة على اثر الاقطاعات التي استولى عليها الامويون وغيرهم من مختلف الاجناس فاستثمروها بواسطة الري والاساليب الزراعية الحديثة . واستمر هذا الازدهار في العصر العباسي . ولاول مرة دخلت زراعة القطن وازدهرت في سوريا وكذلك قصب السكر والرز واشجار الفواكه . وترتب عن ذلك تأسيس صناعة الورق والكتاب والتغليف والمداد والمواد الصيدلية والمشروبات والعطور ، فنشأت مصانع من انواع شتى .

واتسع التبادل التجاري مع كل اطراف الامبراطورية الاسلامية بسبب الطرق التي عبدت والقوافل التي كانت لا تنقطع ذهابا وايابا . ونشطت الحركة التجارية كذلك مع اوروبا ومع الصين . وهذا الازدهار التجاري يرجع الى الاساليب التقنية التي استنبطها العرب منذ القرن الاول للهجرة وتفننوا فيها بعد ذلك ، ولكنه يرجع بالاخص الى التعامل بالنقود الفضية والذهبية التي سكوها وكانت تتداول في انحاء الامبراطورية باجمعها ، ومع مرور الايام احدثوا الاساليب البنكية في المعاملات التي كانت تتبع النظام الحر . لقد كانت سوريا تصدر المواد المصنعة وتستورد المواد الخام لصناعتها وكذلك السبيد والتوابل .

بيد ان حدثا على جانب عظيم من الخطورة تم في الربع الاخير من القرن الثامن الميلادي ، وهو فقد سيطرة الاسطول الاموي على البحر الابيض المتوسط اثر معارك بحرية بينه وبين الاسطول البيزنطي . فاخذت اهمية الموانىء الايطالية كالبندقية تزداد نتيجة لذلك وتبعها ازدهار التجارة الايطالية . منذ ذلك الحين

بدا مركز الموانىء السورية يضعف ، وزاد فى ضعفه تحول الطرق التجارية والاقتصادية الى العراق بعد قيام الدولة العباسية . وفى القرن العاشر قضى نهائيا على الاسطول السوري ، بينما ازدادت مكانة الموانىء الايطالية فى الارتفاع ، رجحت كفة الغرب فى العراك الدائر ، فدخلت سوريا فى دوامة التخلف فى جميع المجالات .

— * —

فى اقل من ربع قرن حطم الفتح الاسلامي جميع الحواجز بين الشعوب والمدنيات المعروفة آنذاك ، واحدث علاقات وثيقة بينها ، فنشأت الثقافة العربية التي كان قوامها اللغة والدين . وقد ادى الى انتشار الثقافة العربية عدة عوامل منها الاتصال السريع الذي حدث بين مختلف الثقافات وصنع الورق وانتشار الكتاب والتنمية الاقتصادية العامة وازدياد الطبقة الوسطى وتشجيع التعليم وحركة الترجمة وغير ذلك .

لقد تقرر تعريب الادارة السورية قبل نهاية القرن السابع الميلادي ، وبدات تظهر الكتب فى شتى فروع المعرفة باللغة العربية . واستمرت الحركة وتعمقت على عهد العباسيين ، فبلغت أوجها فى القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) . والدور الذي لعبه « بيت الحكمة » فى هذا الباب معروف .

بيد أن امارات التحجر بدأت تلوح فى أفق الثقافة العربية ، وتأكدت بين القرن العاشر والحادي عشر فاعانت عليها ظروف سياسية واجتماعية واقتصادية . ذلك ان سطوة المماليك اخذت فى خنق انفاس هذه الثقافة وقمع رجال الفكر بينما شجعت الجانب الزائف منها فكرا واسلوبا . وهكذا اضطهدت المدرسة المعتزلة وغيرها ، واضطر اخوان الصفاء الى التستر بفكرتهم . واشتد القمع بنشوء الدولة الفاطمية بمصر وما صاحب ذلك من فتن سياسية . وكان الحكام يستميلون العلماء بالعطاء ، ويتملقونهم ، بينما يضعون قيودا شديدة على الفكر ومناهج التعليم حفاظا على نفوذهم . فانتشر التواكل ، ودب الانحطاط الى الثقافة فى دار الخلافة ببغداد ، وما فتىء ان سرى الى سوريا فى القرن الحادي عشر بالرغم عما كانت عليه من ازدهار على عهد الدولة الحمدانيــــة .

هكذا هوت الثقافة العربية الى دروب التأخر بعد ازدهارها فى آفاق رحبة ، وذلك تحت عوامل القوى الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي قيدت الفكر وادخلته فى قوالب جامدة . وقد وجدت الثقافة العربية ميادين اخرى للازدهار فى اسبانيا وافغانستان وهمدان وفارس . وفى القرن الثاني عشر تركزت بشمال افريقيا وبالاندلس خاصة . وفى هذه البلاد بالذات نظمت حركة ترجمة أمهات الكتب العربية الى اللغة اللاتينية .

— * —

اصاب سوريا — كما اسلفنا — ركود عام نتيجة فقدان نفوذها على البحر الابيض المتوسط بسبب انهيار اسطولها على يد البيزنطيين وما تبعه من تفوق قوة المرافىء الايطالية وتقهقر التجارة السورية .

ثم اخذت الحملات الصليبية تتوالى على سوريا فسقط آخر معقل للمقاومة سنة 1124 . خلال هذه الفترة وما بعدها هب الاتراك السلجوقيون للدفاع عن سوريا وانشاوا دولة امتدت الى مصر ، فظلت الحرب سجالا بينهم وبين الصليبيين على ارض سوريا الى وفاة صلاح الدين الايوبي سنة 1193 ، واستمرت فى عهد المماليك لما امتحنت سوريا بالحملة المغولية فى القرن الثالث عشر . وقد أبلى الملك المنصور قلاوون والملك المظفر بيبرس وغيرهما البلاء الحسن فى رد الهجوم الى ان طردوا الصليبيين والمغول فى آخر ذلك القرن . ولم يبارح الافرنج بالخصوص سوريا الا بعد ما حطموا مرافئها .

بالرغم عن هذه الكوارث ظلت سوريا متقدمة من الناحية الصناعية والفلاحية والتجارية وبقيت صادراتها معروفة فى الاسواق الخارجية الى العصر الوسيط لكن نهاية قوتها البحرية وتفوق المدن الايطالية قلبت الموازين. ثم ان اتصال الغربيين بالسوريين — خلال الحملات الصليبية — جعلهم يقلدون صناعتهم فبدات البضائع الاوروبية تحتل الاسواق الخارجية ثم ما لبثت ان اخذت تزاحم البضائع السورية فى عقر دارها .

ازدادت سوريا تخلفا من الناحيتين الاقتصادية والفكرية بسبب الكوارث التي تكالبت عليها من جميع الجهات : الفناء الاكبر (الطاعون) الذي قضى على 40 فى المائة من سكانها ، وحملة تيمور لنك التي خلفت الدمار واهلكت النسل ، وتعسف المماليك فى اواخر دولتهم حيث كان يقتصر همهم على السلب والنهب ، مما مهد السبيل لانهيار النظام واحتلال الدولة العثمانيـة لسوريا سنة 1516 .

اتيحت فرصة جديدة لسوريا كي تنهض من كبوتها على غرار ما فعلته حين احتلتها جحافل الاسكندر المقدوني . لكنها كانت على درجة قصوى من الانهاك فلم تستطع ان تستفيد من الامبراطورية العثمانية التي انفتحت امامها . ثم ان هذه الامبراطورية منذ نشأت وهي في حرب مع اوروبا التي كانت آخذة بأسباب النهوض . وبعد ما استكملت عظمتها على عهد سليمان القانوني ، اخذت تتكبد خسائر جسيمة . فالبرغم عن تفوقها من الناحية العسكرية ، كانت أوروبا تفوقها من الناحية الاقتصادية ففرضت عليها نظام الامتيازات الاجنبية . وشملت هذه الامتيازات سوريا ، فأخذت صناعتها في تقهقر مطرد .

وزاد الحالة سوءا تقدم الصناعة الانجليزية في القرن الثامن عشر وسيطرتها على اقتصاد الاسواق العالمية . وهكذا انتزعت المعامل الاوروبية أسواق سوريا التقليدية . واستتبع تقهقر الصناعة تأخر الزراعة ومن العوامل التي ادت الى هذه الحالة نوع الحكم الذي كان يسود البلاد . كان النظام العثماني ككل احتلال اجنبي لا يرى في البلاد التي يسيطر عليها سوى مجال للاستغلال . وكان متحجرا من الناحيتين الاجتماعية والثقافية ، يرى في كل تجديد بدعة وضلالة فيحارب حرية الفكر ، ولا يهتم بالتعليم ، ويولي الامبين الوظائف السامية التي كانت تباع بالمزاد او تورث . فعم الفساد وتدهورت الاخلاق العامة ، وفترت العزائم وحل محلها التواكل .

في تلك الفترة بالذات كانت أوروبا آخذة بأسباب التقدم الصناعي الذي افضى ببعضها الى الغزو الاستعماري . وقد ساعد ذلك على تقويض دعائم المدنيات القديمة ، وفي الوقت نفسه ادخلت العوامل الاولى لحضارة جديدة . وكانت الدول الاوروبية تحرص كل الحرص على الا تصبح هذه العوامل اداة تنمية في الاقطار المتخلفة . واعانتها على ذلك قوى الجمود في هذه البلاد . لكنها لم تفلح الا قليلا في وقف عقرب التاريخ . فقد افشلت مخططاتها احداث القرن التاسع عشر والقرن العشرين بالخصوص . نذكر من تلك الاحداث الحروب الاستعمارية والحربين العالميتين والثورة السوفياتية وحركات التحرر الوطني .

ومنذ أواسط القرن التاسع عشر تدفقت كميات وافرة من التقنيات الاوروبية على سوريا ، فكان لها تأثير في انتعاش أحوالها . كان لدخول المواد الصحية اثر في ازدياد السكان بصورة محسوسة ، وكان لدخول الآلات الحديثة سواء منها التجهيزات الصناعية او الفلاحية او ما يتعلق بالمواصلات مفعولها في تحسين الحالة العامة وانشاء مدن عصرية والنهوض بالمرافىء وما يتبع ذلك من تغييرات اقتصادية وفنية ساعدت على تطور فكري وثقافي ونشوء طبقات اجتماعية جديدة انبثقت عنها نواة طبقة بورجوازية اخذت تتعاطى التجارة والصناعة وبعض الخدمات . كما نشأت طبقة بروليتارية نتيجة توسع الصناعة .

في ذلك الاثناء اخذت الافكار الحديثة تتسرب للامبراطورية العثمانية بسبب اتصالاتها مع الخارج والاحداث الجارية التي كان يتردد صداها في الاستانة ، مثل قيام الديمقراطيات البرلمانية وغيرها . فوقعت محاولات لانجاز اصلاحات في الميدانين السياسي والعسكري . لكنها لقيت معارضة شديدة من الدول الغربية التي كانت تحرص على ابقاء امتيازاتها ، ومقاومة من لدن القوى التقليدية والمهيمنين على جهاز التنفيذ . تدخلت الامبراطورية العثمانية في عهد مظلم من الاستبداد والقمع . ولقد كان فشل الاصلاح السبب في الثورات التي قامت بعد ذلك وتفكك اوصال الامبراطورية ثم سقوطها بعد ذلك .

— * —

ظهرت الارهاصات الاولى للنهضة العربية في القرن الثامن عشر بنشوء الحركة الوهابية التي دعت للرجوع الى الاسلام الصحيح وللخلافة العربية وبمحاولات بعض الحكومات السورية الاستقلال عن سلطان تركيا وبالبوادر الاولى لنهضة الثقافة العربية وسط اقليات مسيحية ، لكن اثرها بقي محدودا . ولم تندرج سوريا ومجموع العالم العربي في العصر الحديث الا في بداية القرن التاسع عشر .

ان انتشار افكار الثورة الفرنسية وحملة نابليون على مصر وسوريا (1798 — 1801) حيث صاحبته بعثات من العلماء والمهندسين ، وجلب معه مطبعة بولاق التي نشرت بيانا مستوحى من مبادىء تلك الثورة وجريدة اخبار ، كل ذلك صدع النظام العثماني وافسح المجال للتغيير . واستأنف محمد علي الكبير والي مصر عمل نابوليون محاولا تأسيس دولة عصرية واقتصاد حديث في مصر ثم في مصر وسوريا مجتمعتين . لكن بريطانيا العظمى افشلت هذه المحاولة . وبذلك كانت اول فرصة اتيحت للعرب — في العصر الحديث — لانشاء دولة عصرية فوتها عليهم الاستعمار الانجليزي . وما

انفكت مناورات الدول الكبرى تعمل عملها في قلب الامبراطورية العثمانية ، وتثير النعرات والحزازات ، ممهدة السبيل لتفتيتها ، بينما لم تتخذ حكومة الباب العالي سوى سبيل القمع لمعالجة المشاكل التي كانت تصطدم بها . وبعد أن يئس رواد الاصلاح العرب من الوصول الى حل بمعونة هذه الحكومة ، اتجهوا نحو اثبات القومية العربية والانفصال عن الامبراطورية باستغلال الظروف المتاحة لهم .

كانت نهضة اللغة والآداب العربية في القرن العشرين اساسا ليقظة الوعي والثقافة القومية في سوريا . فلقد نشأت مدارس من أنواع شتى منذ منتصف القرن التاسع عشر واسست جامعتان : الجامعة الامريكية وجامعة القديس يوسف . كما انتشرت المدارس الحرة ، وكانت البرامج الدراسية في هذه المعاهد لا تختلف عنها في مدارس الغرب . وبلغ مجموع التلاميذ عند نشوب الحرب العظمى الاولى 90.000 وعدد الطلبة 1320 وآلاف الاساتذة ممن أصبحوا رواد الحركة الفكرية والقومية . وانتشرت المطابع والصحف حتى بلغت العشرات . وبدأ الفكر العربي الجديد يتبلور تحت تأثير التغييرات والافكار الجديدة ، ويتوق الى التجديد ملائما بين الثقافة العربية الاصيلة والثقافة الغربية الحديثة .

كان الاهتمام الاساسي لجمهرة مثقفي النهضة العربية منصرفا الى تجديد المجتمع والثقافة القومية حتى يواكبا المجتمع الغربي وثقافته . ولهذا انصرف معظمهم الى الترجمة والتأليف والنشر وفتح المدارس وتلقين المعرفة بها . وكانت حينذاك ثلاثة تيارات فكرية: التيار الاول في مصر بقيادة محمد علي وكان مهتما بتكوين اطر الدولة في الجيش والعلوم التطبيقية والقانونية ؛ والتيار الثاني في سوريا وكان منصرفا الى العناية باللغة والآداب والتاريخ لبعث التراث والثقافة العربية، ويسعى لاستيعاب الثقافة الغربية ونشر العلوم والافكار الاجتماعية ؛ اما التيار الثالث فقد نشأ في القاهرة وباريس وانتشر بسوريا وبقية اجزاء العالم العربي وكان يهدف الى الاصلاح الاسلامي نتيجة اتصال الفكر الاسلامي بالفكر والمدنية الاوروبية . وقد تداخلت هذه التيارات لتشكل ما يمكن ان نطلق عليه اسم الثقافة العربية الناشئة . فكانت هذه الثقافة تدعو الى افكار اساسية عن الوطن والامة والدستور وحقوق المواطن والحرية والديمقراطية والعدالة والثورة وحقوق المرأة وسيادة العقل وقدرة الانسان والمجتمع على التطور والارتقاء .

قطعت سوريا قبيل نشوب الحرب العالمية الاولى الخطوات الاولى في طريق التجديد وكانت تتأهب للقبض على مصيرها بيدها . لكن انجلترا وفرنسا كانتا تهيئان لها مخططات أخرى ، تكفلت الصهيونية بتحقيقها. وقد تمت هذه المخططات بعد الحرب العالمية ، باحتلال سوريا وتقسيمها .

— * —

تبين لنا أن تقدم التقنيات المنتجة كان العامل الاساسي في تنمية سوريا عبر التاريخ . ومنذ الثورة الصناعية الانجليزية في القرن الثامن عشر لم يفتأ دور التقنية في تنمية المجتمعات المعاصرة في تزايد . وقد اصبح حاسما في يومنا هذا . فلم يعد التقدم التقني متروكا للصدفة او للجهد الفردي ، وانما اخذ ينتظم شيئا فشيئا على صورة صناعة وطنية اساسية تعتمد على البحث العلمي والتيكنولوجية المنهجية وتتوفر على وسائل قوية .

ولم يعد ينظر الى التقدم التقني من وجهة أثره على الانتاج المادي فقط ، بل حتى من وجهة فاعليته على الاقتصاد وما يحدثه من تغيير عقلي وثقافي واجتماعي. ذلك ان المنتجات التقنية التي تستوردها الاقطار المتخلفة تعتبر نماذج للثقافة العصرية في الفعالية والدقة وجمال الشكل والخيال وقوة الذكاء البشري والعمل الجماعي الذي تفرضه الآلة . فمن الضروري ان تعي الدول المتخلفة كل هذه الآثار « غير المرئية » وتحاول اقتناصها والتوسع فيها للاسراع في تنمية مجتمعاتها .

ان الاختراعات والتحسينات الطارئة على التقنيات تتوفر في شكل مد لا ينقطع . فعلى الاقطار المتخلفة ان تستفيد منها ، والا بقيت أمدا طويلا تابعة للدول المتقدمة . وحتى تقاوم هذه التبعية وتأخذ بأسباب التنمية يجب عليها ان تستوعب التقنيات المستوردة بسرعة وتخضعها لحاجاتها وتبدع تقنيات جديدة . ثم يجب ان تصل مبادلاتها مع الخارج في النهاية الى توازن من الناحية التقنية بحيث تتساوى صادراتها ووارداتها في الاتقان ، وان تقرير ستراتيجية ملائمة لهذا الاتجاه لهو السبيل الوحيد الممكن .

ان التقنية ليست عبارة سوى عن وسائل ومناهج، لا فائدة من ورائها الا بالرجال الذين يستعملونها . فليست التقنية سوى قوة كامنة . والعمل الانساني الملائم وحده هو الذي يمكن ان يفجر من التقنية القوة الكامنة فيها ويجعلها صالحة . فالقوة الاقتصادية نتيجة

تفاعل التقنية وعمل الناس الذي يسخرونها . وهذا ما يسمى بالقدرة التيكنولوجية .

ان الاقتصاد ، وخاصة الصناعة ، لا تكـون متقدمة الا اذا استطاعت ان تنمو بوسائلها الخاصة .

لقد ابان التاريخ ـ والشواهد على ذلك اكثر في يومنا هذا ـ ان صناعة الحديد والصلب تعد أكثر القطاعات حيوية وهي أكبر باعث على النمو الصناعي في البلاد المتقدمة . فتاسيس صناعة للحديد والصلب من شانه ان يشجع على قيام صناعات ثانوية وصناعات تدور في فلكها . كما ان الصناعات الكيماوية والبتروكيماوية وصناعة الآلات تقوم بنفس الدور الحيوي وتكون منطلقا للتصنيع والتنمية الاقتصادية .

ليس في مقدور اي بلد ان يمر من الاقتصاد التقليدي الى تاسيس مركبات صلبية او بيتروكيمائية دفعة واحدة ، لكن ينبغي ان يكون طور الانتقال في غاية الاختصار . وينبغي ان نتساءل هل في مقدور اقتصاد متخلف ان ينشيء صناعات ثقيلة كمركبات الصلب او البتروكيمياء ؟ هناك يجب الاخذ بعين الاعتبار المستوى التيكنولوجي الذي وصل اليه ذلك الاقتصاد . ومن المستحسن الانتظار ريثما يصل البلد الى تجربة صناعية وتقنية مناسبة والى مستوى عال نسبيا من التعليم وان يهيىء عددا مناسبا من الاخصائيين فصناعة الساعات مثلا قد تكون مفيدة لبلد متخلف ، لكن ليس معنى ذلك ان في استطاعته ان يؤسسها . وان مصنعا ميكانيكيا أو مخبرا مثلا قد يكونان مجهزين احسن تجهيز ، وقد يسيران أسوأ تسيير اما لان المستخدمين به غير أكفاء أو غير كافين . وبالعكس قد تكون احسن الكفاءات ضائعة اذا كان التجهيز الموضوع رهن اشارتها غير كاف

— * —

تقدم لنا عرض التغييرات الاقتصادية والتقنية التي طرات على سوريا في العهد العثماني ، وهنا نستعرض ما حدث من تطور عام بعد الحرب العظمى الاولى . وقد راينا سيطرة الاستعمار على سوريا وتقسيمها ثم انتزاع لواء الاسكندرونة منها بحيث اصبحت فلسطين وشرق الاردن خاضعة لانجلترا وسوريا الحالية مع لبنان تحت الانتداب الفرنسي ، بينما الحقت مقاطعة كاملة بتركيا .

ان التقنية الجديدة التي كان لها الاثر البالغ ما بين الحربين العالميتين في سوريا هي السيارة . لقد كان له تاثير عام في الميدان الاقتصادي والميدان الاجتماعي فكانت تشكل صناعة وطنية تدور حولها عدة نشاطات نذكر منها المستودعات ومحطات المواد الوقودية ومصالح السفر ومستودعات قطع الغيار وتجارة السيارات وتعبيد الطرق . ومن الناحية الاجتماعية كانت السيارة عاملا في الادماج الوطني بربط الاتصال بين شتى جهات البلاد واتاحة نشر الافكار والمنتوجات ، بينما كانت من اهم عوامل الاستقرار في الحاضرة والريف ولعبت دورا لا يستهان به في تشجيع الانتاج الفلاحي بشحنه الى الموانىء والحواضر . وهكذا هيأت تقنيات جديدة في الميدانين الصناعي والزراعي . لقد كانت سوريا تتوفر في سنة 1932 على 17.647 سيارة وشبكة من الطرق الوطنية تبلغ 1847 كيلومتر وطرقا ثانوية تبلغ 7.976 كيلومتر و 3.953 كيلو متر من السبل الريفية .

وتأتي الطاقة الكهربائية في الدرجة الثانية من التقنيات خلال هذه الفترة ، بما كان لها من تاثير على التجارة والمنشآت الصناعية وتكوين بعض المهندسين والعمال المختصين وما كان لها كذلك من اثر ثقافي . فقد بلغت الطاقة الكهربائية 5ر11 مليون كيلواط سنة 1935 ووصلت الى 25 مليون كيلواط سنة 1940 . وبتوسع الصناعة اتسعت مرافق المواصلات السلكية واللاسلكية وتاسست الابناك القومية والاجنبية ونشأت طبقة من العمال الواعين لحقوقهم .

واستتبع هذا التحول نشوء تقنيات جديدة كان لها اثر ظاهر في النواحي الاجتماعية والاقتصادية والثقافية. نذكر منها على سبيل المثال انتشار السينما والتوسع في الطباعة وصناعة الورق ، وتأسيس المستشفيات وقد تعطل استيراد المواد التقنية خلال الحرب العالمية الثانية ، لكن تواقد جيوش الحلفاء ووفرة الانباء العسكرية كان لهما تأثير بالغ على تفكير السكان وتركت تلك الجيوش بعد انسحابها كميات وافرة من المنتجات التقنية التي استعملت في شتى المجالات ولم تضع الحرب اوزارها حتى استؤنفت عملية الاستيراد وتوسعت سوريا في الاستفادة منها . ونمت تبعا لذلك القدرة التكنولوجية للسكان . وبصفة عامة ، اتاحت الحرب العالمية الثانية فرصة نادرة لسوريا كي تحقق نموا صناعيا سريعا ، لكن هذا النمو كان محدودا نظرا لضعف قدرة شعبها من الناحية التكنولوجية .

ويمكن تقسيم تصنيع الاقتصاد السوري الى قسمين : أولهما يقع بين منتصف القرن التاسع عشر

ومنتصف القرن العشرين ، وهو طور انتقال ما بين اقتصاد تقليدي واقتصاد صناعي تسيطر عليه المصانع الاجنبية من النوع الاستعماري وبجانبها صناعات قومية صغرى في مواد الاستهلاك ، والقسم الثاني يبتدىء سنة 1955 وهو طور الادماج والاستقلال في التدبير والشروع في التنمية .

بعد حصول سوريا على الاستقلال تقرر سنة 1946 سوروية الصناعةوالقضاء علىالصناعة الدخيلة المسيطرة ، فحصل ركود لمدة أسباب منها : عدم الكفاءة في التسيير ، وسوء التنظيم وتأخر التجهيز الاقتصادي العام . فترتب عن ذلك تصنيع غير منظم وبدون توجيه . ولم يكن في استطاعة الاقتصاد والمجتمع ان ينطلقا انطلاقا حقيقيا في مجال التنمية الا بتغييرات عميقة في الانظمة لتحرير قوى جديدة قادرة على دفع النمو بسرعة الى الامام .

في سنة 1955 حصلت الثورة السياسية التي اطاحت بالدكتاتورية العسكرية وأعطت توجيها للتنمية وذلك بتأميم البنك المركزي السوري ووضع أول تصميم خمسي . وقد حصلت تغييرات جوهرية في الاقتصاد ادت الى هجرة رؤوس الاموال والاطر . مما ادى الى عدة انقلابات سياسية بعد ذلك .

واعيرت اهمية خاصة للزراعة التي كانت الى الحرب العالمية الثانية تعاني الكثير من التأخير ، فجعلت من الاولويات سواء في التصميم الخمسي الاول أو التصميم الخمسي الثاني (1966 — 1970) ورصدت لها اعتمادات تبلغ 35 في المائة من القروض لتحديثها يقينا بأن الزراعة الحديثة لا يمكن ان تنمى بمعزل عن الصناعة . أو بعبارة اخرى فان الاقتصاد الذي تسيطر عليه الزراعة اقتصاد متخلفسواء من الناحية الصناعية أو من الناحية الريفية .

ان التصنيع الحثيث هو وحده الكفيل بالقضاء على التخلف وتحقيق المصالح الاساسية لجميع الاقطار التي تتألف منها الرابطة الدولية . ولا يمكن للتنمية الزراعية وحدها ان تفي بهذا الغرض ، بل يجب ان تواكب التنمية الصناعية ، والا تختص بلاد وحدها في احدى التنميات: الزراعية أو الصناعية أو التجارية . فيجب العمل في آن واحد على رفع مستوى الفلاحين اذ لا يمكن توفير الانتاج والوصول الى جودته اذا بقي مستواهم منخفضا وتمويل المشاريع التكنولوجية .

تتفق الدراسات الحديثة عن الدخل الوطني للاقطار المتخلفة على الحقائق الاتية :

1 — وجود فوارق عميقة بين مختلف الطبقات الاجتماعية وكذلك بين مختلف النواحي في قطر واحد من حيث مداخيلها .

2 — كلما ازدادت البلاد تخلفا ازداد عدم التساوي عمقا .

3 — تزداد هذه الحالة خطورة مع النمو الاقتصادي

يلاحظ في كثير من الاقطار المتخلفة سباق شديد بين النمو واعادة توزيع المداخيل من جهة وبين تصاعد الموجة الثورية من جهة أخرى . وان تجنب اعادة توزيع المداخيل ، مهما كان المبرر ، يؤدي حتما الى الثورة . وقد تكون اشد عنفا وتقتضي تضحيات اكثر كلما حصل تأخير في التنمية . فينبغي لحل مشاكل التنمية الكبرى اتخاذ الاجراءات اللازمة وادخال تغييرات جوهرية على الاجهزة للقضاء على الدوائر المفرغة وتفجير الطاقات الكامنة والكفيلة بتحقيق التنمية .

ان نظرية توزيع المداخيل تفضي مباشرة الى مسألة الادخار والتمويل ويلاحظ ان الطبقات التي لها مداخيل مرتفعة وبالاخص منها الطبقة الرأسمالية هي التي تدخر وتمول المشاريع . مما جعل الكثير يستنتج بأن عدم المساواة في التوزيع شرط في التنمية ، بل هو العامل القوي فيها .

فهل يصح ذلك بالنسبة للاقطار المتخلفة ؟ لهذا ينبغي بحث اثر عدم التساوي على القوى العاملة في التنمية .

ان السواد الاعظم من الفلاحين يعيشون في البؤس وسوء التغذية والجهل ، فيترتب عن ذلك ضياع عظيم في الموارد الانسانية والمادية وضعف في الانتاج وجودته . ولتحسين جودة الانتاج يلزم رفع مداخيل الفلاحين ، اذ لا يمكن للانسان أن يقوم بمجهود الا اذا كان مطمئنا على جني نصيب عادل عما يؤديه من عمل .

ثم ان انخفاض اجور العمال ليس من شأنه ان يشجع على التقدم التقني أو تنظيم العمل بصورة علمية أو تحسين طرق تدبير المؤسسات . وهذه شروط أساسية لجودة العمل .

واذا كانت الاقطار المتخلفة لا تدخر سوى جزء ضئيل من دخلها الوطني فالسبب في ذلك — حسب راي

جمهور الاقتصاديين — هو ضعف دخل الفرد . انهم متفقون على ان الطبقات التي لها مدخول مرتفع هي التي تدخر ، اما الطبقات الفقيرة والمتوسطة فلا تدخر الا قليلا .

واذا سلمنا بأن الطبقات الغنية في البلاد المتخلفة تتمتع بمداخيل اوفر مما تتمتع به الطبقات الغنية في البلاد المتقدمة ، وسلمنا بأن هذه المداخيل تزداد في الاطوار الاولى من النمو الاقتصادي ، فقد نستنتج بأن نسبة ادخارها يزيد عن نسبة ادخار مثيلاتها في الاقطار المتقدمة وان هذه النسبة تتضاعف مع النمو الاقتصادي . لكن هذا الاستنتاج تفنده الحقائق . لان الطبقات التي لها مداخيل مرتفعة في الاقطار المتخلفة تبذر مداخيلها في الترف ، وتهرب اموالها . واحيانا تتردد في تمويل المشاريع ان لم تكن راضية عن سياسة الحكومة او لاسباب اخرى .

فنستنتج مما تقدم ان الادخار ضعيف في البلاد المتخلفة لوجود عدم مساواة في المداخيل . وعدم المساواة يترتب عنه فيض اقتصادي مهم نسبيا . لكن هذا الفيض يبذر من لدن الطبقات الغنية بينما يعيش جمهور السكان في وضع لا يتيح لهم اقتناء كل ما يحتاجونه من مواد الاستهلاك . ثم ان انحطاط القوة الشرائية للطبقات الشعبية في البلاد المتخلفة يجعل سوق هذه البلاد محدودا جدا فتتضاءل تبعا لذلك فرص تمويل المشاريع ويتخفض حجم التمويل وتقل المنشئات . فتكون النتيجة قلة الانتاج وانخفاض النمو في القطاع العصري .

زد على ذلك ان الفروق العميقة في توزيع الدخل الوطني وكذلك ضعف القوة الشرائية لاغلبية السكان يوجهان تمويل المشاريع بكيفية تتعارض مع ستراتيجية التنمية الحثيثة . فالطبقات العليا تستهلك المواد المستوردة وتحتقر الانتاج الوطني ، وتصرف بكثرة على سكناها ، وتعيش في بذخ مقلدة بذلك الطبقة المترفة في البلاد المتقدمة . بينما تحاول الطبقة الوسطى تقليد الاغنياء في معيشتهم وان كانت تستهلك في الغالب الانتاج الوطني . اما الطبقة الفقيرة وتتراوح نسبتها من 50 الى ثمانين في المائة من السكان بحسب مستوى الاقطار المتخلفة فلا تستهلك الا المواد الضرورية في اكلها وملبسها ، بينما لا تنفق الا النزر القليل في سكناها وفي تعليم أبنائها .

والملاحظ ان التمويل في البلاد المتخلفة يتجه نحو صناعة المنسوجات والمواد الغذائية والبناء ، فهذه هي الدعائم الثلاث للصناعات المتخلفة ، ويليها في الاهمية التجارة والخدمات . فاذا لم تتم المداخيل لتنويع الصناعات فان الانتاج في المواد الضرورية يصل حد الاشباع .

ثم ان القدرة التيكنولوجية تتعثر بسبب سوء توزيع المداخيل فتقل الحاجة الى المهندسين والفنيين والاطر المختصة ، ويكون تكوين العمال المختصين تكوينا رديئا لعدم امكان أبناء الطبقات الضعيفة ان تتعاطى التقنيات العصرية ، ويزداد عدد الاميين وانصاف المثقفين .

لهذا كله فان عدم المساواة في توزيع الدخل القومي يشكل حاجزا منيعا دون التنمية الحثيثة في الأقطار المتخلفة . ان مشكلة التخلف في عصرنا هذا مترتبة عن الفقر ولكنها مترتبة اكثر على سوء التوزيع.

— * —

ان توزيع الثروة والدخل في سوريا كغيرها من الاقطار المتخلفة يتميز بفوارق مجحفة . لقد كان النظام العقاري الى الحرب العظمى الثانية يمتاز باستيلاء كبار الملاكين عليه ، بل كانت الملكية الكبرى هي السائدة . ففي سنة 1958 عند صدور قانون لاصلاح الزراعي كان هؤلاء الملاكون — ونسبتهم لا تتعدى 2ر7 في المائة من مجموع المزارعين — يملكون 45 في المائة من الاراضي الفلاحية ، بينما 70 في المائة من الفلاحين لا يملكون أرضا . وعندما استصلحت مقاطعة الجزيرة الخصبة وزرع القطن بها بوسائل ميكانيكية اصبحت 90 في المائة منها في ملك اربعين شخصا، بعضهم كان يملك ما بين خمسين وستين قرية . وقد بينت دراسة قام بها المجلس الاقتصادي والاجتماعي للامم المتحدة ان ثلثي الاراضي الفلاحية كانت في يد ملاك ليسوا بمزارعين وانما كانوا يستأثرون بمردود غلتها .

ان الاتساع في الملكية الزراعية يتيح — نظريا — تطبيق التيكنولوجية العصرية مع حسن التسيير بأنجع الوسائل . لكن ذلك لم يتيسر في سوريا ، حيث كان النظام الجاري به العمل هو ترك الاراضي في يد « الخماسة » وكان اتساع الضيع وما تدره من أرباح باهظة توفر على الملاك الكبير عناء تمويل المشاريع في ضيعته والتفكير في جودة الانتاج .

اما بالنسبة لسكان المدن ، فقد ادت عدة عوامل الى انخفاض دخل الجماهير الشعبية خلال الحربين العالميتين ، نذكر من تلك العوامل انهيار الصناعة التقليدية وضعف نمو الصناعة الحديثة وتدفق

المهاجرين الارمينيين والازمة الاقتصادية العالمية . فترتب عن ذلك تدهور في الاجور ووفرة في البطالة . ومما يلي يتجلى ما كان عليه توزيع الثروة في سوريا قبل هذا :

75 ٪ من السكان (50 ٪ ريفيون و 25 ٪ حضريون) كانوا يستولون على 25 ٪ من الدخل الوطني اي 170 ليرة سورية (1 ل . س = 1ر3 درهم) لكل واحد في السنة .

22 ٪ من السكان (11 + 11) كان لهم 42 ٪ من الدخل الوطني اي 800 ل . س لكل واحد في السنة .

3 ٪ (3ر1 + 7ر1) كان لهم 33 ٪ من الدخل الوطني اي 6.000 ل . س لكل واحد في السنة .

ان عواقب هذا الاجحاف في توزيع الثروة كانت بالغة الاهمية ، اذ ان اجهزة التربية والثقافة وأجهزة القدرة التيكنولوجية والقوى السياسية كلها يتحكم فيها انعدام العدل في هذا التوزيع . وحالة كهذه تشكل حاجزا منيعا دون التنوع في الانتاج وانشاء المنجزات الكبرى في شتى ضروب الصناعة . مما يقضي على القطاع العصري بالجمود ويضطر الرأسمال الوطني الى الفرار للخارج طلبا للاستثمار في مشاريع مربحة .

ان الفروق العميقة في توزيع الدخل الوطني الذي تميز بها النمو الاقتصادي في سوريا وما نجم عنها من ركود فتحت الباب على مصراعيه منذ سنة 1956 لتسرب الدعاية الايديولوجية والعمل الثوري . ومنذ ذلك الحين دخلت البلاد في طور تغيير يمكن ان نسميه بثورة دائمة . واخذت الاوضاع تسير بسرعة وتزداد تطرفا تحت ضغط الظروف الموضوعية لحالة التخلف التي استفحلت وسط عالم تسوده الحركة والتغيير ، وتحت عامل تنبه الوعي العام للمهام المستعجلة في القيام بالبناء القومي .

لقد شرع في برنامج الاصلاحات الاولى ما بين سنتي 1955 و 1966 باحداث البنك المركزي السوري والمصادقة على ميزانية للتنمية الاقتصادية وانشاء منظمات اقتصادية مناسبة لاتخاذ ستراتيجية عامة للتنمية وتنفيذها واتخذت سلسلة اصلاحات جديدة اكثر اهمية خلال سنة 1959 و 1961 ابان الوحدة مع مصر أهمها الاصلاح الزراعي ونظام التعاضديات ، ومساهمة العمال في تسيير المعامل وارباحها ، والضمان الاجتماعي ، والتأمينات . وقد توقفت الاصلاحات سنة 1962 بسبب الانفصال ثم استؤنفت سنة 1963 . ولم تدخل البلاد في طور الاصلاحات الثورية الا ما بين سنتي 1965 و 1966 بالاتجاه بها في نهج اشتراكي ظاهر . وقد وضع تصميمان خمسيان لهذا الغرض اولهما (سنة 1961 — 1965) والثاني (سنة 1966 — 1970) .

فقضى الاصلاح الزراعي على امتيازات الطبقة العليا والطبقات القديمة المالكة كما قضى على ارباح الوسطاء . وآل معظم المداخيل والارباح الى الدولة والعمال المنتجين . كما وضع حد لهجرة رؤوس الاموال وقد حقق الدخل الوطني نموا بلغ 9ر16 ٪ سنة 1965 اي بعد نهاية التصميم الخمسي ويتوقع ان يحقق التصميم الخمسي الثاني نموا يبلغ 6ر21 ٪ . ورصدت ميزانية هذا التصميم 17 ٪ للسكن و 37 ٪ لتجهيز البلاد بالآلات و 31 ٪ للصناعة .

— * —

يبدو ان كل مجتمع يهتم قبل كل شيء بوسائل العيش المادي قبل ان يهتم بقضايا الثقافة حسب المثل القديم «العيش اولا والفلسفة بعدذلك» وهذه النظرية خاطئة لان التعليم والثقافة هما القوة المحركة الاساسية في تنمية المجتمعات . اذ ان كل انتاج اجتماعي يمثل في آن واحد انتاجا ثقافيا ويجسم مآل اليه الجهاز العقلي من تطور . وكل عمل انساني يفترض قدرا من الذكاء في استنباط هذا العمل وانجازه .

الحقيقة ان الابداع الثقافي والابداع المادي ليسا سوى مظهرين متلازمين للنشاط الاجتماعي . والثقافة لا تنمو وحسب في نهاية طور من الاطوار التاريخية او في بدايته ، وانما تبتدع خلال مسيرة كل واحد من هذه الاطوار . ان الثقافة وروائع آثار الحضارة لا تنبت دفعة واحدة فوق الرفاهية المادية المكتسبة ، وانما تغرس جذورها في تجربة كل طور من اطوار المجتمع .

في تيه الحياة المتشعبة لعصرنا هذا ، وفي حياة الغد التي ستكون اكثر تشعبا بسبب وفرة المعلومات والدعاية ووطأة التقنية التي تنيخ بكلكلها على الفرد ، يكون التعليم المتواصل هو النور الوحيد الذي يمكن ان يهدي الانسان . ان مستوى لا غنى عنه من التعليم لا يثقل ميزانية الافراد ، بل يتيح لهم الاداة الضرورية لخلق ما يحتاجونه من خيرات مادية وفكرية . ان الاقل الحيوي الذي لا يشمل قدرا لا غنى عنه من

التعليم ليس في نظرنا باقل حيوية للانسان. اذ الفرق بين الرجل المتعلم والامي هو الفرق ما بين انسانيتين. فالامية والجهالة تعتبران اليوم امراضا ومجاعات اشد ضراوة من المجاعة المادية .

ينبغي اعتبار التعليم « صناعة » تهدف الى استثمار مورد طبيعي من موارد الشعب وهو العقل وان احتكاك هذا المورد مع الموارد الطبيعية الاخرى من شانه ان يكون كل الخبرات المادية والثقافية . ولكي يتاح للعقل الذي ظل خلال قرون عديدة يرسب في شكليات عقيمة ان يصبح في مستوى حضارة العلم والتقنية ، ينبغي ان ينبه وينمى بالتعليم .

لا محيد عن بلوغ مستوى من التعليم كي يصبح اي وسط اجتماعي متقبلا « للرسالة » العلمية والتيكنولوجية وهضمها . وهو الشرط اللازم لكل تنمية حديثة . ان تنمية الأقطار المتخلفة ضرورة من ضرورات العصر المطلقة ، وهذه التنمية اقتصادية واجتماعية وتعليمية وثقافية في آن واحد .

ان نشر التعليم يجب ان يعم الطبقات الفقيرة لجني اكبر مردود اقتصاديمن نفقات التعليم . ولا يمكن بلوغ ثقافة عليا ، وتكوين اختصاصيين كبار في اي ميدان من الميادين الا اذا كانت قاعدة التعليم واسعة . ففي دائرة المثقفين الصغار والمتوسطين ، وفي جو التنافس يمكن اصطفاء ذوي الكفايات. وأهم اداة للرجل هي الفكر .

ان الاقطار الاشتراكية ، التي كانت أجهزتها القومية قريبة من أجهزة البلاد المتخلفة ، قد أعادت تنظيم تعليمها بعد ما استكملت ثورتها . ونهضة المجتمع السوفياتي الخارقة يرجع سببها الى ما حققته من نمو سريع في جهازه التعليمي . وقد اهتم كثيرا بالثقافة التي تعد سلاحا انجع من التصميم . والبلاد المتخلفة ، ما لم تنهج سياسة حاسمة في تعليمها ، ستظل دائما متوقفة اكثر فاكثر على المعونة الخارجية بحيث تبقى سائرة على درب التخلف .

ومن الضروري للبلاد المتخلفة ان تنهج سبيل البحث العلمي بكل ما لديها من الامكانيات في جل المجالات .

ومن آكد مهام البلاد المتخلفة ان تعزز الثقافة الحديثة وسط شعوبها .

ان العقل الذي يفكر في قضايا الحاضر بالنظر الى القديم لهو فكر جامد ميت .

خلال الانتداب كان نظام التعليم بسوريا صورة طبق الاصل لما كان عليه بفرنسا . وكانت اللغة والثقافة الفرنسيتان تستأثران بالنصيب الاوفر من البرامج ، اما المدرسة فكانت منفصلة عن الحياة الوطنية والاجتماعية تلقن تعليما نظريا لأبناء الطبقات العليا والوسطى ليتكون من بينهم موظفو النظام ومستخدموه . اما ابناء العائلة الفقيرة فكانوا يلقنون تعليما مهنيا وتقنيا . وكان هذا التعليم ضعيفا جدا . وكانت المدارس تنشأ لا على اساس قومي ، بل على اساس عقائدي أو طائفي أو لتلقين ثقافة اجنبية ، فكان هناك اربعون نوعا من المدارس . وكان التعليم العالي محدودا جدا وخاصا بابناء الاسرة الكبيرة . ولم يكن يسمح لأبناء غير هذه العائلات بدخول جامعة دمشق التي اسسها فيصل سنة 1919 وأنشئت بها كلية للحقوق وكلية للطب . فكان الطلبة يرحلون للجامعة ببيروت او باقطار اخرى .

بعد حصول سوريا على الاستقلال ، شرع في اصلاح التعليم سنة 1946 فأعطيت الاولوية في المناهج للغة العربية وحذفت اللغة الاجنبية من المدارس الابتدائية ووحدت برامج الدراسة فلم تبق الحرية في انشاء المدارس على أسس غير قومية ، ونص دستور 1950 بعد ذلك على اجبارية التعليم ومجانيته . لكن هذا الاصلاح لم يمس جوهر التعليم . فلم يحدد أهدافه ولم يوفق بينه وبين حاجيات المجتمع وضرورات تنميته بل كان هم المدرسة تكوين حاملي الشهادات فقط . وتم اصلاح جديد للتعليم في سنة 1952 واصلاح ثالث سنة 1957 ، لكن هذه الاصلاحات كانت تتسم كلها باخطاء اساسية : الارتجال مجافاة الطرق العلمية في التخطيط، وسرعة التطبيق . مما احدث تدهورا في سير التعليم وانخفاضا في مستواه وساعد على ذلك ضعف كفاءة الادارة الساهرة على التعليم وضعف مستوى المعلمين. فبقي التعليم بسوريا يتخبط في المشاكل ، وان كان عامل الزمان قد ساعد على تخريج اطر تعليمية ذات كفاءة واكثر وعيا بمسؤولياتها التربوية .

ومنذ سنة 1966 بوشر اصلاح واسع في نظام التعليم ، واذا كانت المعلومات تنقصنا عن هذا الاصلاح ، فقد روعي فيه تخطيط معقول للتربية الوطنية على اساس التنمية ، والعناية بالدراسات والمناهج العلمية ، والاستمرار في التلقين وتحسين اجهزة المدارس والكتب المدرسية والاهتمام بالمكتبات وبالشؤون الصحية والغذائية للتلاميذ .

ونظرة على الاحصائيات المتعلقة بسير التعليم فى سوريا منذ الاستقلال تدلنا على انعدام سياسة تعليمية معقولة ، فالى أواخر الخمسينية الاولى من هذا القرن لم تكن هناك دراسة جدية لربط نظام التعليم بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية . وان ما حققه التعليم خلال هذه الحقبة من تقدم يختلف باختلاف الاحداث السياسية للحياة الوطنية بسوريا .

كان التعليم الابتدائي يشمل 22.000 تلميذ 1924 — 1925 فبلغ فى سنة 1966 : 688.165 تلميذ . وكان عدد المدارس الابتدائية 1925 يبلغ 336 فبلغ عددها 3.804 فى سنة 1964 ، بينما ارتفع عدد المعلمين من 2.493 الى 14.248 بين 1946 و 1964. اما تطور المدارس الحرة فيختلف عن تطور المدارس العمومية ، حيث أن التعليم الحر يتأخر كلما تقدم التعليم الرسمي .

والتعليم الثانوي ، وان كان فى تقدم مطرد ، الا انه يختلف بحسب الظروف . فلقد كان عدد التلاميذ سنة 1925 يبلغ 6049 تلميذ فاصبح 34.354 سنة 1960 ، وقد بلغ هذا العدد 139.500 سنة 1967 اما الاساتذة فقد بلغ عددهم 5204 سنة 1966 ؛ بينما لم يكن هذا العدد يتعدى 672 سنة 1947 . والملاحظ ان نسبة الفتيات اللائي يدرسن فى الثانوي تبلغ ربع العدد ، وان ثلثي التلاميذ يتابعون دراسات ادبية والثلث الباقي هو الذي يتلقى تكوينا علميا . اما التعليم التقني والمهني فقد بقي مهملا الى سنة 1955 .

والتعليم العالي بسوريا فى توسع مطرد ، فقد بلغ عدد الطلبة 31.160 سنة 1964 بينما لم يكن عددهم يتعدى 404 سنة 1932 . لكن الملاحظ ان هذا التوسع تم لفائدة الشعب الادبية والقانونية بالأخص .

اما عن النشاطات الموازية للتعليم فكانت تنحصر فى المناقشات والمظاهرات السياسية بحيث استطاع التلاميذ والطلبة ان يكونوا جماعة ضاغطة كان لها أثرها فى الاطاحة بديكتاتورية العقيد الشيشكلي . ويسهمون الى جانب ذلك فى اعمال « الفترة» كالقيام ببعض المشاريع العمرانية ، ويشتركون فى الحركات الكشفية بنسبة ضئيلة ، ولا يتعاطون تلاوة الكتب الا قليلا . لكن الفترة الاخيرة شاهدت توسعا فى المكتبات باهم حواضر سوريا وفى اقتناء الكتب وترغيب الطلاب فى التلاوة . وتقوم بهذا النشاط وزارة الثقافة والسياحة والارشاد الوطني ومن مهامها انشاء مراكز ثقافية شعبية ومكتبات ومتاحف واخراج الافلام وطبع الكتب والمجلات الى غير ذلك . لكن ميزانيتها ضئيلة .

وقد اتسع ميدان المطبوعات فى سوريا فبلغ مجموع الصحف اليومية 36 صحيفة سنة 1952 بينما بلغ عدد المنشورات الدورية فى تلك السنة 32 . اما الكتب فقد صدر منها 458 عنوان سنة 1965 منها201 فى العلوم الاجتماعية (50 فى القانون) و 105 فى العلوم التطبيقية . وهذه الارقام لا تمثل الا القليل مما يستهلكه القراء من كتب عربية تأتي بالاخص من مصر او لبنان .

لكن الاذاعة والتلفزة تلعبان دورا رئيسيا فى نشر الثقافة الجديدة أكثر من المطبعة . وذلك عن طريق التنوع فى البرامج الوطنية وما يلتقطه السوريون من شتى البرامج فى كافة انواع المعرفة من المحطات التي تبث فى المنطقة او فى غيرها . كما ان للسينما دورا مهما فى هذا الميدان .

اما البحث العلمي ، فكان مقتصرا الى امد قريب على « المجمع العربي » بدمشق الذي انشىء سنة 1919 ، وفى سنة 1964 اسس « الاتحاد العلمي العربي » الذي يوجد مركزه بالقاهرة والذي تشارك فيه سوريا . وقد نص المخطط الخمسي (1966 — 1970) على انشاء مركز للبحث التكنولوجي ومعهد للتخطيط وبرنامج علمي رصد له 15 مليون ليرة سورية . وهكذا وضعت الاسس لاحداث معهد قومي للبحث العلمي .

اما محاربة الامية ، فكانت تسير سيرا بطيئا الى سنة 1967 حين وضعت برامج لاستئصال شأفتها.

— * —

ان كل ما يجري من احداث وتحولات فى سوريا منذ فجر النهضة العربية الى اليوم يهدف الى شيء واحد ، ابراز الشخصية الوطنية السورية . فى سبيل هذا الهدف يكافح المجتمع بشتى طبقاته وتشكيلاته. وكل هيئة اجتماعية او سياسية لا تخدم هذا الهدف محكوم عليها بالفناء .

لقد انفصلت سوريا عن تركيا بالرغم عن الاواصر التاريخية والدينية التي تجمع بين البلدين لان الاتراك والسوريين لم يتوفقوا الى حل يضمن نمو شخصيةكل منهما على حدة . وقد وضع العرب الثقة فى الحلفاء اثناء الحرب العالمية ، واعلن السوريون استقلالهم سنة

1919 ؛ لكن فرنسا وبريطانيا العظمى والصهيونية قررت غير ذلك وخفر الحلفاء كل العهود فمزقوا سوريا كل ممزق وفرضت انجلترا وفرنسا سيطرتهما عليهما والحقت فرنسا مقاطعة عربية بتركيا واخذت انجلترا في صهينة فلسطين . فكان ذلك سبب المأساة والاضطراب الذي لحق الضمير العربي ، وما اعقبه من آثار على فكره وعلى علاقاته مع العالم المعاصر وخاصة مع الغرب الى يومنا هذا .

بدا طور الكفاح ضد المستعمر للحفاظ على الكيان العربي . وباتصال سوريا ولبنان بالثقافة الفرنسية استمدتا منها مقومات جديدة لمواصلة الكفاح في سبيل اثبات ذاتيتهما . ووجدتا في الحرب العالمية الثانية مادة غزيرة لمتابعة النضال الى ان نالتا استقلالهما سنة 1945 فبرزت شخصيتهما على المسرح العالمي .

حينئذ اتسع نطاق الكفاح القومي وتنوع وتعمق ، فاتجه الى اعادة النظر في الاوضاع والى البناء والتحرر من الجهالة والبؤس والخوف والذل وتحقيق تنمية الاقتصاد والثقافة واعادة الكرامة الوطنية الضائعة . وكلما تقدم النضال خطوة استهدف اغراضا جديدة . ولم يتم ذلك في يسر ، بل وسط عواصف ، واصبحت البلاد عبارة عن مخبر تتعاقب عليه فئة بعد اخرى . فتنفجر تشكيلات سياسية واجتماعية وثقافية لتحل محلها اخرى ، بينما تتغير القيم تبعا لاطوار الكفاح ، ويظل المبدأ الاساسي هو التنمية الوطنية وفي اثناء هذه المسيرة تتعرض سوريا لاحداث وازمات جسيمة وترتبط باحلاف جديدة ، وتسعى لتحقيق الوحدة العربية ، والثورة الاشتراكية العلميةوالثقافية والتنمية الاقتصادية .

في هذه البوتقة يتكون مجتمع سوري جديد بثقافة جديدة ترتكز على ركيزتين : الاصالة والابداع

— * —

ان الخصائص الاساسية لثقافتنا هي خصائص كل جهاز في طور التكوين والتغيير السريع . فهي تستمد من الغير باستمرار وتقلده ، ويغلب عليها طابع التبدل وعدم الانسجام ، والسطحية ، اننا لا ننعم بفوائد المعلومات والتقنيات التي نأخذها عن غيرنا ان لم نشارك في ابداعها ، ولا نحصل على الثمرات الفكرية والمعنوية الناتجة عن العمل الابداعي . فالذكاء ينمو بالاتصال الملموس بين الرجل والطبيعة : هو يريد استكناه اسرارها والسيطرة عليها وهي تتمنع ولا تسلس القياد الا للجراة والارادة الصلبة . وهكذا تتكون ملكات الرجل المبدع من ارادة وعزم ، وتفكير منهجي يبحث بجد مع ايثار وتواضع وموضوعية . فتتفتح شخصية الانسان بمشاهدة ثمرة جهده . اما استجلاب التقدم فيضيع كل ثمرات المجهود المبدع .

ما دمنا نجلب التقدم دون المشاركة في الخلق والابداع ، فلن نحصل على الفكر العلمي وسنبقى دائما سطحيين . نستعين عن عجزنا بالمباهاة بالماضي ، محملين الغير عيوبنا وامراضنا . وستظل شخصيتنا في انحطاط وتدهور . هذا هو شعور الاقطار المتخلفة وهو كذلك شعور السوريين والعرب عامة الذين يجدون في تمجيد الثقافة العربية الكلاسيكية وما اسداه العرب في الماضي من فضل كبير للغرب في ميدان العلم والتقنية مبررا ودفاعا للتأخر الذي يعانون منه منذ ازيد من قرن . لكن الامة التي تقاسي مرارة التخلف لا تكتفي بذلك ، بل تريد ان تستمد من التقدم العصري وسائل تشجعها على مواصلة السير في طريق الابداع . وهذا هو المعنى العميق للكفاح الوطني الذي يهز كيان المجتمع العربي المعاصر . وسوريا تعتبر مثالا لذلك حيث تريد تحقيق مشاريع تنميتها بأيد وكفاءات عربية .

لقد بدات اوروبا تحس بنفس الشعور ازاء تقدم الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي . ونرى اليوم سويسرة على صغرها تشارك في ميادين الخلق والابداع فتدلنا على طريق التنمية القومية . فالابداع في جميع الميادين : العلمية والتكنولوجية والاقتصادية منها ، والفنية والثقافية بوجه عام شرط ضروري لكل امة تريد استرجاع كرامتها واصالتها بل ووجودها والمحافظة عليها .

ان من خصائص ثقافتنا كذلك عدم الانسجام الناتج عن مستويات التقدم الذي يمثل كل طور من الاطوار التاريخية التي مر بها مجتمعنا . ويمثل ذلك في ثلاث فئات : فئة تتصور العالم حسب الثورة العلمية والتكنولوجية المعاصرة . فهي تتطلع لتحقيق تقدم سريع لمجتمعها حسب ما وصل اليه الفكر البشري من استكشافات واختراعات ان لم يكن في العاجل ففي مستقبل قريب . وفئة ليس لها الا اطلاع بسيط على معلومات العصر ، وليس لها فكر علمي ، فلا تستطيع التوفيق بين ما تعيشه من تغير وما يجري في واقع

مجتمعها ، وتظل الفجوة متباعدة بين ما تحسه وما تراه . وفئة ثالثة كل معلوماتها وحياتها تستند على اساليب ومعتقدات وتقاليد متحجرة ترجع جذورها الى ماض سحيق ، فلا تتبدل الا بكثير من البطء .

والفروق بين هذه الفئات الثقافية هي الاصل في التناقضات والخلافات من جميع الانواع الموجودة في المجتمع المتخلف ويلاحظ الخلاف حتى في الحديث والاتصال ذلك ان مدلول الالفاظ والعبارات يختلف بين فئة واخرى ، لأن المصطلحات غالبا ما يستعرضها المتحدثون دون وعي بالمعاني التي تشير اليها . وهكذا تردد كلمات علم وثورة ثقافية وغيرها دون معرفة ما وراءها من مدلولات . اما الآثار النفسية لهذه الفروق الثقافية في المجتمع فبالغة الخطورة تتجلى في سلوك الفئات المذكورة ، هناك شباب خيالي لا يستطيع التوفيق بين احلامه وبين الواقع فينتهي بالتمرد ، وهناك آخرون يرضون بالواقع ولكنهم يبقون صراع ضمير دائم مع انفسهم ويشعرون بعقدة الذنب ، وهناك فئة ثالثة تنهج سبيل الثورة لتحقيق التنمية القومية .

ثم ان من خصائص ثقافتنا التصاقها بالقضايا الخطيرة والمستعجلة لحياة الامة . فالالتزام وخوض المعارك السياسية يستأثران بجهود المثقفين العرب وخاصة السوريين .

— * —

ان اجهزة الاقطار المتخلفة سواء منها المتعلقة بتزايد السكان ، وبالاوضاع الاقتصادية والاجتماعية معرضة في الوقت الحاضر الى تغييرات سريعة ، تترتب عنها اعادة النظر في المجتمع باسره : في وسائل معيشته، في تاريخهوثقافته ونفسيته وعلاقاته الداخلية والخارجية . فينبغي ان نعرف مدى تأثير هذه التغيرات على التنمية الحثيثة ، وخاصة مدى تأثير القوى السياسية عليها .

تشكل التغييرات والمنظمات السياسية في بعض اطوار التاريخ قوى محركة لتنمية المجتمعات . فتقوم الدولة بالوظائف الاساسية للتنمية بتأمين سلامة الجماعة وصيانة مصالحها الحيوية والاضطلاع بالمهام الخلاقة والمنتجة والقيام بالاعمال العمرانية وتنظيم الانتاج وتوزيع المنافع والخدمات . وفي احيان اخرى تؤدي التغييرات الى صعود طبقة حاكمة تصبح عاملا من عوامل الجمود وذلك ابان الحروب او الفتن التي تحيد بالدولة عن الاضطلاع بمهامها . وعلى وجه العموم تصبح الدولة سلبية حين لا تستطيع القيام بالوظائف الرئيسية التي يفرضها عليها طور من اطوار التاريخ او حالة جديدة ، او اذا وقفت حاجزا في وجه الاصلاحات الضرورية محافظة على اجهزة سياسية واجتماعية بالية . وتتوقف أعمال الحكم على علاقاته مع المجتمعات المعاصرة وبالنسبة لتقدم الحضارة بوجه عام . ويبدو ان المهام الاساسية للقوى السياسية في البلاد المتخلفة تتلخص في حل مشكلة التنمية بمباشرة ستراتيجية شاملة ومناسبة للاوضاع .

وعمل كهذا يقتضي تغييرات سياسية واجتماعية عميقة ووضع جهاز خلاق في موضع الحكم . ومثل هذا الجهاز لا ينبع عن أجهزة جامدة ولا يتأتى بمحاكاة تجربة تاريخية مخالفة . وانما ينتج عن المجتمع نفسه من خلال تجاربه المستمرة ونضاله . ثم ان الجهاز الحاكم تعترضه اثناء مسيرته عدة قضايا ومشاكل متشبعة . فعلى كل مجتمع ان يعالجها حسب ظروفه الخاصة وحسب محيطه الجغرافي والسياسي ومحيطه الجغرافي والاقتصادي كذلك .

وينبغي تحليل التجارب التي مرت بالأقطار المتخلفة وخاصة منها التي نهجت سبيل التنمية وكذلك تجارب البلاد التي نهجت هذا السبيل مؤخرا مثل البلاد الاشتراكية واليابان واستخلاص العوامل التي كان لها دور في تنميتها ، مع اخذ الخصائص الذاتية لكل مجتمع مأخذ الاعتبار .

— * —

ان مضاعفة السكان في اي قطر لا يعتبر ضارا به. فالازدياد الديمغرافي هو الذي كون قوة مهمة ان لم تكن حاسمة اثناء النضال القومي وافضى الى الاستقلال السياسي لكثير من الاقطار المستعبدة . وهذا الازدياد هو الذي اصبح يضغط على الحكومات الفتية — بعد التحرر — ليحملها على الاخذ باسباب التنمية الحثيثة . والجماهير التي يزداد عددها تطالب بالاصلاحات وتكتسح الحكم . فالتنمية لم يعد في نظرها ترفا بل ضرورة ملحة . والجماهير من الناحية الاجتماعية والثقافية تعتبر قوة عظيمة في مجال التحول السريع . وهناك رابطة قوية بين الازدياد الديمغرافي وبين التطور التقني .

ان اي مجتمع يتضخم عدد افراده لهو مجتمع ديناميكي بما يثيره من التنافس في الراي والعمل . والشباب دائما متطلع الى التغيير والتجديد . وهذه الظاهرة تتجلى بالاخص في المجتمعات المتخلفة التي يزداد عدد افرادها . فالضغط الديمغرافي المتزايد يحتم على المجتمعات ان تبحث عن التقدم التقني وتنمي نظامها الاقتصادي والاجتماعي فيترتب عن ذلك تغييرات في الاجهزة الاجتماعية وفي العقليات .

وفي الميدان الاقتصادي الصرف يعتبر الازدياد الديمغرافية في الاقطار المتخلفة قوة للنمو ، لا حاجزا . وقد رأينا قبل هذا كيف ان توزيع الثروة بصفة عادلة على مختلف الطبقات عامل من عوامل التنمية . وقد ننسى ان ازدياد السكان لا يعني فقط ازدياد الافواه الآكلة ولكن ايضا ازدياد السواعد العاملة .

هذه الحقائق قد ظهرت صحتها في البلاد المتخلفة ، كما ظهرت صحتها في سوريا كذلك .

— * —

منذ نشأت المدنيات الاولى في الشرق الاوسط وتاريخ هذه المنطقة يتارجح في الزمان والمكان بين التنمية والتخلف . وترجع اسباب تخلفه الى توسع الراسمالية في اوروبا وامتداداتها الطبيعية ، كما يعود الى الثورات الصناعية التي تمت في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر . ومنذ الحرب العالمية الاولى نشاهد انقلابا في الوضع الذي كان سائدا اذ ذاك . فهل يصبح في المؤخرة من كانوا في المقدمة ؟ وهل تنمية البعض تقتضي تأخر البعض الآخر ؟ وهل هناك قانون تاريخي حتمي ؟ أم ستستطيع الانسانية ان تسيطر على القوانين الطبيعية فتصنع تاريخها بنفسها؟ لا يستبعد اي احتمال ، ولا نخال اي مجتمع محكوما عليه بالتخلف وآخر بالتفوق . بل كل مجتمع معرض لضغط للقوى الداخلية فيه والخارجية عنه تلك القوى التي توجهه احد الاتجاهين .

بيد ان التجربة الطويلة التي اكتسبتها الانسانية ، وتقدمها الكبير في معرفة قوانين التاريخ ، والتقارب الذي تم بين المجتمعات بسبب التقدم في الاتصال والمواصلات ، كل ذلك ايقظ الوعي بالقضايا الكبرى التي تواجهها حضارتنا وبالفوارق بين مجتمع وآخر . واصبحت الانسانية تدرك روابط التضامن بين أجزائها وتحاول تسوية ما بينها من تناقضات . وفي نفس الوقت يتيح لها التقدم العلمي والتقني وسائل تحقيق هذا العمل . ان سبيلا جديدا — فيما يبدو لنا — يقوم لا على اساس السيطرة والاستغلال بل على اساس التبادل العادل الكفيل بازدهار الجماعات والافراد ، قد برز الى الوجود . وهذا الطريق متيسر ، ويدخل في سلسلة الاحداث من خلال النضالات القومية والدولية .

انه ليبدو لنا ان التنمية الحقيقة ضرورة مفروضة على الاقطار المتاخرة ان هي ارادت ان تلحق بالاقطار المتقدمة وتسهم واياها على قدم المساواة في خلق الحضارة التي هي في طور السير . والتنمية لا تعني وحسب توفير الخيرات المادية ، بل وكذلك ازدهار الافراد ، وحسن تكوينهم ماديا ومعنويا . فهذه هي الغاية النهائية لكل تنمية .

فهل تستطيع الأقطار المتخلفة أن تضطلع بمهام التخلف العويصة المتشعبة ؟ للتغلب على هذه المشاكل لا يوجد سوى سبيل واحد مفيد للجماعة الانسانية قاطبة : هو التعاون المخلص والودي بين جميع الاقطار ، التعاون الرامي للتنمية العامة ، شريطة ان تتخلص البلاد المتقدمة من مركب الاستعلاء والاستعمار . وستكون التنمية العامة في آن واحد تنمية لجميع البلاد ولجميع الافراد . هل هذه « أوطوبيا » ؟

على كل ، فان آفاقا جديدة ومثيرة تبدو امام المجتمعات والافراد . وقد لا يحققون غايتهم بصفة آلية . وقد يؤدي العلم والتقنية والنزاعات بالانسانية الى كوارث فادحة . ولكن الغايات السامية لم تحقق عبر التاريخ بدون جهد شاق وبدون حماس . فينبغي ان نكون متفائلين في نضالنا لتحقيق ما نتوق اليه من تنمية في عصرنا . اذ ان تحقيق التنمية العامة وتخليص الانسانية من « ماضيها السخيف » واحلال قانون اخوي بين الناس بدلا من قانون الادغال يتوقف على تكاثف الجهود .

تلخيص : قاسم الزهيري

كتاب عن :

التأثير العربي في الحضارة الاسبانية

للأستاذ حسن الوراكلي

تكرم الصديق الاستاذ الدكتور كارلوس أريان فبعث الي ، لاسابيع مضت ، نسخة من كتاب « التأثير العربي في الثقافة الاسبانية » Influencia arabe en la cultura española الذي صدر مؤخرا ، ضمن سلسلة « مواضيع اسبانية » التي يشرف الدكتور اريان عليها .

وموضوع الكتاب ، كما يبدو من عنوانه ، يدور حول هذه العطاءات المتنوعة في اللغة والادب ، وفي الفكر والفن ، تلك التي اسهمت بها ثقافة الاسلام في تكوين الثقافة الاسبانية بصفة خاصة والثقافة الاوربية بصفة عامة ، وهو موضوع كما لا يخفى على المشتغلين بتاريخ الاندلس في مجالاته المختلفة سبق ان عولج بأقلام مستشرقين أسبانيين وغير اسبانيين كما عولج باقلام كتاب غربيين وكتاب عرب ، ومع ذلك فان لكتاب «التأثير العربي في الثقافة الاسبانية» ما يميزه عن الدراسات الكثيرة التي الفت عن حضارة العرب في الاندلس وما كان لها من تأثير جلي في اسبانيا واوربا بعامة ، ذلك انني حين مضيت اقرا هذا الكتاب استرعت نظري في فصوله خصيصتان هما : التركيز والاستيفاء مع الالحاح على الاولى ، ولست اقصد بهذا الى الزعم بان كتاب « التأثير العربي في الثقافة الاسبانية » يغني عن الرجوع الى الدراسات المطولة التي كتبت حول هذا الموضوع ، ولكني أحب أن أشير الى انه اذا لم يكن هذا الكتاب ليغني القاريء الدارس عن الرجوع الى تلك الدراسات ـ المصادر ـ فانه ، لا شك ، يقدم للقاريء العادي ، والقاريء العادي اصناف ، صورة اذا أخذ عليها ضيق رقعتها فليس يمكن الطعن في انجاح الوانها وتآلف خطوطها .

هذا الكتاب الفه الاستاذ كارلوس م كروبيزا Carlos M. Groupesa ، وهو اسم اتعرف عليه لاول مرة بين الاسماء العديدة التي اعرفها في مجال الاشتغال بثقافة الاندلس وقدرها . وقد صدر المؤلف كتابه بمقدمة قصيرة ، يقول فيه :

« تحتل اسبانيا مركزا فريدا في التاريخ باعتبارها ملتقى اربع حضارات متفوقة ، هي : الحضارة اليونانية ، والحضارة الرومانية ، والحضارة القوطية ، والحضارة العربية .

لقد اخترنا الحضور العربي في الثقافة الاسبانية موضوعا لهذا العمل ، وذلك لما نجده دائما من انجذاب الى كل ما هو شرقي ، ولما قامت به الحضارة العربية ، وهذا هو الاهم : بجانب الحضارة الرومانية من دور عظيم في الحياة الثقافية الاسبانية .

هذه الدراسة مقسمة الى اقسام ثلاثة . سنرسم في القسم الاول صورة لانتقال مقاليد الحكم من يد القوط Los Visigodos الى يد العرب في شبه الجزيرة الايبيرية ، وسنرصد في هذا القسم ما كان لاسبانيا من فضل على أوربا العصور الوسطى حين قدمت لها الثقافة الاسلامية . اما القسم الثاني فنلم

فيه بمبتكرات الادب الاسباني فى مراحله الاوليـة ، وهي تدل على وجود تأثير عربي سواء فى الشعـر الغنائي او الملحمي . واخيـرا ، فى القسـم الثالث سندرس الاسهام القيم للغة العربيـة فى المعجـم الاسباني »

وقد عنون المؤلـف القسـم الاول من كتابـه : « الحضارة العربية » ، وجعله فى فصلين ، اولهما سماه : « اسبانيـا القوطيـة فى فتـرات الفتح العربي » ، وفى هذا الفصل يذكر المؤلف الشعـوب المتباينة فى اللغة والثقافة تلك التي توالت على حكم اسبانيا حتى اذا انتهى الى ذكر القوط بين كيف انهم بالرغم من تبنيهم لعادات الرومان وقوانينهم واعتناقهم الدين المسيحي ، يمكن ، من جهة اخرى ، العثـور على ملامح لثقافتهم فى المعمار الاسباني مثل كنائس سان خوان فى بانياس Baños وكنيسـة مسيـح النور فى طليطلة وباب اشبيلية فى قرطبة ، ثم يستطرد المؤلف الى ذكر عملية الفتح العربي التـى امتـدت شرقا وغربا وكيف ان الفاتحين العرب حين انتهـوا الى شمال افريقيا بدأوا يتطلعون الى فتح جنـوب غرب اوربا ، وحينما يشير الى خيانة خوليان حاكم سبتة لوطنه انتقاما لشرفه الذي اهين فى شخصية ابنته من طرف الحاكم القوطي ، يعقب : « ان الرواية العربية تذكر احيانا بان الملك لودريـق Rodrigo هو الذي اعتدى على شرف بنت خوليان ، واحيانا اخرى تذكر بان المعتدي كان هو الملك غيطشة Witiza ودون ان نشك فى صحة الحادث نرى ان ذلك كان فقط حادثا عرضيا فى كارثة القوط التي لم يكن لهم مفر من تجنبها بعد فترة انحلال وتدهور » .

ويذكر المؤلف بعد هذا ان « المسيحيين الذين سقطوا فى يد المسلمين اثناء عملية الفتح الفوا فيما بينهم مجموعتين مختلفتين : احداهمـا مجموعـة المولدين Muladies او المرتدين عن المسيحية ، الذين اعتنقوا الاسـلام . والثانيـة هي مجموعـة المسيحيين المتعربين Mozarabes الذين حفظ لهم المسلمون حرية العقيدة واللغة وطريقة العيش » .

اما المسيحيون الذين فروا الى الشمال فقـد بداوا فى فترة متأخرة ، يشنـون الحـروب علـى المسلمون لاستعادة اراضيهم ، وهو يقول بان كثيرا من العرب الذين سقطوا فى يد النصارى حينذاك والذيـن عرفـوا فـى التاريـخ باسـم « المدجنيـن Los mudéjares » كان يسمح لهم بمزاولـة دينهـم وممارسة تقاليدهم والتحدث بلغتهم ، وقد ظل هذا التسامح المتبادل بين مسلمي اسبانيـا ومسيحييهـا معمولا به طيلة ثلاثة قرون حتـى ظهـر على مسـرح التاريخ المسلمون « المتعصبون » ــ بتعبير المؤلف ــ وهو يعني بهؤلاء المرابطين والموحدين الذين بـدأوا ــ فى زعمه ــ عهدا من الشغـب والمتابعـة وعـدم التسامح . والحقيقة ان نعت الدولتين المغربيتيـن بالتعصب والبداوة نغمة الفناها فى كتابـات بعـض المستشرقين « المتعصبين » ومن لف لفهم من بعض كتاب العرب المحدثين ، وحججهم فى ذلـك جميعـا واهية ، ليست تنهض للبحث وحقائق التاريخ . وفي عقب ذلك يذكر المؤلف ان «مسيحيي اسبانيا اجبروا، اخيرا ، مسلميها على ترك دينهم او مغادرة البلاد ، وقد عـرف هـؤلاء المسلمـون باسـم المورسكييـن Los moriscos او المسيحييـن الجـدد Los neocristianos » ولا احسب ان هذا الكـلام بحاجة الى تعليق يشرح دلالاته على التعصب وعدم التسامح الديني .

اما الفصل الثاني من القسم الاول فهو يحمـل هذا العنوان : « اهمية الثقافة الاسلامية ــ اسبانيا جسر ثقافي بين الشرق والغرب » وهو يرسـم فيه الملامح العامة لثقافة الاسلام فى مختـلف ابعادهـا وآفاقها ، مبينا رعاية بني أمية لهـذه الثقافـة فى الاندلس وتشجيعهم لاهلها ، ومبينا ، كذلك ، فضل العرب فى اسبانيا على شعوب اوربا ، لانهم كانـوا هم الذين علموها وفتحوا أعينها على كنوز الفلسفـة والعلم والفن .

وسمى المؤلف القسم الثاني من كتابه : « الاسهام العربي فى الادب الاسباني » وجعلـه ايضـا ، فـى فصلين ، عنون اولهما بـ : « الغنائية الاندلسيـة : الموشحات والخرجات والازجال » وعنون ثانيهمـا بـ « الشعر الملحمي عند مسلمي الاندلـس : اسطـورة «ازراق» » ، ومن جملة ما يقـرر المؤلـف فى هـذا الفصل ان اسطورة «ازراق» امير وادي الحجـارة التي أوردها بن لقوطية فيما اورده من اخبار قصصية وسطورية فى كتابه « تاريخ افتتاح الاندلس » كان لها تأثيرها ليس ، فقط ، فى الملحمـة الاسبانيـة وانما كذلك فى الملحمة الفرنسية كما يبدو واضحـا من ملحمـة انشـودة رولان Chanson de Roland ولعله من نافلة القول الاشارة الى ما تضمنته «ملحمة السيـن» من تأثيرات عربية انطلاقا من اسمها المأخوذ من اللفظ العربي « سيدي » والمعروف ان المستشرق

الاسباني خوليان ريبيرا درس هـذا الموضـوع في مطالع القرن الحالي . وانتهـى من هـذه الدراسة ، وكان القاها بمناسبة تعيينه عضـوا في الاكاديميـة الاسبانية للتاريخ سنـة 1915 ، الى تفنيـد آراء الدراسيين الذى سبقوه الى البحث فى نشأة وتطور الشعر الاسباني القصصي القائلة بأن هذا الشعـر تأثر بأنشودة الفعال Chanson de geste ، وهو راي العالم الفرنسي Gaston Parisاو تأثـــــــره بالاغاني الجرمانية التى حملها القوط الى اسبانيا ، وهو راي جماعة من الباحثين الاسبان ، وفى مقدمتهم منندث بلايو ومننـدث بيدال الذى كان يؤكد بأنـه « لمن العبث ان نلتمس فى اشعار الملاحم الاسبانيـة الاولى مؤثرات عربية » ، تقول : انتهى ريبيرا فى دراسته الى اثبات شعر قصصي اندلسي فى القرن التاسع الميلادي ، ثم مضى يقارن اسطـورة ازراق بالشعر القصصي الاسباني والفرنسـي . فوجـد ان الشعر القصصي الاندلسي البدائي لا يبدو لنا مجرد محاكاة جامدة لادب اجنبي ، فهو يروي اخبارا كانت ذكرياتها غضة، ماثلة فى الاخلاد ، اذا ذكرنا المـدة بين وقوع الحادث الذى تدور الاسطورة حوله وبين اندراجها فى مدونة تاريخية لا تكاد تعـدو قرنـا من الزمان ، تنشأ خلاله الاسطورة التى تتدرج فى ثنايا المدونة ، وتلك الاساطير الاندلسية تتفق فى هذا مع الاساطير الاسبانية ، ومن بعض النواحي مع الاساطير الفرنسية اللتين ظهرتا فى القرنين الثاني عشر والثالث عشر) .

اما القسم الثالث فقـد تناول فيـه المؤلـف « اسهام العربية فى اللغة الاسبانية » ، وبعد مدخل موجز فى التعريب بالعربية ، ينص المؤلف على ان الفتح الاسلامي لاسبانيا حمل بعض مسيحييها على الهجرة الى شمال البلاد ، اما الذين ظلوا منهم فى المناطق التى فتحها المسلمون فقد انقسموا فريقين : فريـق المسيحيين المستعربيـن Los mozarabes الذين عاشوا فى ظل الحكم الاسلامـي محتفظيـــن بلغتهم وتقاليدهم ودينهم ، وفريق ثان آمن واسلـم واستعرب ، ثم يقول المؤلف : « ان عامية اسبانيـا القوطية ، يومئذ ، كانت متأصلة الجذور بحيـث لم يكن فى وسع العربية تنحيتها والحلول مكانها ، وهذا هو ما يفسر السر فيما تنتهي اليه مسيحيو اسبانيا من ازدواجية فى اللغة Bilingüismo فكانوا يتحدثون العربية فى حياتهم العامة وعاميتهـم فى حياتهـم الخاصة ، وهذه الازدواجية ، كذلك ، هي التى اتاحت للكلمات العربية ذلك التسرب الدائم الى معجم العامية الاسبانية من نحو ، وكانت سببا ، من نحو آخر ، فى استيعاب العربية كثيـرا من الالفـاظ العاميـة الرومنسيـة » . وتحت عنوان « الكلمات الاسبانيـة ذات الاصل العربي » يقول المؤلف : « قدر ان اكثر من اثنين فى المائة من المعجم الاسباني من اصل عربي ، بمعنى ان حوالي اربعة آلاف من الالفاظ فى المعجم المذكور ذات اصل عربي . واغلب هـذه الالفـاظ اسماء ، وبعضها صفات وقليل جدا منها افعال » ويشير المؤلف الى ان بعض الكلمات العربية فى المعجم الاسباني ليست عربية خالصة ، ان العربية بدورها افادتها من لغات اخرى كالفارسية والاغريقية وغيرهما ويضرب امثلة للبرهنة على ذلك ، ويمضي المؤلف ، بعد ذلك ، متتبعا اسهام العربية فى مجالات العلـم والعمارة والادب ، برصد هذا الاسهام تحت عناوين مختلفة من مثل : « العربية فى العلوم » و « كلمات عربية في حديثنا اليومي » و « كلمات عربيـة فى ملحمة السيـد » و « العربية فى الالقـاب واسمـاء الاماكن » ، ثم يعقب على كل ذلـك برسم صـورة لحياة العرب فى اسبانيا علـى مختلـف مجالاتهـا وواجهاتها .

وفى خاتمة الكتاب يوضح المؤلف كيف انه قد حاول فى فصول الكتاب ، على ايجازها ، ان يبـرز تأثير الحضارة العربية فى الثقافة الاسبانية بخاصة والاوربية بعامة ، وهو اذ يعتـرف بوجـود كثير من الثغرات والهفوات التى قد تلفت نظر القارىء فى كتابه ـ ومن الانصاف ان نقول بأنها قليلة وغير ملفتة ـ يأمل ان يكـون قد وفـق الى رسم صـورة للتأثير العربي فى الثقافة الاسبانية وخاصة ما تمثل منها فى اللغة والادب .

تطوان ـ حسن الوراكلي



المغـــرب :

* اقيم بطنجة معرض الكتاب العربي العراقي الذي نظمته واعدته جمعية رسالة الطالب تحت اشراف وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الاصلي والذي تم تدشينه وافتتاحه يوم الجمعة 23 يوليوز 1971 بقاعة الكازينو البلدي بحضور سفير الجمهورية العراقية بالرباط والسيد الملحق الصحفي بسفارة العراق ـ والاستاذ عبد الله كنون رئيس رابطة العلماء المغاربة بحضور رجال السلطة المحلية وأعضاء الهيئات المنتخبة ورجال الفكر والثقافة والاعمال ووجهاء المدينة .

وقد اشتمل المعرض على ما يزيد عن 932 كتاب لمؤلفين عراقيين موزعة على شتى حقول المعرفة والموضوعات الاجتماعية والفلسفية والتربوية والقرآن الكريم وتفسيره وكتب الفقه والقانون والاقتصاد ونماذج عديدة من كتب الاداب واللغات والشعر والقصة والمسرحية والمقالة وكتب الجغرافية والتاريخ والتراجم وكتب التراث المحقق كما احتوى قسم من المعرض على نماذج الصحافة العراقية الحديثة والمجلات الشهرية أو الدورية .

* « أحكام الخلع فى الاسلام » كتاب صدر عن المكتب الاسلامي ببيروت تأليف الاستاذ الكبير فضيلة الدكتور تقي الدين الهلالي .

والكتاب يحتوي على مسائل حسن العشرة بين الزوجين ، والنشوز ، وبعث الحكمين ، والخلع ، مع براهينها من الكتاب والسنة واقوال الائمة وذكر اختلاف فقهاء الامصار فى الخلع .

ولا شك ان الدكتور تقي الدين الهلالي الف كتابه فى مسألة مهمة فى القضاء الاسلامي يخبط فيها القضاة خبط عشواء ، ويظلمون فيها أبناء آدم وحواء ، ولا يكادون يهتدون الى الحق سبيلا ...

وقد تشرف الدكتور تقي الدين باهداء هذا الكتاب الى جلالة الملك المنصور بالله الحسن الثاني ايده الله فتقبله جلالته احسن قبول .

وقد قدم الاستاذ الكتاب بالاهداء التالي الى صاحب الجلالة :

« الى عالم الملوك ، وملك العلماء من خصه الله بمزايا ومواهب شوت قلب الحسود ، وقرت بها عين كل مخلص ودود ، من اطلعه الله فى سماء المغرب شمسا مشرقة تمحو الظلام ، وتعشي عيون اعداء السلام : صاحب الجلالة ابن محمد الحسن الثاني ادام الله نصره وتمكينه وتوفيقه للخير ، وأعانه عليه وقر عينه وعيون شعبه بولي عهده سمو الامير سيدي محمد وبارك على آل هذا البيت الكريم وعلى جميع رؤساء وشعوب المسلمين آمين .

وقد تم طبع هذا الكتاب على مطابع دار القلم فى بيروت .

* غادر مطار سلا ليلة الثلاثاء 17 غشت الماضي وفد من العلماء المغاربة متوجهين الى موسكو على متن طائرة تابعة للخطوط السوفياتية اروفلوت للحاق بوفود اسلامية أخرى من بلاد المغرب العربي دعيت من طرف المفتي الاكبر لمسلمي الاتحاد السوفياتي السيد بابا خاتوف للقيام بزيارة للاتحاد السوفياتي يتفقدون فيها بعض المنشئات الدينية والثقافية فى الاتحاد السوفياتي وقد زاروا خلال هذه الرحلة كلا من موسكو ولينينغراد وبعض عواصم فى جمهوريات آسيا الوسطى .

* من وحي الاطلس « ذلك هو عنوان الديوان الذي أمر بطبعه بالمطبعة الملكية صاحب الجلالة نصره الله لشاعر المغرب الكبير الاستاذ السيد مفدي زكرياء والديوان يضم قصائد من روائع الشاعر الكبير يتغنى فيها بامجاد المغرب ، وبطولات ملكه العظيم ،

وقد بلغنا ان طبعه سيتم قبيل عيد العرش المجيد المقبل باذن الله .

※ صدر العدد العاشر من مجلة « الايمان » الاسلامية ، التي تصدرها جمعية شباب النهضة الاسلامية خاصا بمناسبة مرور ثلاثمائة والف عام على ولادة الامام مالك بن انس الاصبحي .

والعدد حافل بالدراسات والابحاث التي ساهم في تحريرها نخبة من رجال الفكر والعلم في المغرب والمشرق تتحدث عن حياة الامام مالك رضي الله عنه ، وقد شارك فيه كل من الاساتذة : علال الفاسي ببحث يحمل عنوان : « نضالية الامام مالك ومذهبه » ، والعلامة شيخ الاسلام بالديار التونسية الطاهر بن عاشور بدراسة عن « التعريف بكتاب الموطأ » ، وعبد الله كنون الامين العام لرابطة علماء المغرب بدراسة عن « العمل .. هذه القاعدة المحكمة في مذهب الامام مالك » ، والرهالي الفاروقي عميد كلية الدراسات العربية بمراكش عن : « الامام مالك ونظريته تأصيل عمل اهل المدينة » ، والدكتورة عائشة عبد الرحمن استاذة الدراسات القرآنية بجامعة القرويين بمقال عن: «دروس من الامام مالك للمنهج الحديث»، كما شارك في هذا العدد ابو بكر القادري ، المهدي بن عبود، محمد بن تاويت ، مصطفى العلوي ، احمد الباعمراني عبد الله الجراري وغيرهم من الاساتذة .

※ صدر اخيرا عن منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الاصلي الجزء الثاني من « امثال العوام في الاندلس » لابي يحيى عبيد الله ابن احمد الزجالي القرطبي المزداد عام 617 والمتوفى عام 694 هـ) وقد قام بتحقيقه وشرحه ومقارنته والتعليق عليه الدكتور محمد بن شريفة الاستاذ بكلية الآداب بجامعة محمد الخامس .

« وامثال العوام في الاندلس » مستخرجة من كتاب : ري الاوام ، ومرعى السوام ، في نكت الخواص والعوام .. والكتاب المذكور طبع بحروف الاستاذ احمد الاخضر غزال بمطبعة محمد الخامس الثقافية والجامعية وسيصدر قريبا القسم الاول من الكتاب .

وقد حاز بهذا الكتاب الاستاذ محمد بن شريفة الدكتوراه بمرتبة الشرف الاولى من جامعة القاهرة تحت اشراف لجنة تتكون من الدكتور عبد العزيز الاهواني مشرفا ، وعضوية الدكتور شوقي ضيف والدكتور عبد الحميد يونس .

فنتمنى لصديقنا الدكتور الاستاذ محمد بن شريفة مزيدا من التوفيق والنجاح .

※ اصدرت وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي في يوليوز الماضي « كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة » لجلال الدين السيوطي ، تحقيق وتعليق الدكتور عبد اللطيف السعداني ، قدم للكتاب الاستاذ محمد الفاسي .

والكتاب طبع بمطبعة محمد الخامس الثقافية والجامعية بفاس .

※ تحدثت بعض الصحف الفرنسية اخيرا عن المحاولات والجهود التي يبذلها السيد مصطفى حركات لطبع ديوان والده المرحوم الشاعر حركات

والسيد حركات كما هو معلوم شارك بقصائده واشعاره في ظروف قاسية عندما كان الشعب المغربي يرزح تحت نير الاستعمار .. وقد كانت مختلف قصائده تعبيرا صادقا عن الواقع الوطني وعن الانتفاضة الخالدة التي قامت بها الاسرة العلوية الشريفة من اجل تحرير الوطن .

والواقع ان وجود مثل هذا الديوان يعتبر من الضروريات الادبية لانه يعتبر دعامة اساسية للادب المغربي الذي رسم خطوط المحنة .. كما رسم خطوط الاستقلال وبالتالي يجسد كفاح جلالة المغفور له محمد الخامس قدس الله ثراه ذلك الكفاح الذي خرج منه الملك والشعب بانتصار حقق انتصارات أخرى .. وفي جميع الميادين .

كما يجسد الاعمال الخالدة التي قام بها ويقوم بها جلالة الملك المعظم الحسن الثاني ادام الله نصره.. أضف الى ذلك جمال الاسلوب ودقة التعبير اللتين يتميز بهما الشاعر حركات ..

وقد كان الامل الوحيد لدى الابن السيد مصطفى حركات هو طبع هذا الديوان لانه يعتبره فترة تاريخية يجب ان تبقى على مر العصور والازمان .

※ صدر العدد الثاني من مجلة « الكلمة » التي تصدر في اكادير باللغة العربية عن الجمعية الاسلاميه للثقافة والارشاد جمعية علماء سوس ..

وقد حددت هذه المجلة وهي الاولى من نوعها التي تنطلق من مدينة اكادير اهدافها في العمل على احياء

التراث العلمي والادبي لاقليم سوس والتبشير بالثقافة الاسلامية الاصلية .. ويحتوي العدد الثاني من الكلمة على تهنئة جلالة الملك بمناسبة عيد ميلاده ، وكلمة التحرير بالاضافة الى دراسات فقهية واجتماعية وثقافية منها دراسة عن الامام مالك وبحث عن نشأة التعليم الاصلي في سوس وعن مشاكل البحث التاريخي في المغرب الخ .. فضلا عن قصائد وقصص وطرائف وشارك في العدد علماء اجلاء وكتاب مرموقون .

* عثر في نواحي فجيج باقليم وجدة على مجموعة من المخطوطات يعود تاريخها الى القرن الثامن الهجري للمؤلف المرحوم سيدي عبد الجبار الفجيجي الذي يوجد ضريحه بمدينة فجيج . وتتناول مواضيع هذه الكتب مختلف ضروب التأليف المطروقة في عصره مثل الادب والفلك والتاريخ .

* الحرية والادب كتاب جديد للدكتور عباس الجراري تناول فيه موضوع الحرية والادب كما عرض لادباء العربية في العهد الماضي ، وهو موضوع واسع ويقتضي دراسة مستأنية ، ومع ذلك فقد الم المؤلف بجوانب منه ، انطلاقا من عصر الجاهلية فصدر الاسلام والعصور التالية ، معطيا بعض الامثلة من شعر الشعراء ، وكلام العلماء ، ومواقف قادة الفكر ، غير مخل بذكر نماذج من احرار أدباء المغرب ، واسهام الادب الشعبي في معركة الحرية ، وكل ذلك في ايجاز ووضوح بحيث لم تتجاوز صفحات الكتاب عدد 70 صفحة من القطع الصغير .

* نشرت وزارة العدل عددا من المؤلفات القانونية المحررة باللغتين العربية والفرنسية ويتعلق الامر بدليل التسجيل العقاري والقانون الجنائي المنسق ومختصر القانون البحري والامر في القانون المغربي والمرشد التنظيمي لشرطة المرور ، ويدخل هذا النشر المعد لهيئة رجال القضاء المغربي في نطاق الجهود المبذولة لاطلاع القضاة ومساعدي القضاء على استيعاب الوسائل الكفيلة بانجاز مهامهم في احسن الاحوال ، ومن جهة اخرى فقد نشر السيد محمد جلال السعيد الاستاذ بكلية الحقوق بالرباط كتابا يعالج لاول مرة قرينة البراءة في القانون المغربي .

* اقيم في طنجة بقصر مرشان معرض للكتاب خاص بمؤلفات الاستاذ السيد عبد الله كنون ، وذلك تحت اشراف ورياسة سعادة العامل السابق السيد حسني ابن سليمان وبسعي وتنظيم جمعية رسالة الطالب . وقد حضره كبار الموظفين وجمهور من الاساتذة والمثقفين والنائب الاقليمي لوزارة الثقافة وبعض الملحقين الثقافيين بالسفارات العربية وغيرها من الرباط والآنسة مكسويل مندوبة الامم المتحدة بالمغرب وعدد من الصحفيين ومندوبا الاذاعة والتلفزة والكثير من الطلبة وبلغ عدد الكتب المعروضة 46 كتابا بين تاليف ونشر وتحقيق .

الجزائـــر :

* اجتمع في مدينة وهران بالجزائر الملتقى الخامس للتعريف بالفكر الاسلامي ، وذلك من يوم 20 يوليوز الى 31 منه ، ويشترك في هذا الملتقى عادة اساتذة وعلماء من مختلف الاقطار العربية والاسلامية ، ويحضره طلاب وطالبات ثانويات وجامعات الجزائر ، وتناقش الاحاديث والمحاضرات التي القيت فيه من طرف جميع الحاضرين .

* وصل الى موسكو السيد مولود قاسم وزير التربية الاسلامية والشؤون الدينية الجزائري على راس وفد اسلامي في زيارة للاتحاد السوفياتي استمرت الى يوم 25 من غشت .

وتأتي هذه الزيارة كما قالت وكالة تاس تلبية لدعوة من المعهد الاسلامي في كازخستان .

وقد استقبل السيد مولود قاسم في المطار من لدن امام مسجد موسكو وعضو مجلس الشؤون الدينية ومدير القسم الاسلامي بالشؤون الدينية .

* وافقت وزارة التربية والتعليم العراقية على ايفاد 200 مدرس عراقي الى الجزائر للتدريس في مدارسها خلال السنة الدراسية المقبلة .

وقال مصدر رسمي في بغداد ان هؤلاء المدرسين سيتم اختيارهم من بين خريجي الجامعات العراقية .

وكان وفد ثقافي جزائري قد وصل الى العاصمة العراقية في الاسبوع الماضي واجرى مباحثات مع المسؤولين العراقيين لزيادة عدد اعضاء البعثة التعليمية العراقية المنتدبة للتدريس بالجزائر .

ويدرس بالجزائر حاليا حوالي 1.000 من المعلمين العراقيين ، بموجب برنامج التعاون الثقافي بين البلدين .

وفي القاهرة وافق الدكتور محمد حافظ غانم وزير التربية والتعليم المصري على اعارة 290 مدرسا ومدرسة للجمهورية الجزائرية لمدة عامين .

ويشمل ذلك اعارة 200 مدرس ومدرسة للمرحلة الاولى و 30 مدرسا للرياضيات بالثانوي و 30 لتدريس الرياضيات بالاعدادي و 30 لتدريس العلوم بالاعدادي .

* افتتح السيد احمد طالب وزير الاخبار والثقافة الجزائري الملتقى المغربي الاول للاثار ولاحظ بهذه المناسبة انه اول ملتقى من نوعه يقع تنظيمه منذ استقلال بلدان المغرب الثلاثة وقال :

لقد آن الاوان لتنسيق وتوحيد جهود مشتتة حتى الآن في نطاق عمل مشترك .

ثم دعا المندوبين الى الانكباب بصفة خاصة على العهد الاسلامي وابراز خصائص الحضارة العربية الاسلامية وقال :

لقد برزت في هذا العهد شخصية المغرب العربي بكافة خصائصها وعظمتها .

ومضى يقول : لقد وجد الاستعمار في ميدان الحفريات مادة خصبة اراد اكتشافها .. وتفسيرها واستغلالها وحده .. ولهذا السبب فاني اعتبر هذا الملتقى ذا قيمة كبرى ، فهو يمثل تضافر وتكامل جهود المغاربة انفسهم في هذا الميدان الذي ينبغي التعمق فيه لفهم التاريخ وتفسيره .

* جاء في برقية لرويتر ان السيد مولود قاسم وزير الشؤون الدينية في الجزائر قد حث الجامعات العربية على استخدام اللغة العربية في تعليم العلوم بدلا من اللغات الاجنبية وقد جاء ذلك في الكلمة التي افتتح بها السيد قاسم الدورة العلمية الخاصة بالفكر الاسلامي في جامعة وهران الجزائرية تلك الدورة التي دامت 13 يوما . وقال السيد قاسم ان جميع الجامعات العربية باستثناء جامعة دمشق تعلم العلوم الحديثة باللغات الاجنبية وأضاف يقول غير انه من الخطأ الاعتقاد بأن اللغة العربية لا تلائم نشر العلوم الحديثة.

* نقلت وكالات الانباء من الجزائر ان اصلاح التعليم العالي الذي اعلن عنه مؤخرا السيد بنيحيا وزير التعليم العالي والبحث العلمي ينص على تعريب كل مواد التعليم والغاء تعليم الفرنسية بالنسبة للطلاب الجدد .

وقد ورد هذا التوضيح في مجلة — المجاهد — التي توالي نشر النصوص المتعلقة باصلاح التعليم ومما ينص عليه الاصلاح الغاء المواد ذات المحتوى التجريدي وانشاء باكالورية للتعليم العالي وادخال الرياضيات في درسات العلوم الانسانية .

* تصدر قريبا الدار الجزائرية للنشر والتوزيع كتاب « عيون البصائر » للامام الشيخ محمد البشير الابراهيمي .

وكانت الطبعة الاولى قد صدرت منذ سنوات عن دار المعارف القاهرية ونفذت نسخها بعد شهور قلائل .

و « عيون البصائر » مجموعة مقالات مختارة كانت افتتاحيات مجلة البصائر التي كان يصدرها الشيخ الابراهيمي ايام الاحتلال الفرنسي للقطر الجزائري الشقيق . وقد كانت مقالات البصائر صيحات مدوية ومصابيح هدى وعلامات بارزة على طريق التحرير في عهد استبد فيه الظلام واطبقت السماء على الارض في بلاد اسلامية اذاقها العدو الصليبي صنوفا من القهر والظلم والضيم والحيف .

وتمتاز مقالات الشيخ الابراهيمي في مجلته البصائر بقوة الاسلوب العربي وغزارة المعنى وعمقه، وجزالة العبارة مما كان يشهد — ولا يزال — بنبوغ هذا الرجل وسطوعه في سماء الفكر والدعوة والادب . وقد شهد له بذلك جمهرة الادباء والعلماء يوم زار القاهرة قبيل حصول الجزائر على الاستقلال والحرية.

وجملة القول فستكون الطبعة الثانية لعيون البصائر اهم مجهود تقوم به الدار الجزائرية للنشر والتوزيع .

تـونـس :

* قامت الجمعية القومية للمحافظة على القرآن في تونس على انشاء املاءات قرآنية في العاصمة ومناطقها مدة العطلة الصيفية الماضية معدة لتلاميذ المدارس الذين يتراوح سنهم بين 7 و 10 سنة وسوف تكون هذه الاملاءات صباحية بين الساعة 7,30 و 10 كامل أيام الاسبوع باستثناء يوم الجمعة .

يدير هذه الاملاءات مدرس تعينه الجمعية وتشرف عليه ، واما اماكن هذه الاملاءات فقد حددت الجمعية عددا من مساجد العاصمة لتكون مراكز هذه الاملاءات الصباحية فقط .

* صدر في تونس عن الدار التونسية للنشر كتاب « اللغة العربية ومشاكل الكتابة » للبشير بن سلامة رئيس تحرير مجلة « الفكر » التونسية . كما صدر عن دار المغرب العربي للنشر التي يديرها الاديب أبو القاسم محمد كرو كتاب « دراسات في الادب العربي الحديث » للاديب المصري عطية عامر .

* وصل الوفد الديني التونسي برئاسة رئيس ادارة الشؤون الدينية لدى رئيس وزراء تونس الشيخ مصطفى كمال الترزي الى طشقند اليوم تلبية لدعوة الادارة الروحية لمسلمي آسيا الوسطى وكازاخستان .

واعرب رئيس الوفد عن امتنانه العميق لرئيس الدائرة المفتي ضياء الدين خان بن اشان باباخان على عمله المتفاني في تطوير الاتصالات الشخصية الاسلامية

وقال الشيخ مصطفى كمال الترزي ان هذه الاتصالات ضرورية للغاية لنا جميعا باعتبار انها تساعد على توطيد السلام .

وادى الوفد فريضة صلاة الجمعة في جامع المدينة حيث تعرف على حضارة شعب كازخستان وزار الاثار الاسلامية في سمرقند وبخارى .

* اعلنت المحافل الثقافية التونسية اليوم ان اتفاق التعاون الثقافي الذي ابرم مؤخرا بين المغرب وتونس لسنة 1971 – 1972 يدخل في اطار بناء المغرب العربي الكبير .

وقد ابدى الوفدان المغربي والتونسي فيما يتعلق بترويج الكتب والمطبوعات الثقافية اهتماما بالتعاون في الطبع والتوزيع واكد ضرورة انشاء لجنة فرعية مختلطة يعهد اليها بدراسة الوسائل الكفيلة بتحقيق حرية رواج الكتب والمطبوعات الثقافية في كل من البلدين . وقالت نفس المحافل ان اللجنة المغربية التونسية المختلطة حددت برنامج التعاون الثقافي بين البلدين لسنة 1971 – 1972 في ميدان التعليم وتكوين الاطارات والشباب والرياضة والشؤون الاجتماعية والثقافية والاعلام والسينما .

افريقيا

الخرطوم :

* هتفت جماهير الشعب السوداني بعد تصفية المؤامرة الشيوعية التي قامت يوم الاثنين يوليوز في السودان .. بانه لا شيوعية ، ولا الحاد في السودان .

وقد صرح مسؤول في الخرطوم بأن الانقلاب الشيوعي الذي حدث كان نتيجة تخطيط من الحزب الشيوعي السوداني . .

وتقوم السلطات في السودان حاليا بتعقب فلول الشيوعيين المتآمرين لتصفيتهم بعد مؤامرتهم لجر السودان الى الحركة الشيوعية الدولية ..

نجيريا :

* يبلغ عدد المسلمين في نيجيريا 40.320.000 نسمة وذلك بنسبة 72 ٪ من عدد السكان ، ورغم النشاط التبشيري والصهيوني الذي زاد حدة خلال ظروف الحرب الاهلية ، فان الدعوة الاسلامية تسير سيرا حسنا محققة نجاحا ملموسا في كل مكان من ارض نيجيريا .

دار السلام :

* نظمت هيئة اليونسكو بمدينة درا السلام عاصمة تنزانيا في المدة الواقعة من 5 الى 10 يوليو (تموز) 1971 ، اجتماعا للخبراء لتدارس تاثير الاستعمار على الفنان الخلاق وعلى محيطه وجمهوره في الدول النامية . وذلك على غرار الاجتماع الذي اقامته الهيئة عن الحقوق الثقافية باعتبارها من حقوق الانسان ، وهو الاجتماع الذي تم في باريس عام 1968 .

ويشمل جدول اعمال هذه الندوة عدة موضوعات عن الدور الاجتماعي للفنان في هذه المناطق ، وعن عمله كفرد في وسط عدة تقاليد ثقافية (ثقافة بلده الخاصة وتلك التي فرضها الاستعمار السابق) ؛ وعن مشكلة اللغة ؛ وكذلك عن مشكلة الاختيار بين عدة جماهير (الجمهور الافريقي والاخر الاستعماري القديم) وهي المشكلة التي تواجه كل مفكر وكاتب في الدول النامية .

كينيــــا :

* ضمت الندوة الثانية الخاصة بسياسة العمالة فى افريقيا ، والتي اشرفت على تنظيمها منظمة العمل الدولية فى شهر مايو (ايار) الماضي بمدينة كيريشو فى كينيا ، عددا من كبار الموظفين حضروا اليها من سبع دول من افريقيا الناطقة بالانجليزية ، وذلك بالاضافة الى عدد آخر من المراقبين من عدة منظمات دولية من بينها اليونسكو ومنظمة الاغذية والزراعة .

وقد ناقش المشتركون فى هذه الندوة عدة مسائل من بينها سياسة الاستثمارات ، واختيار الاساليب التقنية للانتاج ، والتربية والتدريب المهني ، والتطوير الريفي .

وقد كان الهدف من تنظيم هذه الندوة هو ضبط السياسات الكفيلة بتخفيف حدة البطالة ونقص العمالة، خاصة اذا ما اخذنا فى الاعتبار ان هناك 32 مليون افريقي سينضمون الى اليد العاملة القائمة ، وذلك خلال العقد القادم .

الكميـــرون

* قامت دار النشر « كلي » ومقرها ياوندي عاصمة الكميرون باخراج سلسلة جديدة تحت عنوان « وجهة نظر » وهي تضم مجموعة من الدراسات والمقالات والمحاضرات المتعلقة بالمسائل التي تهم المجتمع الافريقي فى ميادين الثقافة والتنمية . وقد ظهر من هذه السلسلة حتى الآن عدة مؤلفات منها كتاب « من الزنوجة الى الزنجية » تأليف جان ابندا ، وكتاب « مدخل الى الادب الزنجي » تأليف جان بيير ماكوتا مبوكو ، وكذلك كتاب « الزنوجة والوضعية الاستعمارية » من تأليف ليليان كستلوت .

دكــار :

* قرر وزراء الثقافة للدول الاعضاء فى مجموعة « الاوكام » (مجموعة دول افريقيا وماالاباشي) الذين اجتمعوا فى داكار ، انشاء معهد ثقافي افريقي بالعاصمة السنغالية .

وسيقوم هذا المعهد بتنسيق انشطة الهيئات الثقافية الافريقية ، كما سيعهد اليه بتنظيم الندوات والمؤتمرات والمهرجانات ، كما سيطلب منه المعاونة فى طبع ونشر الكتب المدرسية وكتب الثقافة العامة .

* سيبدأ الارسال التلفزيوني فى السنغال قبل نهاية السنة الحالية . وقد اوضح السيد عثمان كامارا وزير الاعلام السنغالي عند اذاعته لهذا النبأ بأن البرامج ستبث لمدة ثلاث ساعات فقط فى الاسبوع على ان تزاد تدريجيا لتصل الى المعدل المطلوب فى عام1975 وضاف السيد كامارا بأن السنغال يمتلك المعدات ولديه التقنيين اللازمين للقيام بهذه المهمة ، فقد سبق ان اجريت به تجربة ناجحة للتلفزيون التربوي تمت بمعاونة اليونسكو واستمرت من عام 1963 حتى عام 1969 .

مصــــر :

* قررت وزارة الاوقاف وشؤون الازهر بالجمهورية العربية المتحدة انشاء مكتب لنشر الدعوة الاسلامية والعمل على تيسير وسائل البحث الديني فى الدول العربية وسيقوم المكتب بمتابعة ودراسة الكتب المتعلقة بالاسلام التي تنشر فى الداخل والخارج والرد على ما قد تنشره من اباطيل حول الدين الحنيف بالاضافة الى نشر ابحاث ومقالات العلماء المسلمين فى البلدان الاسلامية وسيقوم مجمع البحوث الاسلامية بالازهر بمعاونة هذا المكتب بانشاء مكتبة علمية تابعة له تحوي المراجع وقوائم المخطوطات الاسلامية والكتب النادرة الموجودة بالمكتبات العالمية ونشر هذه القوائم ليسهل على المحققين الرجوع اليها فى ابحاثهم .

* صدر عن المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية فى القاهرة المجلد الاول من كتاب الاستذكار لمذاهب فقهاء الامصار وعلماء الاقطار — لابن عبد البر النمري القرطبي المتوفى 463 هـ .

والمجلد الاول من تفسير الماتريدي المسمى تأويلات أهل السنة لابي منصور الماتريدي السمرقندي المتوفى 333 هـ .

* عاد الى القاهرة فى الاسبوع الماضي قادما من طهران فضيلة الدكتور محمد الفحام شيخ الجامع الازهر بعد انتهاء زيارته الرسمية الى ايران .

وقد ادلى الدكتور الفحام بتصريح اشاد فيه بلقاءاته مع الامبراطور محمد رضا بهلوي شاه ايران وامير عباس هويدا رئيس الوزراء واردشير زاهدي وزير الخارجية والعلماء وكبار رجال الدين ..

وأضاف انه شهد عدة ندوات علمية دينية مع طوائف الشعب .. وقال انه ستقدم منح كاملة للطلبة الايرانيين لاتمام دراستهم فى الازهر الشريف وذلك عندما يتم توقيع الاتفاقية الثقافية بين البلدين .

وذكر شيخ الازهر انه قام بزيارة مدن اصفهان وخرستان حيث شاهد الحضارة الاسلامية هناك .

* دار الكتب بالقاهرة تنتهي فى الشهر الجارى من ترميم كل المخطوطات النادرة بها وتصويرها حتى تكون فى متناول يد الباحثين

* « اثر الثقافة الفرنسية فى أدب طه حسين » عنوان الرسالة التي نال بها درجة الماجستير من كلية اداب جامعة القاهرة الاب كمال ثابت قلته .

* الجمعية الادبية المصرية فى القاهرة تنظم حلقة دراسية عن الاديب الفقيد ابراهيم عبد القادر المازني يشترك فيها اعضاء الجمعية كل مساء ثلاثاء

* « ابن جني اللغوي » رسالة دكتوراه نوقشت، فى كلية اللغة العربية بجامعة الازهر ونال عليها صاحبها عبد الغفار حامد هلال درجة الدكتوراه بتقدير ممتاز .

* حقق الدكتور سامي مكي العاني كتاب دمية القصر وعصرة اهل العصر لابى الحسن الباخرزي المتوفى 467 هـ ، وقد نال الدكتور بتحقيقه هذا على درجة الدكتوراه بمرتبة الشرف الثانية من كلية الآداب بجامعة القاهرة . وقد اعتمد المحقق على ثماني عشر نسخة واعتمد على مخطوطة يرجع تاريخ نسخها الى سنة 590 هـ . هي النسخة الام وهي موجودة فى مكتبة فاتح بتركيا . صدر الجزء الاول منه ويليه الثاني وبه يتم .

* بدات وزارة الثقافة بالقاهرة فى بحث اقتناء بيت امير الشعراء احمد شوقي « كرمة ابن هانىء » بالجيزة بعد ان باع ورثته مساحة ارضه لمقاول بـ 85 الف جنيه ليبني مكانه عمارة . تسلم الوزير الدكتور اسماعيل غانم مذكرة اعدها المستشار القانوني لوزارة الثقافة انور نافع باقتناء الدار والحفاظ عليها كمتحف وصالون لاهل الفن والادب .

* بدا اعداد الخطة اللازمة لنقل الحجاج المصريين الى جدة لاداء العمرة وفريضة الحج بعد أن اتجهت النية الى الغاء نظام القرعة فى الحج .

ينتظر ان يصل عدد الحجاج هذا العام الى 40 الف حاج . كان عددهم لا يتجاوز 5000 حاج فى السنوات الماضية .. وصرح المهندس عبد الحميد محمود رئيس مؤسسة الطيران العربية بأن المؤسسة جندت كل اجهزتها لمواجهة هذه الزيادة المنتظرة فى عدد الحجاج وستبدا بتخفيض عدد رحلاتها على بعض خطوطها الى النصف حتى تخصص اكبر عدد من الطائرات لنقل الحجاج .

* « شعر الفرق الاسلامية فى العصر الاموي » دراسة للدكتور النعمان القاضي مدرس الادب العربي باداب القاهرة والمعار لجامعة ليبيا ظهرت اخيرا عن دار المعارف بالقاهرة ، وهي رسالة الدكتوراه التي تدمها للجامعة منذ اكثر من اربع سنوات

* بعد ان ظهرت على الشاشة قصتا نجيب محفوظ « بين القصرين » و « السكرية » يظهر الجزء الثالث من ثلاثيته المعروفة وهي قصة « قصر الشوق » التي يخرجها حسن الامام الذي أخرج القصتين السابقتين .

* اختار المجمع اللغوي بالقاهرة الدكتور عبد الحميد الغزالي لترجمة المصطلحات الفنية للحسابات القومية (650 مصطلحا) بناء على طلب مركز التنمية الصناعية .

* صدر فى القاهرة كتاب جديد للدكتور مصطفى محمود عنوانه « رحلتي من الشك الى الايمان .

* صدر عن دار الحلبي بالقاهرة الجزء الرابع من كتاب « المحكم » لابن سيده ، وقد حققه الاستاذ عبد الستار فراج ، المحقق المعروف .

وكان المعهد قد كلف عددا من أفاضل المحققين لتحقيق اجزاء هذا الكتاب القيم من كتب التراث المطولة .

وقد تعهدت دار الحلبي باصدار الجزء الخامس من هذا المعجم الموسع قبل نهاية هذا العام ، وباصدار جزئين منه كل عام حتى يتم نشره كاملا .

* صرح السيد ابراهيم الطحاوي الرئيس العام لجمعيات الشبان المسلمين بأنه سيبدأ خلال هذا العام بناء اكبر دار للفكر والتراث الاسلامي بجوار المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين بالقاهرة .

وقال ان الهدف من اقامة هذه الدار التي ستبلغ تكاليفها حوالي مليون جنيه طباعة المصحف الشريف وتوزيعه عالميا وطباعة التراث والفكر الاسلامي والمؤلفات الاسلامية القديمة والحديثة .. وكذلك طبع كتاب اسلامي شهري بأكثر من لغة لتوزيعه في أنحاء العالم تتضمن كل ما يهم المسلمين من قضايا كما يربطهم فكريا وثقافيا وروحيا .

واضاف ان هذا المشروع سيساهم في انشائه بعض اصحاب الاعمال من العرب والمسلمين وهو احد المشروعات التي وافق عليها المؤتمر العالمي لاتحاد الشباب المسلم الذي عقد بالقاهرة في شهر مارس الماضي .

وذكر السيد الطحاوي ان بعثة تمثل جمعيات الشباب المسلمين قد سافرت اخيرا الى كل من بريطانيا والمانيا الغربية لاجراء مباحثات حول التعاقد على شراء احدث مطبعة عالمية لهذا المشروع .

* التقى الدكتور محمود فوزي رئيس مجلس الوزراء المصري على أعضاء مجلس نقابة الصحفيين الجديد كلمة قال فيها انه يجب على الصحافة ان تقوم بدور المحتسب .. وذكر ان برنادشو أشاد في كتابه بدور المحتسب في نظام الحكم في الاسلام بأكبر الاوصاف الموجودة في اللغة الانجليزية وقال انه في فجر الاسلام كان النبي صلى الله عليه وسلم النبي نفسه يقوم بدور المحتسب .

* « الخليل بن احمد حياته وجهوده العلمية » عنوان البحث الذي ناقشته الجمعية الادبية بكلية آداب جامعة القاهرة . وتناقش في حلقاتها المقبلة ظاهرة التشاؤم في الشعر العباسي لنصر حامد مرزوق « والمتنبي الفنان » للسيد جعفر ونظرية الحكم في العصر العباسي واثرها في الشعر لحسين علي محمد.

* « تاريخ التراث العربي » تاليف د. فؤاد سزجين التركي المولد والنشاة ، الالماني الثقافة والتاليف وقد بذل المؤلف اكثر من عشرين عاما في جمعه وتنسيقه وترتيبه نقله الى العربية الدكتور فهمي ابو الفضل الاستاذ بكلية البنات بجامعة عين شمس وصدر عن الهيئة المصرية للتاليف والنشر .

* التقى وفد العلماء العرب المهاجرين مع نظرائهم من العلماء المصريين في القاهرة بالدكتور محمد مرسي احمد وزير التعليم العالي . استعرض الوزير معهم سياسة التعليم العالي والجامعي بالجمهورية العربية ومدى انفتاح الجامعات بالجمهورية على الجامعات والمعاهد العليا والمؤسسات العلمية في الخارج واهمية ربط الجامعات المصرية العليا بالمجتمع المصري واهدافه وخطط التنمية .

وقد رحب الوزير بالمقترحات التي عرضها الوفد للاستفادة بخبراتهم العلمية بما يعود بالنفع على التعليم الجامعي والدراسات العليا .

* توفي في القاهرة الدكتور عبد الرزاق السنهوري وزير التربية والتعليم السابق ورئيس مجلس شورى الدولة واكبر شخصية حقوقية وقانونية في العالم العربي وصاحب المؤلفات الحقوقية العديدة التي تعد اكبر مرجع للتشريع والابحاث القانونية .

* القاص المصري محمد عبد الحليم عبد الله صدرت له في القاهرة في ذكرى مرور سنة على وفاته رواية طويلة باسم « قصة لم تتم »

* تقوم جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة ببناء اكبر دار للفكر والتراث الاسلامي ، وذلك بهدف طباعة المصحف الشريف وتوزيعه عالميا ونشر التراث الاسلامي ، واصدار كتاب اسلامي شهري بلغات متعددة في كل ما يهم المسلمين من قضايا ومسائل . وتبلغ تكاليف بناء هذه الدار حوالي مليون جنيه

* تتخذ حاليا اجراءات سفر — وفد من جمعية الشبان المسلمين في القاهرة — الى بعض الدول العربية والاسلامية لشرح اهداف في اقامة — البنك الاسلامي العالمي — المزمع انشاؤه لخدمة مشروعات التنمية الكبرى بالدول الاسلامية وبحث امكانات المساهمة في تمويل هذا المشروع .

ومن اقتراحات الوفد ان تساهم الحكومات الاسلامية بنسبة الثلث في راسمال البنك ويساهم الافراد بالثلث وتساهم الجمعيات الاسلامية بالثلث الباقي .

* يجري الآن طبع كتاب « شرح السير الكبير » تاليف محمد بن الحسن الشيباني (المتوفى سنة 189 هـ) وقد املاه وشرحه محمد بن احمد السرخسي (المتوفى

اواخر القرن الخامس الهجري) . وسوف يصدر كاملا فى خمسة اجزاء اوائل اكتوبر (تشرين الاول) 1971 .

وقد كان الشيباني فى كتابه هذا اول رائد من رواد التاليف فى القانون الدولي، وقد سبق بذلك غروسيوس الهولندي (1583 — 1645 م) الذي سمي ابا القانون الدولي فى عصره ، كما سبق من تقدموه ومن عاصروه بحوالي الف سنة .

ويكفي للتدليل على مكانة الشيباني وكتابه هذا ، ان علماء القانون الدولي والمشتغلين به فى مختلف انحاء العالم ، اسسوا جمعية فى عوتنجن بالمانيا باسم « جمعية الشيباني للحقوق الدولية » وقد انتخب لرئاستها يومئذ الفقيه المصري الكبير المرحوم الدكتور عبد الحميد بدوي ، كما انتخب المحقق السوري الكبير الدكتور صلاح الدين المنجد نائبا للرئيس وتهدف تلك الجمعية الى التعريف بالشيباني وارائه ونشر مؤلفاته المتعلقة بأحكام القانون الدولي الاسلامي .

والمعهد يرجو ممن يطلبون الحصول على هذا الكتاب ان يكتبوا له بعدد النسخ التي يطلبونها ليحجزها لهم .

※ تم الاتفاق على تدعيم العلاقات الثقافية الاسلامية بين الجمهورية العربية المتحدة وكل من الهند والاردن وافغانستان واليابان . كما تم الاتفاق على تبادل الخبرات فى مجالات خدمة الاسلام وتقرر ان يزود المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية هذه البلاد بالمكتبات الاسلامية .

قد تم عقد هذه الاتفاقات فى خلال لقاءات السيد محمد توفيق عويضه السكرتير العام للمجلس الاعلى للشؤون الاسلامية مع كل من الشيخ اسعد مدني امين عام جمعية علماء الهند وعضو المجلس الهندي المركزي والسيد عبد الله غوشة قاضي قضاة الاردن والدكتور غلام محمد نيازي عميد كلية الشريعة فى افغانستان . والدكتور عبد الكريم ماتيو زعيم مسلمي اليابان .

※ قالت جريدة الاخبار القاهرية ان القرار الذي اتخذه مؤتمر القمة الافريقي بادانة احتلال اسرائيل للاراضي العربية ، قد اثبت فشل الدعاية الاسرائيلية ضد العرب فى افريقيا . وقد صدر هذا القرار الافريقي على الرغم من زيارة ابا ايبان وزير خارجية اسرائيل لعدد من الدول الافريقية وادعائه ان مسألة الشرق الاوسط قضية آسيوية لا تهم افريقيا .

※ صدرت فى القاهرة الكتب التالية : حماية الاسلام للانفس والاعراض للدكتور علي عبد الواحد وافي . عائشة بنت طلحة لكمال بسيوني طبعة جديدة. هيجل أو المثالية المطلقة ، الجزء الاول ، للدكتور زكريا ابراهيم . كوكب الانسانية لاحمد حسين المحامي طبعة جديدة . اقتصاديات البترول للدكتور حسين عبد الله . مصر فى فجر الاسلام للدكتورة سيدة اسماعيل كاشف. من القصص الاسلامي لحسين الطوخي . صحافة الاطفال للدكتور سامي عزيز . نظرية الرواية فى الادب الانجليزي الحديث ترجمة الدكتورة انجيل بطرس سمعان مراجعة الدكتور رشاد رشدي . المفردات فى غريب القرآن للراغب الاصفهاني اشرف على طبعه وقدم له الدكتور محمد احمد خلف الله . مع الضمير الانساني فى مسيره ومصيره لخالد محمد خالد . طرائف القصص لعلي الجندي . محمد عبد الوهاب لمحمود عوض . الانسان وصحته النفسية للدكتور مصطفى فهمي . العالم الاسلامي المعاصر للدكتور جمال حمدان . نور الظلام مسرحية للدكتور رشاد رشدي . المرجع فى التربية الفكرية للطفل بركات احمد وعوض فرج جرجس ومحمود عويس الكومي . فى موالد النبي لحسين الشافعي . المعونة رواية لمحمد جمال حمدان . نور الظلام مسرحية للدكتور البعثي . فلسفة الايام لمحمد عبد الواحد حجازي تقديم الدكتور ابراهيم مدكور . نهاية اسرائيل والصهيونية لعبد الحميد واكد. احب ان لا اقول لا مجموعة شعرية لحسن توفيق . بحيرة المساء مجموعة قصصية لابراهيم اصلان . حديث الحب والحرب مجموعة شعرية لفؤاد بدوي . تاريخ كشف افريقيا واستعمارها للدكتور شوقي الجمل 850 صفحة حجم كبير . الاعلام فى صدر الاسلام للفقيد الدكتور عبد اللطيف حمزة 300 صفحة . نظريات التعليم للدكتور احمد زكي صالح . فى ارض النيل للدكتور عبد العزيز كامل . فلسفة سارتر مع ترجمات هامة من اعماله لعبد الفتاح الديدي 320 صفحة حجم كبير . صراع الاجيال فى الادب المعاصر لغالي شكري . سلسلة « اقرا » المعجم الكبير لمجمع اللغة العربية المجلد الاول 720 صفحة . من الوجهة النفسية فى دراسة الادب ونقده طبعة ثانية معدلة لمحمد خلف احمد 272 صفحة الشروع فى الجريمة : دراسة مقارنة للدكتور سمير الشناوي فى 615 صفحة.

اني صاعدة : حياة ومذكرات شابة لحلمي سلام . ابن عمار طبعة جديدة لثروت اباظة . قاموس الصحة والجمال للدكتور رضا علي ابراهيم . التاريخ الجنسي للانسان لصلاح حافظ . من اشراقات السيرة النبوية لعزيز اباظة . حكاية بلا بداية ولا نهاية وشهر العسل وهما لنجيب محفوظ . اللسان والانسان : مدخل الى معرفة اللغة في 352 صفحة والساميون ولغاتهم : تعريف بالقرابات اللغوية والحضارية للعرب في 252 صفحة وكلام العرب : من قضايا اللغة العربية في 220 صفحة وهذه الكتب الثلاثة للدكتور حسن ظاظا . ديوان هدى وذكرى لسلي الجندي . قضايا تربوية للدكتور محمد محمود رضوان . اصدقائي البشر مجموعة قصص ليحيى احمد . الاحوال الشخصية في الشريعة الاسلامية لمحمود طنطاوي . الجامعة العربية وقضايا التحرير لمحمد علي رفاعي

※ صرح الدكتور محمد حافظ غانم وزير التربية والتعليم المصري ان المناهج الدراسية بالمرحلة الاعدادية في دول اتحاد الجمهوريات العربية سيتم توحيدها ابتداء من العام الدراسي الحالي 71 — 72 وقال انه تجري حاليا دراسة توحيد المناهج والكتب المدرسية بالمرحلة الثانوية في دول الاتحاد وسيتم ذلك ابتداء من العام الدراسي القادم 72 — 1973 وأوضح الوزير ان هذه الخطوات تتم في ضوء ما نص عليه مشروع دستور اتحاد الجمهوريات العربية من العمل على توحيد السياسة والخطط التعليمية لاعتبار ان الوحدة الثقافية هي المقدمة للوحدة الشاملة .

※ استقبل معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية الاستاذ عثمان سعدي ، سفير الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية في بغداد ، وزوده بصورة على الميكروفيلم لكتاب « أزهار الرياض في اخبار القاضي عياض » تاليف شهاب الدين أبي العباس احمد بن محمد المقري المغربي التلمساني، وهو محفوظ في مكتبة المعهد تحت رقم (880 — تاريخ) .

ويقتضينا الوفاء ان نشيد بفضل السفير الاستاذ عثمان سعدي على هذا المعهد حين كان يعمل في سفارة الجزائر بالقاهرة . فقد بذل جهودا كبيرة في اجتماعات مجلس الجامعة لتدعيم المعهد وحمل لواء المطالبة برفع ميزانيته حتى يستطيع ان ينهض بواجبه في خدمة التراث العربي وجمع مخطوطاته من مختلف انحاء العالم مما ادى الى مضاعفة ميزانية المعهد وساعده على اصدار اعداد مجلته المتأخرة واستئناف ارسال بعثاته لتصوير المخطوطات ، واصدار كتب التراث التي التزم بنشرها .

والمعهد يتمنى له النجاح في منصبه الجديد ببغداد .

استقبل المعهد المذكور آنفا الاستاذ عبد الرزاق قسوم ، الاستاذ في كلية الاداب والعلوم الانسانية بجامعة الجزائر وقد اوكلت اليه الجامعة مهمة العمل على تعريب الدراسات في مختلف فروع كلية الاداب والعلوم الانسانية كجزء من خطة الجامعة الجزائرية الشاملة لتعريب الدراسات في مختلف كلياتها .

وقد زوده المعهد بمجموعة من مطبوعاته لمكتبة الكلية وبصور عدد من مخطوطاته .

العـــراق :

※ اعلام الصحافة في العراق — كتاب جديد للاستاذ فائق بطي ، يتناول فيه بالدراسة والتعريف عددا من اعلام الصحافة العراقية من بينهم : روفائيل بطي ، داود صليوه ، ابراهيم صالح شكر ، كامل الجادرجي ، سليمان فيضي ، انستاس ماري الكرملي ، محمد مهدي الجواهري ، جعفر الخليلي وآخرون غيرهم .

وقد قدم الكتاب الى لجنة تعضيد النشر بوزارة الاعلام للمساعدة على طبعه .

※ حصل العراق على قرض من الصين الشعبية دون فائدة مقداره 14 مليون دينار عراقي بموجب اتفاق للتعاون الاقتصادي والفني وقع بين البلدين

وقد اعلن ذلك الدكتور سعدون حمادي وزير النفط والمعادن ، لدى عودته الى بغداد في ختام زيارة للصين الشعبية على رأس وفد اقتصادي وفني استغرقت 5 ايام .

وقال الدكتور حمادي ان القرض سيغطي تكاليف تجهيز الصين للعراق بمعامل والات ومعدات وخبرات فنية .

وسيتم ايفاؤه بمنتوجات عراقية خلال 10 سنوات تبدا اعتبارا من سنة 1984 .

* مصطفى جواد فيلسوف اللغة العربية وخططي بغداد الفرد) عنوان الكتاب الذي صدر مؤخـــرا في العراق تصنيف الاديب وحيد الدين بهاء الدين وقدم له الدكتور صفاء خلوصي كما صدره الدكتـــور زكـــي المحاسني بمرثاة جيده وقد تضمن الكتاب (22) رسالة لمصطفى جواد لم تنشر من قبل .

* باشر السيد عبد الكريم القزويني في النجف الاشرف بطبع كتابه (الوثائق الرسمية لثورة الامام الحسين) .

* صدر في بغداد كتاب « شعر أبي سعـــد المخزومي » جمع وتحقيق الدكتور رزوق فرج رزوق في 80 صفحة حجم كبير وقد ساعدت جامعة بغداد على طبعه . كما صدر للدكتور رزوق « ابو المبر الاميـــر الشاعر المهرج » مستلة من مجلةالجامعة المستنصرية في 26 صفحة .

* من المؤمل ان تقوم المؤسسة العامة للصحافة والطباعة بطبع موسوعة تراثية عربية ضخمة تبحث في الخط العربي ، ومحقق الموسوعة المهندس ناجي زين الدين .

وقد تقدم بمسودات المجلداتالستة الى المؤسسة لتقوم بطبعها ، وسبق للمجمع العلمي العراقي طبـــع المجلدات الثلاثة الاولى منه في مجلد واحد باســـم (مصور الخط العربي) وقد نفذ بعد صدوره .

وستحتوي الموسوعة على أكثر من خمسمائـــة صورة لنماذج من خطوط اشهر خطاطي العالـــــم الاسلامي منذ القرن الثاني للهجرة الى يومنا هذا .

وسيكون عنوان المجلد الاول (الجامع لمحاسن الخط العربي) بينما يحتوي المجلد الثاني كافـــة المحاضرات التي القاها المهندس في كلية الآداب عـــن الخط العربي منذ اقدم العصور .

* الاديب العراقي عبد المجيد لطفي صدر له في بغداد كتاب جديد عنوانه « تصابي الكلمات » وهو مجموعة خواطر في 180 صفحة وقد ساعدت وزارة الاعلام العراقية على طبعه .

* فازت الانسة العراقية زكية عبد الفتـــاح العماري بشهادة الدكتوراه في جنوح الاحداث في لبنان ووسائل الوقاية والعلاج بدرجة ممتازة من جامعـــة القديس يوسف في بيروت فرع جامعة ليون في فرنسا وهذه الرسالة فريدة بنوعها في لبنان والعالم العربي .

* « التجديد في الادب الاندلسي » كتاب يقع في 148 صفحة من القطع الكبير صدر للدكتور باقر سماكة من كلية الاداب بجامعة بغداد .

* اختتم السيد عبد الحميد مهري وكيـــل وزارة التعليم الابتدائي والثانوي الجزائري زيارة للعـــراق استغرقت ثلاثة ايام اجرى خلالها اتصالات مع الدكتور احمد عبد الستار الجواري وزير التربية والتعليـــم بالوكالة والمسؤولين في الوزارةاستهدفت تعزيز وتوثيق العلاقات الثقافية بين البلدين ووضع برنامج للتبادل الثقافي للموسم الدراسي القادم .

وقد اجرى المسؤول الجزائري الذي غادر بغداد مباحثـــات لزيـــادة اعضـــاء البعثـــة التعليمية العراقية المنتدبة للتدريس في الجزائر وعلم ان وزارة التعليم العالي العراقية قررت اخيرا ايفاد دفعة جديدة من المدرسين للعمل في المدارس الجزائرية .

وذكر ان وفدا من وزارة التربيـــه والتعليـــم الجزائرية قد وصل الى بغداد في الثامن من اغسطس

* الاستاذ هلال ناجي دفع الى المطبعة بكتابـــه الجديد — رسائل واراجيز في الخط والقلم — ، وهذا الكتاب هو الحلقة الرابعة في جهوده القيمة في احياء تراث السلف في الخط والقلم ، بعد نشره (تحفة اولى الالباب في صناعة الخط والكتاب) و (شرح ابـــن الوحيد على رائية ابن البواب) و (العمدة)

* حصل عبد اللطيف عبد الرحمن الراوي علـــى الماجستير بدرجة ممتاز من قسم اللغة العربية بجامعة بغداد على رسالته « المجتمع العراقي في شعر القرن الرابع للهجرة » .

* صدر في بغداد في باب الدراسة : الطبعـــة الثالثة لكتاب « في الادب العباسي » تأليف الدكتـــور محمد مهدي البصير . والطبعة الاولى لكتاب « الطبيعة في الشعر الجاهلي » وهي الرسالة التي نال بهـــا مؤلفها الدكتور نوري القيسي درجة الدكتوراه .

* وصدر فى بغداد فى باب التحقيق : الجزء الاول من « دمية القصر » للباقرزي للدكتور سامي مكي العاني . و « ديوان عروة بن اذنية » للدكتور يحيى الجبوري .

* وصدر فى بغداد للكاتب اللبناني نجيب اسكندر « معجم المعاني للترادف والتوارد والنقيض من اسماء وافعال وادوات » .

* الباحث العراقي خليل ابراهيم العطية يعد رسالة الدكتوراه فى جامعة عين شمس بالقاهرة باشراف الدكتور رمضان عبد التواب والرسالة بعنوان « الدراسات اللغوية فى القرن الثالث الهجري » مع تحقيق كتاب « التقفية فى اللغة » للبنديجي .

* وزارة الاعلام العراقية ستقوم بطبع ديوان الرصافي طبعة علمية وسيقوم بالشرح والتعليق مصطفى علي وسيقع باربعة اجزاء .

الاردن :

* ذكر السيد فيدريكو اليسندريني الناطق باسم الفاتيكان ورئيس تحرير صحيفة — اوسرفاتور ديلا دومينيكا — انه وقع تدنيس اضرحة المقبرة الارمينية فى القدس المحتلة من قبل اليهود .

واضاف السيد فيدريكو فى المقال الذي نشرته له هذه الصحيفة ان تدنيس الاسرائيليين للمقدسات لم تسلم منه حتى اضرحة البطاركة الارمينيين بالقدس .

* وضعت المكتبة السامة التابعة لامانة العاصمة عمان اكثر من 200 كتاب فى قاعة المطالعة معظمها فى المشكلة الفلسطينية وقضايا الوطن العربي .

* نظم 80 من الشبان من ذوي النزعة « الصهيونية الوطنية » مسيرة نحو الحرم الشريف فى مدينة القدس المحتلة وحاولوا اقامة صلاة هناك وبهذا بلغ عدد المحاولات الصهيونية من هذا القبيل 12 محاولة وكان من بين الفريق الذي نظم المحاولة الجديدة بعض الشبان الفرنسيين .

ومن جهة اخرى ذكر السيد فيدريكو اليسندريني الناطق باسم الفاتيكان ورئيس تحرير صحيفة — اوسرفاتوري ويلا دومينيكا — انه وقع تدنيس أضرحة المقبرة الارمينية فى القدس المحتلة من قبل الاسرائيليين .

* ضمن منشورات الجامعة الاردنية صدر كتاب بعنوان المكاييل والاوزان الاسلامية وما يعادلها فى النظام المتري من تاليف المستشرق فالترهنتس من جوتنجن فى المانيا وترجمة الدكتور كامل العسلي فى الجامعة الاردنية وتعتبر هذه الرسالة فى راي الثقاة من أحسن ما وضع فى هذا الموضوع الهام من مؤلفات واكثرها دقة .

* (ادباء الجيل الغاضب) كتاب جديد صدر فى عمان للدكتور محمود السمرة عميد كلية الآداب .

* الدكتور عدنان الخطيب صدر له كتاب بعنوان « المعجم العربي بين الماضي والحاضر يقول فيه : ان معاجم اللغات الحية اجتازت اليوم مرحلة الفنون وأصبحت صناعة تحشد للعمل فيها طوائف عديدة من العلماء الاعلام ، ومن رجال الفن الجهابذة كل واحد منهم يعمل فى نطاق اختصاص معلوم .

والمعجم اللغوي او العلمي الذي نريده للعربية ، لا يكفيه تاليف لجنة من كبار علماء اللغة للاشراف على اخراجه ، بل لا بد له من علماء فى اللغة الى جانب مختصين بمختلف العلوم الاخرى .

* الدكتور محمد عبده غانم من شعراء اليمن الجنوبية البارزين شرع بطبع رسالة الدكتوراه وموضوعها — الالحان الصناعية — وهي دراسة للموشحات اليمانية ، قدم لها الدكتور شوقي ضيف .

* الارض المحتلة — ذكرت المصادر ان هجرة اليهود من الاتحاد السوفياتي الى فلسطين المحتلة قد استمرت فى غضون الايام القليلة الماضية وان مجموعات من الاسر اليهودية ما زالت تصل الى اسرائيل تباعا .

ويذكر ان السلطات الاسرائيلية دابت على اخفاء عدد اليهود الوافدين من الاتحاد السوفيتي غير انه علم فى القدس بأن عدد المهاجرين ازداد بشكل ملموس فى العام الماضي .

سوريـــا :

* اقام اتحاد الكتاب العرب بدمشق امسية أدبية لثلاثة من اعضائه : الشاعران صالح درويش وممدوح عدوان والقاص بديع بغدادي . وادار الندوة الدكتور غسان الرفاعي نائب رئيس الاتحاد .

* يعكف الاديب الحلبي عبد الباسط بـدر على اعداد رسالة بعنوان « الاتجاه الكلاسيكي الحديث في الشعر السوري المعاصر » لنيل الماجستير من كلية الاداب بجامعة القاهرة .

* الشاعر السوري عدنان مردم بك اعد للطبع مسرحية شعرية جديدة عنوانها « رابعة العدوية » ينتظر صدورها في بيروت في اوائل الشتاء المقبل .

* الاديب الحلبي ياسين الفاعور يعكف على اعداد دراسة عن « قبيلة طيء في صدر الاسلام ، حياتها الاجتماعية والادبية » لنيل دبلوم دراسات عليا من الجامعة اللبنانية .

* قررت وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي في سورية اقامة معارض لجميع مطبوعاتها التي صدرت عن مديرية الترجمة والتأليف وذلك في حمص وحماه واللاذقية ودير الزور ودمشق . وستبدأ المعارض في اول آب وتنتهي في مطلع العام المقبل .

* مجلة « المعرفة » الشهرية التي تصدرها وزارة الثقافة بدمشق اصدرت عددا خاصا بفقيد الفكر والوطنية زكي الارسوزي هو العدد 113 (يوليو) 1971 زكي الارسوزي ولد في يونيو 1899 في مدينة اللاذقية وتوفي في 2 يوليو 1968 في دمشق بعد مرض عضال استمر ست سنوات. من اهم مؤلفاته « العبقرية العربية في لسانها » و « بعث الامة العربية ورسالتها الى العالم » (ستة اجزاء) و « مشاكلنا القومية » وستقوم لجنة خاصة عما قريب بنشر جميع آثار زكي الارسوزي بصورة منهجية وكاملة .

* مسرحيتان من الادب التركي احداهما «الابله» لناظم حكمت و « قبل ان يذوب الثلج » لجيفان فهمي باشكوت ، ترجمهما الى العربية الاديب الحلبي عبد الله الطنطاوي .

* « الفاصلة في القرآن الكريم » رسالة وضعها الاديب والشاعر السوري محمد محمود الحسناوي لنيل شهادة الماجستير .

لبنـــان :

* صدر عن دار الكتاب الجديد في بيروت كتاب « دراسات تاريخية عن اصل العرب وحضارتهم الانسانية » للدكتور معروف الدواليبي . تكلم فيه عن الهجرات العربية المتعاقبة من الجزيرة العربية ووصولها الى شمالي أوروبا ، والحضارات التي انتجتها في العالم . ويقع الكتاب في 120 صفحة .

* ذكرت صحيفة « الحياة » اللبنانية ان القيادة العامة لجيش التحرير الفلسطيني طردت من صفوفها عددا من الضباط وصف الضباط المعروفين بميولهم الشيوعية . واضافت الصحيفة ان هذه الاجراءات تستهدف حماية جيش التحرير الفلسطيني من التأثيرات الايديولوجية المتحزبة والمحافظة على مهمته في محاربة العدو .

* نشر المكتب التجاري في بيروت الكتب التالية:

— معجم اعلام الجزائر من تأليف عادل نويهض .

— ديوان علي بن الجهم تحقيق خليل مردم بك .

— شفاء السقام في زيارة خير الانام — تقي الدين السبكي الشافعي (683 — 756 هـ) .

* صدرت الطبعة الرابعة من كتاب « قواعد تحقيق المخطوطات » للدكتور صلاح الدين المنجد عن دار الكتاب الجديد ببيروت . وقد ترجمت هذه القواعد الى اللغة الفرنسية والاسبانية والايطالية والفارسية والتركية والانجليزية . الكتاب في 32 صفحة .

* من تأليف الدكتور صبحي أنو رشيد ، صدر كتاب عن (تاريخ الالات الموسيقية في العراق القديم) يعالج فيه مؤلفه جميع الالات الموسيقية في عصور التاريخ القديم في العراق اولا ، ويحتوي — ثانيا — على عدد كبير من الصور والرسوم التي استعملت طبقا لتسلسل العصور الزمنية . كما يشرح المؤلف ويعالج جميع الآلات الموسيقية — على ضوء ما هو معروف من الاثار في الوقت الحاضر — التي ترجع الى

عصر معين .. وذلك بعد تقسيمها الى فصائل ، مثل : الالات الوترية ، وآلات القرع ، والايقاع ، ثم .. الالات الهوائيـــة .

* « دراسات فى فقه اللغة » للدكتور صبحـــي الصالح استاذ فقه اللغة والاسلاميات فى كلية الاداب بالجامعة اللبنانية .

صدرت طبعته الرابعة مع اضافات جديدة .

* احتجت مجلة — الشهاب — الاسلامية اللبنانية على قرار حكومة لبنان اقامة تمثال لقدموس فى مدينة صور بحيث يكون اكبر من تمثال الحرية فى نيويورك ويكلف عشرة ملايين ليرة لبنانية .

وقالت مجلة الشهاب — اي معنى لاشادة تمثال بعشرة ملايين ليرة لا تستطيع حمايته فضلا عن ان الفكرة من حيث هي تافهة متخلفة وقد كان بالامكـــان اقامة مؤسسة دراسات علمية أو تخصيص جائـــــزة سنوية لابحاث معينة من ريع هذا المبلغ الضخم .

* صدر عن دار المشرق فى بيروت الطبعة الثانية من كتاب « بديعات الزمان » وهو بحث تاريخي تحليلي فى مقامات الهمذاني تأليف الدكتور فيكتور الكك استاذ الادب العربي واللغة الفارسية فى الجامعة اللبنانية . وهو الكتاب رقم 15 فى سلسلة « نصوص ودروس » فى 144 صفحة حجم كبير .

* نالت الاديبة الشاعرة الباحثة ثريا ملحـــس الاستاذة فى كلية بيروت للبنات درجة الدكتوراه مـــن كلية لندن ، وفى الوقت نفسه لا تزال تعد اطروحة لنيل دكتوراه اخرى عن الشاعر « كشاجم واعماله » وهو من القرن الرابع الهجري ، لتقديمها الى معهــــد الدراسات الشرقية فى الجامعة اليسوعية .

* صرح المستر اميرا سنج رئيس اللجنة الدولية التي تحقق فى انتهاكات اسرائيل لحقوق الانسان فى الاراضي العربية المحتلة بان اللجنة ستسعى لتامين تعيين سلطة من قبل الدول المعنية لحماية الحقـــوق الانسانية للسكان العرب . ويستحسن ان تكون هذه السلطة دولة محايدة .

وكان المستر اميرا سينج يتكلم فى مؤتمر صحفي وكانت اللجنة قد انتهت فى وقت سابق من استماعها لاقوال عدد من الشهود فى بيروت وقد ذكر الشهود الـ 26 الذين ادلوا بشهاداتهم امام اللجنة بانهـــم تعرضوا لتعذيب وحشي على أيدي زبانية اسرائيل .

وقال المستر اميرا سينج ان مهمة اللجنة الدوليه ليست محدودة وانها ستستمر الى ان ينتهي الاحتلال الاسرائيلي واعرب رئيس اللجنة عن أمله فى ان تتخذ كافة التدابير الضرورية للاشراف على الوضـــع فى الاراضي المحتلة لصيانة حقوق الانسان فيها بما يتفق مع نصوص اتفاقيات جنيف .

* بدات اللجنة الوطنية لليونسكو بلبنــــان فى اصدار نشرة باللغتين العربية والفرنسية تحت عنوان « اليونسكو — لبنان » . ويحتوي العدد الاول منها على رسائل من السيد رينيه ماهو المدير العام لليونسكو ، ومن الاستاذ نجيب صدقة ، رئيس اللجنة الوطنية ، كما تشتمل على عدة مقالات ودراسات للاساتذة : كميل أبو صوان ، وفؤاد صروف ، وهشام نشابـي وعبد العزيز القوصي .

* توفى فى بيروت الدكتور فؤاد غصن عن 82 عاما وكان الفقيد محاضرا سابقا فى كلية الطـــب بالجامعة الامريكية عن الطب الشرعي والاداب الطبية وله كتاب ضخم فى « الطب الشرعي » يعد مرجعـــا هاما كما له كتاب ضخم ايضا عنوانه « مذكـــرات » وبقي مدة 20 عاما يصدر ويحرر « المجلة الطبيـــة العلمية » كما تولى رئاسة جمعية اصدقاء الشجرة فى لبنان مدة طويلة . نقدم احر التعزية .

* بتاريخ 30 مارس 1971 انتهت مدة ولايـــة الدكتور القوصي كمدير للمركز الاقليمي ، بسبب بلوغه سن التقاعد .

وتقديرا لمزاياه ، ولما بذله من جهود قيمة فى ادارة المركز منذ انشائه ، ولاسهامه الفعال فى تعزيـــز دوره التربوي وتطوير الخدمات التي داب على تقديمها للبلاد العربية فى ميدان التخطيط فقد منحتـــه الحكومـــة اللبنانية وسام الارز الوطني من رتبة « كومندور » .

وقام وزير التربية الوطنية الدكتور نجيب أبو حيدر بتقليده الوسام فى حفلة تكريمية اقيمت على شرفه بتاريخ 27 مارس 1971 فى فندق بريستول بحضور وزير التصميم العام الدكتور حسن مشرفية ، ومدير عام وزارة الداخلية الاستاذ فؤاد صوايا ومدير عـــام

وزارة التربية الاستاذ جوزيف زعرور وعدد غفير من المسؤولين الرسميين واعضاء السفارات وممثلي الامم المتحدة فى لبنان ورجالات التربية من قادري الدكتور القوصي .

المملكـــة السعوديـــة :

❊ ادلى الشيخ محمد سرور الصبان الامين العام لرابطة العالم الاسلامي بتصريح لمندوب وكالة الانباء السعودية قال فيه :

ان الامانة العامة لرابطة العالم الاسلامي قد وجهت الدعوة لجميع اعضاء المجلس التأسيسي لحضور الدورة الرابعة عشر التي تقرر عقدها فى غرة شعبان 1391 هـ .

واضاف معاليه يقول :

ان الامانة قد بعثت بجدول اعمال هذه الدورة التي يعقدها مجلس الامانة العامة للرابطة فى هذا التاريخ من كل عام لاعضاء المجلس .

❊ علمت وكالة الانباء السعودية انه قد جرى احداث ادارة جديدة بوزارة الدفاع والطيران تسمى ادارة الشؤون الدينية مهمتها القيام بالنصح والارشاد وبعث التعاليم الاسلامية السمحة بين منسوبي الوزارة وارشادهم الى ما ينفعهم فى دينهم ودنياهم .

هذا وقد صدر الامر الملكي رقم 1 — 112 فى 22 5 — 91 بتعيين الشيخ عبد المحسن بن عبد الله بن علي آل الشيخ احد خريجي كلية الشريعة مديرا لهذه الادارة برتبة عقيد وستباشر هذه الادارة مهام عملها اعتبارا من تاريخه .

❊ افتتح الامير فواز بن عبد العزيز امير منطقة مكة المكرمة المدرسة الاصلاحية للمساجين فى مكة والاقسام الفنية التابعة لها .

❊ « ورقة بن نوفل » كتاب جديد للاديب السعودي عبد العزيز الرفاعي خلال الصيف الماضي.

❊ زار المملكة وفد افغاني مكون من الاساتذة عبد العزيز علي احمد الاستاذ بكلية الشريعة بجامعة كابل . وعبد النهار تديري مدير هيئة التدريس والمدرس بالجامعة . ونعمة الله الشهراني مدير مجلة « الشرعيات » والمدرس بكلية الشريعة بكابل للاطلاع عن أوجه النشاط الاسلامي والثقافي فى المملكة

وقد زار الوفد رابطة العالم الاسلامي وتفقد اقسامها وعقد عدة اجتماعات مطولة مع المسؤولين فيها وسيقوم الوفد بزيارة المدينة المنورة للتشرف بالسلام على الرسول صلى الله عليه وسلم ومن ثمة زيارة الجامعة الاسلامية بالمدينة .

❊ منهج البحث التاريخي عند ابن بشر دراسة كتبها الدكتور عبد العزيز الخويطر مدير جامعة الرياض بالنيابة وصدرت فى الرياض .

❊ برعاية الامير فواز بن عبد العزيز امير منطقة مكة المكرمة احتفلت مؤسسة عكاظ الصحيفة بتوزيع جوائزها للفائزين فى مسابقتها الثقافية التي نظمتها خلال العام الماضي . وقد حضر الحفل عدد من كبار المسؤولين والادباء ورجال الفكر والثقافة . وقد اثنى الامير على هذا اللون من المسابقات الثقافية التي تدفع الى المطالعة والتثقف .

❊ صرح احمد المانع المستشار الثقافي بالسفارة السعودية فى القاهرة بانه تم حتى الان اختيار 1250 مدرسا مدرسة فى مختلف التخصصات للعمل بالمملكة السعودية عن طريق التعاقد الشخصي ، وقال ان وزارة التربية فى الجمهورية العربية قد ابلغته انها على استعداد لتلبية جميع احتياجات السعودية من المدرسين .

❊ بأمر من الملك فيصل المعظم تم صرف مبلغ 437,400 (ريال سعودي) تكاليف طبع 50 الف نسخة من ترجمة معاني القرآن الكريم الى اللغة اليابانية .. وهي الترجمة التي قام بها المسلم الياباني الشيخ عمر ميتا تحت اشراف رابطة العالم الاسلامي، وبتكليف منها .. وهي اول ترجمة لمعاني القرآن الكريم الى اللغة اليابانية ..

وقد قامت لجنة مختصة برابطة العالم الاسلامي بمراجعة معاني الترجمة ومطابقتها لمعاني الايات الكريمة .. بحضور المترجم الشيخ عمر ميتا .

وستؤدي هذه الترجمة لمعاني القرآن الكريم الى اللغة اليابانية خدمة جليلة فريدة للدعوة الاسلامية فى اليابان حيث اخذت الحركة الاسلامية هناك فى الانتشار

بجهود متضافرة من جماعات التبليغ التي تقوم بجولاتها المتعددة في اقطار العالم ـ داعية الى الله والى دينه الحنيف .

الكـويـت :

* صرح الشيخ عبد الرزاق الصالح احد كبار رجال الدعوة بالكويت الشقيقة بان الكويت قد تبرعت للشعب المسلم في اندونيسيا بـ 320 صندوقا من الكتب والمراجع الاسلامية والمقررات المدرسية وهذا التبرع جرى هذا العام اما في العام الماضي فقد بلغت هدية الكويت لاندونيسيا اكثر من 200 صندوق من امهات الكتب العلمية الاسلامية .

واضاف الشيخ عبد الرزاق الصالح يقول : وان هذه الكتب التي ارسلت لاندونيسيا هذا العام وفي العام الماضي انما ارسلت بالتعاون من وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ووزارة التربية والتعليم بالكويت.

كما ان مكتبة المنار الاسلامية بالكويت والتي تتبنى طبع اكثر هذه الكتب وتامينها .

قد ساهمت مساهمة فعالة في هذا المجال بالمطبوعات الاسلامية القيمة .

ولاشك ان المسلمين في اندونيسيا سيستفيدون كثيرا من هذه الكتب الثمينة لنشر المعرفة والثقافة الاسلامية وتطوير اللغة العربية وانتشارها بين الشباب المسلم في هذا البلد المسلم الذي يتطلع قادته الى تطويره وتقدمه .

* تبرع الشاعر البحريني ابراهيم العريض بمكتبته الخاصة التي تبلغ 20 الف كتاب الى نادي العروبة في المنامة بالبحرين وقد قرر النادي تخصيص جناح خاص لها .

* يؤخذ من احصاءات وزارة التربية ان 1.200 مدرس كويتي تخرجوا من الكليات هنا من سنة 1966 الى 1970 . وقد عين معظمهم في المدارس الابتدائية

وفي غضون ذلك تخطط الوزارة لتعيين حوالي 1.000 مدرس من البلدان العربية للسنة الدراسية القادمة .

* قامت جمعية الاصلاح الاجتماعي في الكويت بتجربة رائده منذ اربع سنوات حيث فتحت في مقرها مركزا لتحفيظ القرآن الكريم مدة شهرين في عطلة الصيف والتحق فيه ما يقرب من مائة طالب وفي السنة التي بعدها فتحت ثلاثة مراكز وفي الثالثة سبعة مراكز وفي صيف هذه السنة ازداد عدد المراكز الى ثلاثة عشر مركزا منها مركزان للبنات .

ومما يملا النفس غبطة ورضى نجاح مسابقة تحفيظ القرآن التي نظمتها وزارة التربية في العام الماضي ...

وكذلك قررت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية تاسيس ـ دار القرآن الكريم ـ وطلبت ادارة رعاية الشباب بوزارة الشؤون الاجتماعية والعمل من جمعية الاصلاح تنظيم دورة لتحفيظ القرآن في مراكز الشباب التابعة للوزارة المذكورة .

دبـي :

* الدكتور احمد امين المدني اصدر في دبي ديوانه الشعري الجديد « رشائش العبير » .. وللدكتور مدني كتابان سيصدران قريبا احدهما كتاب « مقدمة دراسة تاريخ الخليج » وكتاب « الاشعري ، دراسة وفلسفة » .

البحـريـن :

* اعلن الشيخ خليفة الخليفة رئيس مجلس الدولة في البحرين ان المحكمة البريطانية التي كانت تقوم بالنظر في قضايا البريطانيين وسكان البحرين على السواء سوف تستبدل بمحكمة بحرانية في الحادي والثلاثين من يوليوز المنصرم .

وتصف الاوساط المحليه هذا الاجراء بانه خطوة جديدة في طريق احراز الاستقلال من جانب البحرين التي لا تزال محمية بريطانية .

علم من الخرطوم ان سفير السودان في تشاد قد سلم الى وزير التعليم في الحكومة التشادية مبلغا ماليا يعادل حوالي سبعة الاف جنيه استرليني لمساعدة تشاد في تمويل تعليم اللغة العربية هناك . وسيقدم السودان بالاضافة الى ذلك عشرين منحة دراسية الى طلبة تشاد الذين يرغبون في متابعة تعليمهم بجامعة الخرطوم .

اليمـــن :

* فرضت ضريبة خاصة على طوابع البريد وتذاكر دخول دور الملاهي بالجمهورية العربية اليمنية ستطبق من الان فصاعدا تنفيذا لاحكام القانون الجديد الخاص بتعليم الاميين ، والذي بموجبه اصبح هذا التعليم اجباريا .

ومن جهة اخرى فانه سيتعين على جميع المؤسسات دفع اعانة خاصة لصندوق تعليم الاميين .

آسيــا

طوكيو :

* تعتزم منظمة التحرير الفلسطينية فتح مكتب لها فى طوكيو وقال السيد على الصاوي الناطق بلسان مكتب جامعة الدول العربية فى طوكيو انه فى انتظار المعلومات المفصلة بشان افتتاح مكتب لمنظمة التحرير الفلسطينية فى العاصمة اليابانية .

* سيفتتح خلال هذا الشهر مركز ثقافي تابع لليونسكو فى آسيا وسيكون مقره مدينة طوكيو وسيوضع تحت اشراف اللجنة الوطنية اليابانية . وسيتولى هذا المركز مهمة تشجيع التبادل الثقافي بين دول آسيا ، وانقاذ تراثها الفني والتاريخي .

ويعتزم المركز القيام بعمل مسح شامل للكنوز الثقافية لآسيا والمساهمة فى الجهود التى تبذلها اليونسكو لانقاذ معبد « بور بوردور » المعروف فى اندونيسيا ، كما انه سينظم دورات تدريبية للمتخصصين فى اعمال ترميم الآثار .

ماليزيا :

* بينانج (ماليزيا) ـ صرح تنكو عبد الرحمن الامين العام للامانة الاسلامية بأنه سيتقدم بمقترحات لتامين سلامة اللاجئين الباكستانيين الذين يرغبون فى العودة الى ديارهم .

وقال تنكو عبد الرحمن الذي عاد من جولة فى باكستان الشرقية انه يشعر شخصيا بان شيئا ما يجب ان يعمل لتامين عودة اولئك اللاجئين .

واضاف يقول : انه اثناء جولته القادمة فى كلكتا ونيودلهي والهند سيتقدم ببعض المقترحات التي تخدم هذا الفرض .

واستطرد قائلا : غير انه لا يتوقع فى الوقت الحاضر عودة الكثير من اللاجئين بسبب نشاط العصابات على كلا الجانبين من الحدود الهندية الباكستانية .

* كوالالمبور ـ ابلغ السيد على حاجي نائب وزير المالية الماليزي البرلمان ان ماليزيا تجري مشاورات مع الدول الاسيوية حول امكان تاسيس سوق اسيوية مشتركة ، وقال السيد حاجي ردا على اسئلة وجهت اليه ان المشاورات تجري عن طريق اتحاد دول جنوب شرق آسيا والهيئة الاقتصادية لآسيا والشرق الاقصى . وقال السيد حاجي انه على الرغم من أن انشاء سوق اسيوية مشتركة هو لخير الدول الاسيوية الا أن هناك عددا من المشاكل التي يجب تسويتها قبل ان يصبح بالامكان تأسيس هذه السوق ، واضاف بان الموضوع يجب دراسته دراسة شاملة .

* سيقام معرض للحضارة الاسلامية بالمسجد الوطني بكوالالمبور ـ ماليزيا من 5 نوفمبر الى 5 ديسمبر 1971 ، فى اطار المباراة الدولية لتجويد القرآن الكريم .

وموضوع هذه السنة « الاسلام ومساهمته فى تنمية العلم والتكنولوجيا » .

مانيلا :

* انعقدت حلقة دراسية دولية عن هذا الموضوع فى مانيلا من 7 الى 19 ديسمبر ـ كانون الاول 1970 ، وتم تنظيمها تحت رعاية معهد وسائل الاعلام بجامعة الفيليبين وبمعاونة اليونسكو . وحضرها خمسة عشر خبيرا من ثلاثة عشر بلدا ، فضلا عن عدة مستشارين . ويمكن ان تلخص على الوجه التالي النقاط الرئيسية التي عالجها الاجتماع : تنمية المجتمع

الحضري والمجتمع الريفي ، الانتاج الغذائي والتنمية الزراعية ، تنظيم الاسرة ، مشكلات « محتلي الاراضي بغير حق وبدون أجر » ، الاصلاح الزراعي ، التربية الصحية ، حملات محو الامية ، الرقابة على تناول المخدرات . كما تم تحليل دور مختلف وسائل الاعلام (بما في ذلك وسائل الاتصال فيما بين الافراد) ، في تنمية المجتمع بشكل عام وضمن اطار بعض الدراسات المحددة .

※ لا زالت الاقلية الاسلامية في الفيلبين تعاني من ظلم وتعسف اولئك الذين بداوا حربا شعواء هدفها تصفية ابناء هذه الاقلية او اجبارها على الاقل على الرحيل من بلادهم الى مناطق اخرى يعيشون فيها غرباء مشردين .. وقد وردت انباء عن حدوث اصطدام دموي كبير بين الاقلية المسلمة والمسيحيين الدخلاء على الحدود في جنوب مقاطعات منداناو في كوتاباتو الشمالية ولانوديل سور .

وقالت صحيفة المانيلا تايمز نقلا عن مصادر البوليس القومي بأن عدة اشخاص قد قتلوا وجرح عدد آخر كبير في معركة البنادق التي نشبت في جبل هاملتس الذي يفصل بين مدن واو ولانوديل سوروكار وبين كوتابوتو الشمالية .. ولم يتمكن البوليس بعد من احصاء عدد القتلى والجرحى من المسلمين وهوياتهم في هذا الا شتباك الدموي المدبر .

وادعت الصحيفة بأن ارسال القوات المسلحة وقوات البوليس الوطني من العاصمة الاقليمية لكوتاباتو لم يتم بسبب عدم توافر وسائل الاتصال وصعوبة الانتقال الى هناك .. حيث لا يمكن الوصول الى هذه المدن الا مشيا على الاقدام .. لكن لم تشر الصحيفة مطلقا سبب عدم استخدام سلاح الجو في نقل الجنود الحكوميين للسيطرة على الوضع المتردي هناك واعتماد الحكومة على طائرة الهليكوبتر الوحيدة والموجودة في الاقليم لنقل جانب من اولئك الجنود .

وتقول الاحصائيات الحكوميه بأن عدد الضحايا من المسلمين في اقليم كوتاباتو قد ارتفع الى الف قتيل خلال عام واحد لا لسبب سوى الحقد الديني الدفين .. ورغبة بعض العناصر المسيحية المستوطنة حديثا في الاقاليم الاسلامية بالسيطرة على أراضي وخيرات هذه الاقاليم التي تعاني الاز من غزو مسيحي كثيف .

※ ارسل الاستاذ ابو الاعلى المودودي . عضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الاسلامي . وامين الجماعة الاسلامية بباكستان البرقية التالية :

رئيس جمهورية الفلبين . مانيلا .

وصلتنا تقارير مقلقة عن استمرار اضطهاد المسلمين في الفلبين ، ولقد تاثر شعب الباكستان كثيرا . قف باسم الانسانية وسماحة الدين نناشدكم ان يقوم العدل للمسلمين في بلدكم وايقاف التشر العظيم .

أندونيسيا :

※ اعتنق الدين الاسلامي في جاكرتا كل من الاديب والشاعر الاندونيسي الاستاذ و. س. ريندبرا .. والكاتب الادبي وابراتموسوفيتر .

ويعتبر الاستاذ ريندبرا من كبار شعراء وكتاب اندونيسيا الذين يتمتعون بشعبية كبيرة بين القراء والمثقفين لما تتميز به كتاباته وقصائده من روعة في الافكار والتصوير .. وقد ولد من ابوين مسيحيين .. وكان يدين قبل اسلامه بالمسيحية الكاثوليكية وتلقى دراسته العليا في الولايات المتحدة الامريكية .. وقد كان شديد التعصب للكاثوليكية ، وكانت له كتابات يهجم فيها الدين الاسلامي على وحي تعصبه هذا .. وبدا اطلاعه على حقيقة الدين الاسلامي منذ شهر ابريل عام 1964 م من خلال قراءته للسيرة النبوية والقرآن الكريم .. حيث تعرف على واقع الدين الاسلامي وجوانبه المشرقة الوضاءة .. وغاياته في المجتمع الانساني .. هذا . وقد قام الاستاذ ريندبرا بترجمة السيرة النبوية والقصص والروايات التاريخية الاسلامية .. وذلك باسلوبه المحبوب ولاقت مؤلفاته اقبالا كبيرا من القراء على اختلاف عقائدهم .. وقد بدا نور اشهار اسلامه بالمساهمة في ميدان الدعوة الاسلامية بالكلمة والحرف .

كما ان الكاتب الادبي وبراتمو سوفيتر يعتبر من اشهر كتاب اندونيسيا .. وقد كان قبل اسلامه راهبا كاثوليكيا .. وقد تلقى دراساته العليا في اوروبا .. وقد اعتبر اسلام هذين الاديبين دعما للاحزاب الاسلامية التي تدخل الانتخابات لما لهما من شعبية كبيرة .. ولعزمهما على المساهمة بكتاباتهما في دعم تلك الاحزاب الاسلامية .

※ جاكرتا ـ اعلنت اللجنة الانتخابية لحزب جولكار الاندونيسي انه قد حصل على 224 مقعدا فى البرلمان فى الانتخابات التي جرت فى الثالث من يوليو الماضي .

واضافت اللجنة ان حزب نهضة العلماء الاسلامي قد حصل على 20 صوتا ، وحزب برنوس الاسلامي على 23 صوتا ؛ والحزب الوطني الذي اسسه الرئيس سوكارنو على 20 صوتا ، والحزب الاشتراكي الاندونيسي الاسلامي على 11 صوت ، وحزب بريكن المسيحي على ثمانية اصوات ، وحزب الكاثوليكي على ثلاثة اصوات فقط .

وكانت هذه الانتخابات قد جرت لشغل 360 مقعدا من مجموع مقاعد البرلمان وعددها 460 .

افغانستان :

※ افضى السيد محمد موسى وزير خارجية افغانستان بتصريح قال فيه : ان مؤتمر وزراء خارجية البلدان الاسلامية الذي من المقرر عقده من 2 الى 5 سبتمبر القادم قد تأجل الى فاتح مارس من السنة المقبلة .

واضاف الوزير الافغاني بقوله : ان السبب فى هذا التأجيل يرجع الى ان الدورة القادمة للجمعية العامة للامم المتحدة ستنعقد ايضا فى شهر سبتمبر .

كما اعلن السيد شفيق من جهة اخرى بانه سيجري محادثات مع المسؤولين المصريين حول دور المؤتمر الاسلامي فى كفاح الشعوب العربية تجاه العدوان الاسرائيلي ومساهمة البلدان الاسلامية فى ايجاد حل للنزاع .

واستطرد الوزير الافغاني يقول : تجاه العدوان الاسرائيلي ومساهمة جدول اعمال المؤتمر هو قضية المسجد الاقصى .

※ كابل ـ اكدت حكومة افغانستان الجديدة تأييدها لحقوق شعب فلسطين والتزامها بسياسة عدم الانحياز .

كما اكدت حكومة افغانستان الجديدة ضرورة الانسحاب الكامل للقوات الاسرائيلية من جميع الاراضي العربية جاء ذلك فى البيان الذي قدمه الدكتور عبد الظاهر رئيس الحكومة الجديدة الى مجلس الشعب .

※ جاء من لاهور ان رؤساء دولة تركيا وايران وافغانستان وباكستان سيعقدون فى المستقبل القريب اجتماعا للتباحث حول امكان اقامة اتحاد كونفدرائي بين هذه الدول الاسلامية الاربع ، وقد جاءت المبادرة من قبل ايران وباكستان . وكان مسؤولون كبار بين مدنيين وعسكريين من تركيا وايران قد زاروا باكستان قبل بضعة اسابيع بقصد التمهيد والتعرف على مدى امكان اقامة هذا الاتحاد .

تركستان :

※ تجددت حوادث المقاومة فى تركستان فى الاسابيع الاخيرة بشكل عنيف ، ضد الحكم الشيوعي فقد تحرك فجاة مئات من الشباب المسلم معلنين انهم لن يرضوا بغير الاسلام بديلا ، وفوجئت السلطات الحاكمة بوعي الشباب التركستاني المسلم وتمسكه بدينه وعقيدته ، رغم السنين الطويلة التي مرت على قيام الحكم الشيوعي وابعاد علماء الاسلام عن مراكز التوجيه والقضاء على كل شعور ديني فى البلاد .

الباكستان :

※ راولبندى ـ صرح السيد تنكو عبد الرحمن امين عام المؤتمر اسلامى ان الرئيس يحيى خان اكد له خلال اجتماعه به ان الباكستان ترحب بجميع المشردين الباكستانيين وتضمن سلامتهم ، وقد صرح الامين العام بهذا التصريح فى مطار اسلام اباد مخاطبا رجال الصحافة وذلك قبيل سفره الى كراتشي ، ويقوم تنكو عبد الرحمن بزيارة للباكستان تستمر اربعة ايام وهو على راس وفد يضم مندوبين عن كل من ايران والكويت والاردن وافغانستان والمملكة العربية السعودية ، كما صرح أنه يعتزم القيام بزيارة للهند . وانه سينقل تأكيدات الرئيس الباكستاني الى اللاجئين وقال فى معرض الحديث انه من واجب حكومة الهند ان تقدم التسهيلات لعودة اللاجئين الى وطنهم . وانه ليس من حق اية دولة ان تتدخل فى الشؤون الداخلية لدولة اخرى . كما صرح تنكو عبد الرحمن ان الرئيس الباكستاني اعرب عن شكره للدول الاسلامية لما ابدته من الاهتمام تجاه الباكستان .

هذا وقد صرح الامين العام بقوله ان بعض الدول الاسلامية والامانة الاسلامية تدرسان كيفية مساعدة اللاجئين فى باكستان الشرقية وفى هذا الصدد يقوم الوفد الذي يرأسه فى نهاية زيارته بتقديم تقرير عن الوضع فى الاقليم ودراسة طريقة تستطيع بها الامانة الاسلامية تقديم المساعدات ..

* «اصدر المجلس الاستشاري للجماعة الاسلامية فى باكستان برئاسة الاستاذ طفيل محمد امير الجماعة الاسلامية بالنيابة القرار التالي فى اجتماع عقده فى لاهور فى تاريخ 19 — 4 — 1971 م» :

المجلس الاستشاري للجماعة الاسلامية يرى من واجبه ان يؤكد لكل من حكومة باكستان وقادتها مره اخرى ان الاسلام هو الركيزة الوحيدة التي تستطيع ان تحافظ على وحدة باكستان وتضامنها وترابطها . ان الذي كان استنفر كافة مسلمي الهند فى وجه الاستعباد الانكليزي والطغيان الهندوسي واوقفهم بنيانا مرصوصا فى معركة التحرير لم يكن الا ايمانهم العميق بالرابطة الاسلامية وشعورهم الاكيد لاتباع الشريعة الاسلامية فى ظل دولة الاسلام . وبفضل هذا الايمان الصادق انعم الله عليهم بدولة اسلامية : باكستان عام 1947 ... وبفضل هذا الشعور المقدس انقذ الله هذه الدولة من مطامع الاستعمار الهندوسي فى حرب 1965 م .

* قال السيد ابو الاعلى المودودي مؤسس الجماعة الاسلامية :

ان مشروع الرئيس للنظام الدستوري كان موفقا جدا والجماعة قد رحبت به . وقال : ان الامة كلها قد سمعت فى رضا وارتياح تصريح الرئيس بعدم قبول عون خارجي مشرط . وان الامة باسرها مستعدة على اكمل وجه لمواجهة تهديد الهند لنا بالحرب .

وقال مولانا المودودي : وقد كان من رأي الجماعة منذ زمن طويل ان دستور البلاد يجب ان يرسى بدقة على اسس اسلامية ، وان حقوق الشعب يجب ان تصان ، وان العدل يجب ان يؤمن للجميع . ولقد كان امرا مطمئنا ان وضع الرئيس الترتيبات لدستور المستقبل مستندا على هذه الاهداف .

وقال ايضا : انه من راي الجماعة انه من غير المناسب ان يوضع الدستور فى الوقت الحالي بواسطة المجلس . وحمد الله العظيم على ان الرئيس قد تحقق بنفسه من ذلك وقرر ان المجلس المركزي والمحلي سيعملان على اقرار دستور صمم على الاسس السابقة الذكر . وبعد ذلك يجب ان يكون المجلس الوطني صالحا لتعديل الدستور تمشيا مع طريقة مرسومة .

واشاد الاستاذ المودودي بقرار الرئيس فى ان الخارجين والمخططين الذين حاولوا تقسيم القطر والذين سببوا اضرارا بالحياة والممتلكات فقط هم الذين سيعاقبون . واضاف : ان الوطنيين هناك ، يجب ان يشجعوا تشجيعا كاملا وان يحشدوا حول العمل الاوحد لاعادة الحياة الطبيعية هناك .

وقال ان قرار الرئيس بأن السلطة ستنقل الى الشعب فى كل القطر فى وقت واحد كان جديرا بالتقدير ، اذ ان نقل السلطة بصورة متقطعة فى اجزاء مختلفة من القطر لم يكن صحيحا بأي وجه .

ان كل الامة مرتاحة للقرار الحاسم فى رفض المعونات الخارجية التي تحمل معها شروطا تتيح التدخل فى شؤون باكستان الداخلية .

* اصدر المجلس الاستشاري للجماعة الاسلامية فى باكستان قرارا اكد فيه لكل من حكومة باكستان وقادتها ان الاسلام هو الركيزة الوحيدة التي تستطيع ان تحافظ على وحدة باكستان وتضامنها وترابطها وكان الواجب يفرض على المسؤولين يوم ان انشئت هذه الدولة ان يترجموا هذا الشعور الى العمل ويتخذوا اجراءات مناسبة لاظهاره فى مظهر واضح .

* عثر فى شمال باكستان الغربية على بقايا حضارة ترجع الى خمسة آلاف سنة . وتعد قريبة الشبه من تلك الحضارة التي سادت وادي نهر السند.

ومن المعروف ان الحضارة الكبرى لنهر السند، التي ازدهرت فى وقت واحد مع حضارة ما بين النهرين وحضارة مصر ، قد ازيح عنها الستار بعد العثور ، فى سنة 1922 ، على المدينة القديمة موهينجو — دارو ، التي وجدت شوارعها المستقيمة ومنازلها وقنواتها واستحكاماتها على حالتها الاولى . ولقد قامت الحكومة الباكستانية بمعاونة اليونيسكو بحملة لانقاذ هذا الموقع .

وقد اتضح من الاشياء التي عثر عليها ، كالآنية الفخارية المزخرفة والتماثيل المصنوعة من الصلصال والحلي .. الخ انها قريبة الشبه جدا من مثيلاتها التي عثر عليها في موهينجو ــ دارو . وثمة حملة ثانية من الحفريات للتنقيب عن آثار هذه الحضارة ينتظــر ان تبدأ في وقت قريب .

الهنــــــد :

* ستقام أول سوق دولية للكتاب في الهند في شهــر ينــايــر ــ 1972 بمدينــة نيودلــهي . وتعتبر هذه السوق الاولى من نوعها بالهند ، كما انهـا تعد من اولى مظاهر الاحتفال بالعام الدولي للكتـــاب الذي اعلنته اليونسكو .

هذا وسيعقد ابان اقامة هذا السوق ، مؤتمــر للناشرين من دول آسيا وافريقيا .

ايــــران :

* كشفت احدى بعثات الاثار الفرنسية التـــي يديرها السيد جان برو اثناء اعمال التنقيب في ايران عن قاعدة بناء قصر داريوس في مدينة سوز ، وهـي عبارة عن لوحين من الرخام الرمادي اللون على واجهتهما نقوش بالخط الاشوري ، وهي نقوش تبرهن بما لا يدع مجالا للشك ان قصر « الابدانا » قد بناه داريوس عام 522 قبل الميلاد بعد مدة قصيرة من توليه الحكم .

وقد وجد هذان اللوحان اسفل حوائط القصـر على جانبي ممر يصل الى قاعة عرش الملك ويحمـل احداهما نصا باللغة الايلامية والاخر يحمل نصا باللغة البابلية ، وهذه النقوش تشرح الخطوات المختلفـة بتشييد هذا القصر وتوضح مصادر المــواد التـي استخدمت في بناءه واصل العمال الذين جــاءوا من كافة انحاء الامبراطورية الفارسية .

ولهذا الكشف اهمية خاصة نظرا للاحتفال عـام 1971 بالعيد الخمسمائة بعد الالفين لقيام الملكيـــة الفارسيـــة .

* عندمــا نظمــت في فبرايــر 1960 فــي ولنجتن (نيوزيلندا) حلقة دراسيــة اقليميــة عن استخدام المطبوعات المدرسية للاسهــام في دعــم التقدير المتبادل بين القيم الثقافية للشرق والغرب ، اوصى المشتركون فيها بوضع كتب اضافية للقــراءة تكرس لمختلف شعوب العالم ، حتى يعرف التلاميـذ تلك الشعوب في سن مبكــرة ويكنــوا لها مشاعــر « الاهتمام والود والصداقة » . ووفقا لهذه التوصية ، قام السيد حسين نصر ، استاذ تاريخ العلوم والفلسفة بجامعة طهران ، بناء على طلب اللجنة الوطنيـة الايرانية، باعداد دراسة وجيزة ، من 40 صفحة ، عن الحياة في ايران والثقافة الايرانية .

وبالرغم من ان هذه الدراسة موجهة قبل كــل شيء لمؤلفي وناشري الكتب المدرسيـــة او كتــب الاطفال ، فقد دعى المدرسون ايضا لاستخدام هــذا النص ضمن اطار الدروس المكرسة للثقافات الاجنبية.

اوروبـــا :

اسبـــانيـــا :

* تواصل بعثة معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية عملها في انتقاء وتصوير المخطوطات العربيـــة في مكتبات اسبانيا .

وقد تلقى المعهد رسالة من المستشار الاستاذ صالح ابو رقيق رئيس البعثة يشيد فيها بالمعاونـــة الصادقة والحفاوة الكبيرة التي استقبلت بها السلطات اسبانية هذه البعثة العلمية .

وقد رحب بالبعثة السنيور خوزيه بيريـــزدل آركو المدير العام للعلاقات الثقافية بوزارة الخارجية الاسبانية والسنيور استيبان باسولز المدير العام بوزارة الاعلام والسياحة والسنيور لويس سانشيت بيـلادا مدير عام المكتبات والسنيور خوان استرادا مديـر البروتوكول في وزارة السياحة الاسبانية والسنيور فرانسيسكو ناراخو مفوض اعلام والعلاقـــات بوزارة الاعـــلام .

وقدم هؤلاء السادة الافاضل معاونة صادقـــة لبعثة المعهد واصدروا التعليمات للجهات المختصـــة بحفظ المخطوطات العربية لتقديم كل التسهيـــلات للبعثة في اداء مهمتها العلميـــة بانتقـــاء وتصويـــر المخطوطات العربية ووضع اسس التعاون بين المعهـد وبين المعاهد والمكتبات العلمية في اسبانيا في هذا الميدان العلمي .

ومعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية اذ يعبر عن عميق شكره للسلطات الاسبانية على حفاوتها ببعثته العلمية ، يتطلع الى المزيد من التعاون مع هذا البلد الصديق الذي تربطه بشعوب الامة العربية اوثق الروابط منذ مئات السنين .

* بدات الدورة التدريبية على تحقيق وفهرسة المخطوطات التي نظمها المعهد لمبعوثي الدول العربية اعضاء الجامعة اعتبارا من 1 – 6 1971 ، وانتهت مع نهاية يوليه (تموز) 1971 .

وكان المعهد قد وجه دعوة الى الدول العربية لارسال مبعوثين من خريجي الكليات الشباب المهتمين بالتراث العربي لتدريبهم على احدث الطرق العلمية لانتقاء وتحقيق وفهرسة المخطوطات العربية وصيانتها وتصويرها .

وقد اختار المعهد مجموعة من الاساتذة المتخصصين فى مختلف العلوم المتعلقة بخدمة التراث العربي والاسلامي وهم الاساتذة : الدكتور ابراهيم بيومي مدكور والدكتور عبد الحليم منتصر والدكتور حسن حبشي والشيخ علي الخفيف والسيد احمد صقر والخطاط المعروف سيد ابراهيم والدكتور محمد حمدي البكري والدكتور حسين نصار والدكتور عبد الستار الحلوجي وعبد الرؤوف شلبي .

وحضر الدورة من المملكة الاردنية الهاشمية الاستاذ حسين محمد حسين امين مكتبة وزارة الاوقاف . ومن الجمهورية العراقية الاستاذ اسامة النقشبندي امين مكتبة المتحف العراقي لشؤون المخطوطات . ومن الجمهورية العربية الليبية الاستاذ محمد سالم الاورفلي من ادارة الآثار بطرابلس ، والاستاذ مصطفى عمر الكنزة من مكتبة الجامعة الليبية ببنغازي ، والاستاذ عبد الله الهوني الطالب بالدراسات العليا بجامعة القاهرة (قسم الدكتوراه) ، ومن الجمهورية العربية المتحدة الآنسة زينب عبد العليم القوصي والاستاذ منير محمد المدني وهما باحثان بمركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية .

وتلقى المبعوثون محاضراتهم فى مقر معهد البحوث والدراسات العربية العالية التابع للجامعة ، الذي قدم مشكورا جميع التسهيلات لهذه الدورة .

وتلقى المبعوثون تدريبا عمليا على فهرسة المخطوطات في قسم الفهرسة بالمعهد ، وعلى تصوير المخطوطات فى قسم التصوير ، واطلعوا على طريقة العمل فى قسم مجلة المعهد .

ونظم المعهد برنامجا للمبعوثين لزيارة المكتبات الكبرى واقسام المخطوطات فيها ، وقد زاروا دار الكتب المصرية والمكتبات الملحقة بها ومكتبة الجامع الازهر الشريف ، كما زاروا مكتبة البلدية الشهيرة فى الاسكندرية واطلعوا على مخطوطاتها .

وقد انتهت الدورة وادى المبعوثون امتحانا فى المواد التي درسوها .

فرنسا :

* احتفالا بذكرى مرور خمسة قرون على طبع اول كتاب فى فرنسا ، تنظم المكتبة الوطنية بفرنسا معرضا خصص لبداية الطباعة .

قدم الطباعون الاوائل الذين اقاموا مطبعة السربون من المانيا وقد نقلوا معهم أحرف الصلب والقطع . اعدوا فرقة من العمل المهني وطبعوا تحت اشراف الاب هيلان وحامل شهادة الدكتوراة فى اللاهوت وهو غيوم فيشيه اولى الكتب التي يعرض منها 14 كتابا فى لومنتال داخل المكتبة الوطنية فى باريس .

طبع اول كتاب عام 1470 ، وهو يضم مجموعة رسائل كتبها العالم الانساني الايطالي غاسبارينو باربيزا وعنوانها : « ايبيستولاى » .

تبنت الطباعة فى ذلك العصر الاحرف الرومية الدائرة والمعروفة باسم « هومانيستيك » ومن بين اجمل الكتب المعروضة لا بد كذلك من ذكر المؤلفات التاريخية اللاتينية لسالوست وفلوروس وعنوانها « ريتوريكا » لغيوم فيشيه و «ايليفانسيا» للور نزوفالا و « دي رامبيتيا » و « توسكولانيس » لشيشرون و « الكوميديا » لتارنس الخ . وقد ساهم الخطاطون والملونون كذلك فى هذه الاعمال . ولتقديم ما يشهد بمواهبهم ، يعرض نموذج « ملاك نظام القديس ميشال» الذي زينه فوكيه بالرسوم .

❊ صدر في باريس « فهرس مخطوطات الخزانة المعلوفية » خاصة العلامة عيسى اسكندر المعلوف ، بقلم المنسنيور جوزف نصر الله البحاثة والخبير بالمخطوطات ، والفهرست بالفرنسية والعربية وفيه مقدمة للمؤلف وكذلك مقدمة بالفرنسية للمشرف على مكتبة ابيه رياض المعلوف . وقد طبع الفهرست بمعاونة المعهد الوطني للابحاث العلمية بباريس في 295 صفحة حجم كبير .

❊ « من المعرفة التاريخية » تأليف (أ. مارو) استاذ فلسفة التاريخ في السربون . ترجمة جمال بدران . والكتاب ينقد فلسفات : الوجودية والماركسية والوضعية ويخرج بنظرية جديدة في فلسفة التاريخ هي الفلسفة الاسمية او المذهب الاسمى .

❊ منحت الاكاديمية الفرنسية جائزتها للاديبة الفرنسية جان دورتال على كتابيها « سعيد عقل الشاعر اللبناني الكبير » و « اغان اتانال » وهو مهدي للشاعر سعيد عقل .

❊ الاديب الفرنسي روبير مانتران القى محاضرة باللغة الفرنسية في المركز الثقافي بدمشق موضوعها « العرب وافريقيا الشمالية في العصور الوسطى » .

❊ كان آخر معرض للتحف الاسلامية قد اقيم بباريس سنة 1903 أي منذ 68 سنة .

ولذلك جاء المعرض الذي يقام هذه الايام في حينه كما كتبت الصحف الباريسية ، واثنت على ادارة متحف – اورانجيري – لهذه البادرة المراد منها اطلاع الشعب الفرنسي على الفن الزخرفي عند المسلمين .

ولا شك انه كانت قد اقيمت سابقا معارض مفردة للفن التركي او الفن الايراني ، وكان الناس يشاهدون فيها الزربات مختلفة ومن بينها بعض التحف الفنية الاسلامية ايضا .

الا ان هذا المعرض لا يضم سوى تحف اسلامية من عصر فجر الاسلام الى آخر القرن السابع عشر ويشتمل على 360 تحفة اثرية هي خير صورة لعالم مجهول في فرنسا على الاجمال ، مع ان معظم هذه المعروضات محفوظ في متاحف باريس وضاحيتها . مما اجتذب انظار المشاهدين خاصة تلك المصنوعات الخزفية الايرانية ، من القرن الثامن والتاسع ، ثم الانسجة التي رجع بها من الشرق قادة الحروب الصليبية ، وهي من صناعة القرن العاشر .

وقد افردت في المتحف الواقع بجوار – اللوفر – قاعة خاصة لروائع العهد الفاطمي في مصر وخاصة القطع المصنوعة من العاج وفضلا عن ذلك يسع الجمهور الباريسي ان يشاهد في هذا المعرض صورة مصغرة للعلوم التي انتهى اليها العالم العربي الاسلامي في القرن التاسع مثل الاسطراب المهدى لجعفر ابن الخليفة المتقي .

اما المجوهرات والقطع الصغير فان اروعها وابرزها – جندي من العاج – كان الامبراطور شارلمان يستخدمه كلما لعب الشطرنج وهو هدية من هارون الرشيد حسبما يرجحه الاكثرون .

❊ يقوم الان عدد من خبراء دور النشر والمكتبات ودوائر التوزيع بوضع ميثاق للكتاب . ويامل هؤلاء الخبراء ان توافق الهيئات المهنية على هذا الميثاق عام 1972 بمناسبة الاحتفال بالعام الدولي للكتاب الذي اعلنته اليونسكو . وسيحدد هذا الميثاق المبادىء التي تسمح للكتاب بأن يلعب دوره كاملا في ميدان التربية والتنمية والتفاهم على الصعيدين الوطني والدولي . وتشارك عدة هيئات في وضع هذا الميثاق من ضمنها الاتحاد الدولي للناشرين ، والمجموعة الدولية لجمعيات اصحاب المكتبات ، والاتحاد الدولي لجمعيات امناء المكتبات ، والاتحاد الدولي للوثائق ، والاتحاد الدولي لجمعيات المؤلفين والملحنين .

❊ ان الاحتياجات المطردة للدول النامية في مجال التربية ، قد نتج عنها ازدياد مطالبها من الكتب المدرسية والمراجع . وقد نشا عن ذلك مجموعة ضخمة من المشاكل المعقدة التي احاطت بحقوق التاليف والنشر الدولية التي تحكمها اتفاقيتان : اتفاقية برن والاتفاقيةالدولية لحقوق التاليف والنشر .

وقد انضمت بعض الدول الى اتفاقية برن ، وخاصة الدول المتقدمة صناعيا ، في الوقت الذي انضم فيه عدد آخر من بينها الكثير من الدول النامية ، الى الاتفاقية الدولية لحقوق التاليف والنشر . وما زالت هناك دول اخرى لم تنضم الى اي من الاتفاقيتين وتسمح بنسخ وبنشر الكتب التي طبعت في الخارج دون دفع حقوق التاليف والنشر .

ومن اجل ذلك ، فان هناك مؤتمر دولي سيعقد بمقر اليونسكو بباريس اعتبارا من 5 يوليو – تموز ولمدة ثلاثة اسابيع لكي يعمل على اصلاح حالة الفوضى السائدة فى هذا المجال . كما ستجتمع اللجنة الدائمة لاتحاد برن واللجنة الحكومية للاتفاق الدولي لحقوق التاليف فى نفس الوقت لاعادة النظر فى اللائحة الاساسية لكل منهما .

※ بمناسبة عيدها الخامس والعشرين ، دعت اليونسكو جميع الشبان ممن تتراوح اعمارهم بين 15 و 25 سنة للاشتراك فى المسابقة الكبرى للملصقات وموضوعها : « عالم جديد بنا » وقد وضعت هذه المسابقة تحت اشراف « الجمعية الدولية للفنون التشكيلية » وخصصت لها جوائز قيمة الاولى 500 دولار ، وخمسة جوائز اخرى قيمة كل منها 100 دولار . وللمتسابقين معالجة هذا الموضوع باسلوب تجريدي او تصويري ، كما انه لا يجب ان يحمل اية كتابة او رموز هجائية . ومن المقرر توزيع الملصقات الفائزة فى جميع انحاء العالم .

انجلترا :

※ يقوم الاستاذ احمد شوقي عبد الجواد رضوان فى قسم دراسات الشرق الادنى فى جامعة مانشستر فى انجلترا باعداد تحقيق انتقادي لكتاب تتمة اليتيمة للثعالبي كجزء من رسالته للحصول على درجة الدكتوراه من الجامعة المذكورة . والجزء الآخر من الرسالة يتناول دراسة شاملة حول الثعالبي .

وقد بعث الاستاذ احمد ببعض الملاحظات القيمة حول الكتاب بعد ان علم بنية مكتبة المثنى نشر هذا الكتاب اعتمادا على مخطوط باريس التى طبعها المرحوم عباس اقبال فى طهران سنة 1934 . وذكر أن عباس اقبال لم يقم بتحقيق الكتاب وانما قام بطبع المخطوطة دون تحقيق لان العمر لم يساعده فى انجاز هذا العمل . كما اكتشف انه توجد اكثر من مخطوطة لهذا الكتاب على غير ما كان يعتقد عباس اقبال ، وقد حصل على هذه المخطوطات وقارنها ببعضها ومع مخطوطة باريس .

النمسا :

※ فى سنة 1865 – 1867 م ، نشر المستشرق الشهير غوستاف فلوجل ، ثلاثة مجلدات ضخمة بالالمانية ، فى « فهرست المخطوطات العربية والفارسية والتركية الموجودة فى المكتبة الملكية بمدينة فينة » . وقد بلغ عدد المخطوطات التى وصفها فلوجل فى ذلك الفهرست 2016 مخطوطة . وفى اثناء السنوات المائة التى مضت على صدور ذلك الفهرست ، احرزت مكتبة فينة ، مجموعة حسنة من المخطوطات العربية ، تصدت لفهرستها المستشرقة النمساوية هيلين لوبنشتاين . وقد طبع المجلد الاول من فهرسها بالالمانية فى فينة سنة 1970 وسيتلوه سائر ما تبقى منه .

بلجيكا :

※ تم تنظيم معرض دولي لصور ورسوم واعمال فنية اخرى اعدها اطفال من افريقيا وامريكا اللاتينية، وقامت بجمعها الرابطة الدولية للفنون التشكيلية . وقد اقيم هذا المعرض خلال عام التربية الدولي فى خمس مدن ببلجيكا والاراضي الواطئة ، وذلك بفضل معاونة المؤسسة الصناعية اكزو كوتنجز دبفيزي (الاراضي الواطئة) . واستقبل العرض 5،864 زائرا منهم 3،929 تلميذا .

يوغسلافيا :

※ ترجم المستشرق اليوغسلافي رادي بوزوفيتش مسرحية « محاكمة فى نيسابور » للشاعر العراقي عبد الوهاب البياتي الى اللغة الصربية الكرواتية وكان قد سبق له أن ترجم ديوان البياتي « أشعار فى المنفى » 1966 . ومسرحية « محاكمة فى نيسابور » صدر فى بيروت عام 1963 كما تم اخراجها وتمثيلها فى بغداد والخرطوم فى العامين الاخيرين .

※ تستضيف يوغسلافيا هذا الصيف الندوة الدولية للصحافة المقارنة التى ستنعقد بالقرب من مدينة زغرب فى الفترة من 20 حتى 30 يوليو / تموز 1971 .

وستضم هذه الندوة ـ التي ينظمها المعهد الدولي للصحافة ـ ما يقرب من 60 شخصا من الصحفيين وغيرهم من المتخصصين في وسائل الاعلام من جميع انحاء العالم .

وستلقى اثناء هذه الندوة المحاضرات والابحاث التي أعدها عدد من مشاهير رجالات الصحافة .

المـانيــــا :

* في الفترة الواقعة بين 17 ـ 21 جمادى الاولى 1391 هو 10 ـ 14 يوليو 1971 م عقد الاتحاد الاسلامي العالمي للمنظمات الطلابية اجتماعه الدوري الاول في مسجد بلال في مدينة اخن بالمانيا الغربية .

وقد حضر الاجتماع وفود من المنظمات الطلابية الاسلامية التالية :

اتحاد الطلبة المسلمين في الولايات المتحدة الامريكية وكندا ، اتحاد الطلبة المسلمين في اوربا ، اتحاد الطلبة المسلمين في اسبانيا ، اتحاد الجمعيات الطلابية الاسلامية في المملكة المتحدة وايرلندا ، اتحاد الطلبة المسلمين في فرنسا ، الاتحاد العام لطلبة المغرب ، اتحاد الطلبة المسلمين في نيجيريا ، اتحاد الطلبة المسلمين في اندونيسيا ، منظمة الخريجين الاسلاميين ، جمعية الطلبة المسلمين في الباكستان .

وقد استمع المجتمعون الى تقارير الامانة العامة للاتحاد الاسلامي العالمي وممثلي المنظمات الطلابية المختلفة وناقشوها وتدارسوا فيما بينهم مختلف الشؤون المتعلقة بالعمل في حاضره ومستقبله . كما ناقشوا طلبات العضوية الجديدة المقدمة في بعض الاتحادات الطلابية ووافقوا على قبول عضوية الاتحادات التالية :

اتحاد الطلبة المسلمين في ماليزيا ، اتحاد الطلبة المسلمين في جزر فيجي ، اتحاد الطلبة المسلمين في جامعة سنغافورة ، اتحاد الطلبة المسلمين في اسبانيا ، اتحاد الطلبة المسلمين في فرنسا ، اتحاد جمعيات الطلبة المسلمين في استراليا ، اتحاد الطلبة المسلمين في غيانا (امريكا الجنوبية) ، اتحاد الطلبة المسلمين في سيلان .

وقد انتخبت الجمعية العمومية الامانة العامة الجديدة التي تكونت من :

الدكتور احمد توتونجي امينا عاما

السيد سنيم امينا عاما مساعدا

السيد مصطفى محمد امينا ماليا

وقد استعرض المؤتمر في اجتماعاته المتعددة مشكلات العالم الاسلامي الراهنة وما جد فيه من تطورات ، وهو يؤكد بعد الاستعراض والبحث ايمانه الكامل وثقته المطلقة بان الاسلام هو السبيل الوحيد لحل مشكلات المسلمين الداخلية والخارجية والوصول بهم الى كل ما ينشدونه من التحرر والتقدم والعدالة والخير .

والمؤتمر يدعو المسلمين الى تبيين هذه الحقيقة والى الاستمساك القوي بالاسلام والعودة الصادقة اليه عقيدة وشريعة ومنهجا ليكون لهم الفوز دنيا واخرى ان شاء الله .

وقد اكد المؤتمر ما سبق ان اعلنه من قبل من ضرورة الاهتمام بتطوير مناهج التعليم لتكون كما يريد الاسلام في اسسها ووسائلها للارتقاء بها الى مستوى العصر وحاجة الاسلام على كل صعيد .

* كتاب الاسماء المتفقة لفظا والمختلفة معنا من تأليف السكري حققه وقدم له وعلق عليه الدكتور عطية رزق من جامعة فرنكفورت، والمخطوطة الوحيدة منه محفوظة في المكتبة الاهلية في برلين .

ستـــوكهــلـــم :

* نظم متحف ستوكهلم القومي للعاديات معرضا متجولا بالوسائل السمعية واللمسية اطلق عليه اسم « التاريخ بأطراف الاصابع » وخصصه للعميان الذين سيمكنهم بطريقة اللمس ان يتعرفوا على الآثار المعروضة ، وان يستمعوا في الوقت نفسه الى آلة تسجيل تقوم بتزويدهم بالمعلومات التاريخية المتعلقة بهذه الآثار .

وتشتمل المجموعة المعروضة على معدات وآثار ترجع الى عصور ما قبل التاريخ وحتى العصور الوسطى .

امريـــكـــــا :

كــنـــدا :

❊ اصدرت « رسالة اليونسكو » عددا خاصا عن الفن الحديث وجهت فيه الاسئلة الآتية الى قرائها :

ما رايك فى الفن الحـديث ؟ كيـف تتقـارب امزجتك ومشاربك مع امزجة ومشارب الجمهـور ؟ وطلبت اليهم كذلك ان يقوموا بترتيب بعض لوحات كبار الفنانين المعاصرين دون ذكر اسمائهم او اسماء لوحاتهم وذلك وفقا لافضلية اختيارهم .

وقد خصص هذا العدد لنشر البحث الذى قام به « المجلس العالمي المتاحف » فى تورنتو (كنـدا) بمعاونة اليونسكو ، وكان موضوعه « الفن الحـديث والجمهور » وسيضم العـدد نفس المجموعـات التصويرية الخمس التى عرضت على الجمهـور فى كندا كي يدلي برايه فيها .

وقد خرج العدد مليئا بالصور باللون الابيـض والاسود وثمانية صفحات بالالوان ، فضلا عن عدد من المقالات جاءت الاولى تلخيصا لنتائج الاساسية للبحث الذي تم فى كندا ، وقد ذيل العدد بقائمة ببليوغرافية بمؤلفات الفن التى أصدرتها اليونسكو خلال الربع قرن الماضي .

كاليفورنـيـــا :

يقدر عدد المسلمين فى جنوب كاليفورنيا بحوالي 20 الف مسلم يعيشـون فى انحاء متفرقـة مـن كاليفورنيـا وقـد قامـت رابطـة مسـلمي جنـوب كاليفورنيا بعملية احصاء لمعرفة الكثافة السكانيـة تمهيدا لاقامة المركز والمسجد الاسلاميين المزمـع انشاؤهما ..

وتشكل الفئات اللبنانية والسورية والفلسطينية الغالبية العظمى بين السكان المسلمين فى هـذه المنطقة بالاضافة الى جاليات صغيرة ولكنها نامية من مصر والجزائـر والعـراق وايـران ومسلمـي يوغسلافيا والصين الوطنية .

وقد اعرب الدكتور البيالي رئيس الرابـطة ، عن شكره للصحافة على تغطيتـه المتـازة لانبـاء المؤتمر العشرين لرابطة مسلمي أمريكـا وكنـدا ، واضاف قائلا أن مثل هذه التغطية الصحفية تساعد الرابطة على ابلاغ صوتها الى جميع الاوساط .

وقال الدكتور البيالي، ان الرابطة تتمتع بثلاثة عوامل نمو تعمل لصالحها وهي : ان العاملين على نشر الدعوة تتراوح اعمارهم بين الثلاثين والاربعين ، وان المستوى العلمي فى وسط المنتسبين للرابطة مرتفع بما فى ذلك العدد الكبير من الاطباء والمربين والعلماء الذين يتوقع ان يسهموا فى تطويــر خدمــات الرابطـة مناخ جنوب كاليفورنيا مناسب ومريح بحيث يجتذب المسلمين الذين يفضلون العيش فى مناطق المناخات الدافئة .

الارجـنتـيـــن :

❊ « ينبوع فضائل » مجموعة شعرية للشاعرة الارجنتينية كارمن كوردفا كنسينو نقلها الى العربية جواد نادر صاحب مجلة « الحياة الجديـدة » التى تصدر فى بوانس ايرس بالارجنتين . والمجموعة فى 36 صفحـة .

لـوس انجلـوس :

❊ وجه الرئيـس انـور السـادات رسالة الى المؤتمر السنوي لاتحـاد الجمعيـات الاسلاميـة فى الولايات المتحدة وكندا ، اكد فيها ان شعب مصر مصر على الا يقف مكتوف الايدي امام عدوان اسرائيـل ، وعلى استرجاع حقوقه كاملـة مهمـا كلفه ذلك من بذل وتضحية .

واضاف الرئيس السادات ان الولايات المتحدة تعلم ذلك .. ولو انها راعت ما يقضي به السلام الذى تقول انها حريصة عليه لوقفت موقف الحيدة ، او موقف العدالة فى الصراع النـاشب بيننـا وبيـن اسرائيل .

❊ اختتم المسلمـون الاميركيـون والكنديـون اخيرا مؤتمرهم الاسلامي العشرين الذى عقدوه فى لوس انجلوس فى الاسبوع الثاني من هذا الشهر .

وقد استمع المؤتمر الى كلمة القاهـا سعـادة الشيخ حسين سراج المدير العـام لرابطـة العالـم الاسلامي فى مكة وقد تعهد سعادة الشيخ حسين بالنيابة عن الرابطة بمساعدة مسلمي اميركا الشمالية فى جهودهم فى سبيل نشر الاسلام .

هذا وقد شدد المؤتمر الذى استمر اربعة ايام وهو اول مؤتمر من نوعه يعقد فى الغرب الاقصى للولايات المتحدة شدد على روح التعاون بين الاديان السماوية وتطرق المؤتمر فى مباحثاته وندواته الى مواضيع تعليم الشباب والزواج وتحديد النسل وحقوق المراة فى الاسلام .

هوسطن :

* افتتح فى مدينة هوسطن الامريكية اخيرا المؤتمر السنوي العشرون للطلاب العرب فى الولايات المتحدة ، وقد استمع المؤتمر الى خطب تندد بالعمل الذى يهدف الى اعاقة جهود المناضلين الفلسطينيين من اجل حريتهم .

ولاية ميزوري :

* عقد المؤتمر الخامس فى المنطقة الوسطى لاتحاد جمعيات الطلبة المسلمين فى الولايات المتحدة وكندا فى مخيم يدعى « ترأوت » قرب بلدة « بتوسي » فى ولاية ميزوري .

وقد كان موضوع المؤتمر « سيرة الرسول » صلى الله عليه وسلم فى العهدين المكي والمدني . وقد بدا برنامج المؤتمر بصلاة الجمعة وخطبتها واحتوى على عدة حلقات دراسية ومحاضرات عامة فى جوانب المواضيع المختلفة . وكانت المحاضرة الرئيسية فى المؤتمر للدكتور حامد الجر استاذ الدراسات الاسلامية واللغة الفارسية فى جامعة بيركلي بكاليفورنيا ، وموضوع المحاضرة « النبوة فى الاسلام أهميتها ، دورها ومميزاتها »

وقد تطرق المحاضر الى افكار جديدة فى الموضوع وقد اثارت طرافة وجدة الجوانب التى اثارها الدكتور الى مناقشات واسعة بين اعضاء المؤتمر .

واشتمل برنامج المؤتمر كذلك على محاضرة وثلاث ندوات حول خصائص المجتمع المكي والمدني ، والمحنة فى حياة الرسول والصحابة ، واسس المجتمع الاسلامي فى مكة والمدينة، تميزت بروح ومودة الاخوة وركزت روح الالتزام لدى المشتركين بمثل الاسلام ، والداب المستمر على انشاء المجتمع الاسلامي فى الوقت المعاصر ، وكذلك شارك المؤتمر ومن فى الاستماع ومناقشة خطبة الوداع لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد اقام المؤتمرون جميع فرائض الصلاة جماعة مما ركز معاني الاخوة فى الله والالتزام بطاعته .

وكذلك فقد خصصت جلسات خاصة للامور التنظيمية والادارية ، مهمتها التنسيق بين اعمال الفروع وتقوية برامج الاتحاد . وبالاضافة لذلك فقد عقدت السيدات جلستين خاصتين احداهما للاستفسار والاجابة العامة ، والاخرى لمناقشة موضوع قدمته احدى الاخوات وعنوانه « تربية اطفال فى حضارة غربية » واشتمل المؤتمر على برامج خاصة بالاطفال تقوي عندهم روح الابداع والتعلم . اما المؤتمرون فقد بلغ عددهم 250 مسلما ومسلمة اتوا من اثنتي عشر ولاية مختلفة كما يلي :

الاباما ، كاليفورنيا ، الينوي انديانا ، تكساس ، مينسوتا، ميشغان، ميزوري، اوهايو، ولسكينسن.

واشنطن :

تالفت فى الولايات المتحدة مؤخرا هيئة للدعوة الاسلامية .. وقد اتخذت من واشنطن مقرا رئيسيا لها .. وسوف تمارس هذه الهيئة التعريف والتبشير بالاسلام بالتعاون مع المركز الاسلامي ولكن بادارة مستقلة عنه ..

وقد اجتذبت هذه الهيئة انتباه كافة المسلمين فى الولايات المتحدة فور انشائها ومن اهم مبادئها المعلنة تشجيع الاقتراب الحديث من العقيدة الاسلامية .

ويراس هذه المنظمة السيد محمد طاهر وهو امريكي اعتنق الاسلام .

ويقول السيد محمد طاهر :

ـ ان هدفنا هو وضع اسم الاسلام امام انظار الشعب الامريكي حتى يتوقفون عن النظر الى العقيدة الاسلامية كدعوة اجنبية .

واستطرد السيد طاهر يقول :

ـ اننا نامل ان نربط الاسلام بمشاكل المجتمع الامريكي حتى نوضح لهم كيف يستطيع الاسلام ان يحل هذه المشاكل

وقد اصدرت الهيئة مجموعة من الكتيبات المجانية حول العقيدة الاسلامية كما تقدم برنامجا اذاعيا لمدة 15 دقيقة اسبوعيا باسم — الاسلام .. وماذا يعني لامريكا المعاصرة —

والسيد طاهر متفائل جدا ويقول :

— ان الامريكيين الآن يبحثون عن شيء يؤمنون به والاسلام يمنحهم ليس فقط عقيدة يؤمنون بها ولكنه يقدم لهم اجابات عملية للعديد من المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والاخلاقية التى يعاني منها الامريكيون فى هذه المرحلة .. وان السبب الرئيسي فى عدم تقدم الاسلام فى هذه البلاد هو فشل المسلمين فى ربط الاسلام بالعقلية الامريكية .

هيئة الامم :

※ قامت هيئة الامم المتحدة بوضع اتفاقية جديدة تتضمن اجراءات رقابة مشددة على عقار الهلوسة ، والمسكالين ، وكذلك بعض المخدرات والمنبهات والمهدئات . وستعرض هذه الاتفاقية على الدول الاعضاء والوكالات المتخصصة تمهيدا للتوقيع عليها .

ولقد تمت صياغة هذه الاتفاقية ووافق عليها المؤتمر الذى عقد فى فيينا فى الشهر الماضي والذى ضم ممثلي 71 دولة .

وستصبح « الاتفاقية الخاصة بالعقاقير ذات التأثير النفسي » سارية المفعول اذا وقعت عليها 40 دولة ، وستنظم هذه الاتفاقية عملية بيع واستعمال ما يقرب من 32 عقارا من عقاقير الهلوسة . كما انها تفرض رقابة شديدة على التجارة الدولية لهذه المواد وتمنع استعمالها فى اغراض اخرى غير الاغراض العلمية والطبية .

الاتحاد السوفياتي :

※ فى سنة 1963 نشر المستشرق السوفياتي يوري زافادوفسكي » استاذ الابحاث بمعهد شعوب آسيا ، محاولة لغوية مصحوبة بخريطة ، وتتناول ابحاثها اللهجات العربية فى المغرب ، أي المجموعة الغربية للهجات العربية التى توجد فى ليبيا ، وتونس والجزائر ، والمغرب ، وموريطانيا ، ومالطا . وقد لقي هذا الكتاب الذى نشر ضمن سلسلة « لغات الشرق وافريقيا » ترحيبا كبيرا من النقاد سواء داخل الاتحاد السوفياتي او خارجه وخصصت له الصحف والمجلات عدة مقالات وعروض .

والواقع أن هذا هو أول كتاب علمي ، وثائقي يظهر باللغة السوفياتية فى هذا الموضوع الهام ، ويعقد المقارنات بين لهجات اقطار المغرب ، ولهجات المشرق العربي .

وقد الف زادوفسكي، بعد ذلك ، رسالة هامة، درس فيها نفس الموضوع دراسة علمية تحت عنوان « اللهجات العربية للمغرب من الناحية الصوتية والصياغية ، والمعجمية » ... وقد قدم هذه الرسالة لنيل شهادة الدكتوراه من معهد شعوب آسيا .

وهذه الرسالة تتناول مشاكل المعاجم ، وعلم الاصوات ، وعلم الصيغ ، وعلم التراكيب ، وتقدم وثائق غنية ومتنوعة مما يجعلها دائرة معارف لغوية من اللهجات العربية .

ومن الصعب علينا ، فى هذا العرض الوجيز ، ان نتناول جميع اجزاء الكتاب ، ولذلك نكتفي بالاشارة الى اهم الموضوعات المتناولة ، مثل دراسته للعلاقات بين اللغة الادبية وبين اللهجات ، والعلاقات بين اللهجات ، وبينها وبين اللغات المحلية ، ومشكلات الجوهر ، وغير ذلك ...

وجميع النتائج العامة والخاصة التى انتهى اليها الكاتب مستندة على معلومات غزيرة ، ودراية عميقة باللغة العربية واسرارها .

※ فى المدة الاخيرة عرضت مكتبات موسكو للبيع « كتاب مختصر اللغة العربية » وهذه هي الطبعة الثانية من مختصر جامعة موسكو الذى اعيد طبعه بطلب من قراء كثيرين .

ويستعمل هذا المختصر طلاب السنة الاولى والثانية فى معاهد التعليم العالي التى تدرس بها اللغة العربية .

وتجدر الاشارة الى ان العربية تصادف اقبالا فى الاتحاد السوفياتي خصوصا فى موسكو ولينينغراد ، وطشقند ، وتبليس وسمرقند ، وفى عدة مدن اخرى. ومن شان هذا الاقبال ان يساهم فى توسيع الروابط المتعددة بين الاتحاد السوفياتي والبلدان العربية .

ان للغة العربية التى لعبت دورا هاما فى تطوير لغات شعوب الشرق الادنى والاوسط ، تدرس فى معظم معاهد التعليم العالي السوفياتية . وقد زادت اهميتها خصوصا فـي العصور الوسطـى حينما استخدمت كلغة عالمية ، مثلها مثل اللاتينية ، بالنسبة لشعوب أوربا الغربية . ان العربية قد اثرت تاثيرا كبيرا على كثير من اللغات ، خصوصا على اللغـات الفارسية ، والتركية والافغانيـة ، كما ان اللغـة الروسية تشتمل على بعض الالفاظ العربية .

وقد طبع من هذا المختصر فى اللغة العربيـة 15.000 نسخة . ونظرا لاقبال الشبيبة السوفياتية على تعلم اللغة العربية ، فان المستشرقين كوفاليف، وشاربطوف يعكفان على اعداد طبعة مصححة ومنقحة جديدة من كتاب « المختصر فى اللغة العربية » .

* نشـرت صحيفـة «دويتشـي فولكس تسيتونج » فى المانيا الغربية مقالة مكرسة لدراسة اللغة الروسية فى البلـدان الغربيـة وقد جـاء فى المقال : « ان اللغة الروسية تخطت حدود وطنها منذ زمن بعيد » . وتشير الصحيفة الى ان عدد الناس فى الغرب الراغبين فى تعلم اللغة الروسية يزيد من عام لآخر ، وتذكر الصحيفة امثلة لها دلالتهـا ، ففـي الولايات المتحدة الامريكية بعد عام 1957 (السنـة التى اطلق اول اسبوتنيك) زاد عدد المدارس التى تعلم فيها اللغة الروسية اكثر من خمس مرات .

تدرس اللغة الروسية فى كل جامعات فرنسا ، وفى الكثير من المعاهد الدراسية العليا فى ايطاليا ، وتحظى بشعبية كبيرة الدورات الدراسية الخاصـة والمدارس المسائية لدراسة للغة الروسية فى انجلترا، ان شركة « بي ، بي ، سي » للاذاعة البريطانية التى تذيع كل اسبوع منذ عام 1959 دروس اللغة الروسية، اصدرت كتابا دراسيا لحلقاتها الدراسية عدد نسخه 53 الف نسخة ، والجدير بالذكر ن هذا الكتـاب الدراسي نفد فى ساعته .

* قرر فريق من علماء معهد الاستشراق لـدى اكاديمية العلوم السوفياتية وعلماء معهد الاستشراق لدى اكاديمية علوم طاجكستـان نشـر المخطوطـات النادرة التى جمعتها البعثة العلمية فى بامير فـى الفترة ما بين 1959 و 1963 .

ولنشر هذا التراث اهمية علمية كبيرة تمس قضايا تاريخ الفكر الفلسـفي والاجتماعي والسياسي لشعوب آسيا الوسطى وايران وبلـدان شرقيـة اخرى .

وكانت الخطوة الاولى فى هذا الاتجاه اصدار « كاتالوج هجائي للمخطوطات التى اكتشفتها البعثة فى محافظة باداهشان الجبلية ذات الحكم الذاتي فى عامي 1959 و 1963 » .

وقد صدر فى موسكو مؤخرا عن دار النشـر « ادب الشرق » بحث جديد للعالم بيرتيلس بعنوان « خمس رسائل فلسفية في موضوع «آفاق الانفس» (اي حول العلاقة بين الانسان والكون) وقد اشرف على اصدار هذا البحث العالمان غفوروف الذى كتب مقدمة له وميرزويف . وهو يتضمن تحقيق خمس رسائل فلسفية باللغة الفارسية تعود الى الفترة مـا بين القرنين الحادي عشر والثالـث عشـر . ولم يسبق نشر ثلاث من هـذه الرسائـل وهي « ام الخطاب» و «أصول الادب» و«افـاق نامه» فى اي مكان . اما الرسالتان الاخريتـان وهمـا « مـراد المحققين» و«زبدة الحقائق فقد سبق ان طبعتـا فى ايران والهند طبعة حجرية رديئة .

وينطوي بحث بيرتيلس على مقدمة نظريـة مسهبة فى دراسة النصـوص وعـرض مضمونهـا الاساسي وفهرست موسع بمصطلحاتها . تلي ذلـك المتون المطبوعة بالاحرف العربية . وهذه الطريقة فى تركيب البحث تجعل هذا المطبـوع لا يقتصر على الاشخاص الذين يتقنون اللغة الفارسية .. بل تضعه فى متناول الطلاب والباحثين والاساتذة والعلماء اي كل من يهتم بتاريخ الفكر الفلسفي الاجتماعي لشعوب منطقة بامير .

ان اصدار « خمس رسائل فلسفيـة » يضـع حجر الاساس لمجموعة من الابحاث التى يجريهـا المستشرقون الطاجيكيون من شتى الاختصاصـات لدارسي الفلسفة والادب والتاريخ . كما انه سيساعد على دراسة المخطوطات القيمة من التـراث الادبـي الفارسي من القرون الوسطى . فهذا الادب جزء مـن التراث الحضاري لشعب طاجكستان .

* ترجم الاديب الروسي «يوري الكسندر دف» مجموعة كبيـرة مـن اشعـار الفـرزدق الى اللغـة الروسية . قال النقاد السوفيات ان شعر الفرزدق يتسم بالتفاؤل الى ابعد الحدود .